

٣ أضواء على

تاريخ اليمن البحري

حسن صالح شهاب

الذكرى العاشرة للاستقلال الوطني
١٩٦٧ - ١٩٧٧

لجنة نشر الكتاب اليمني
عُطَن
دار الفارابي - بيروت



الذكرى العاشرة للاستقلال الوطني
١٩٦٧ - ١٩٧٧

حسن صالح شهاب

أضواء على

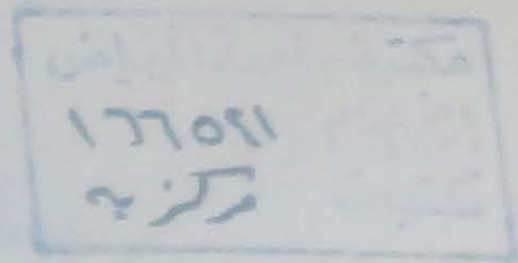
تاريخ اليمن البحري

لجنة نشر الكتاب اليمني

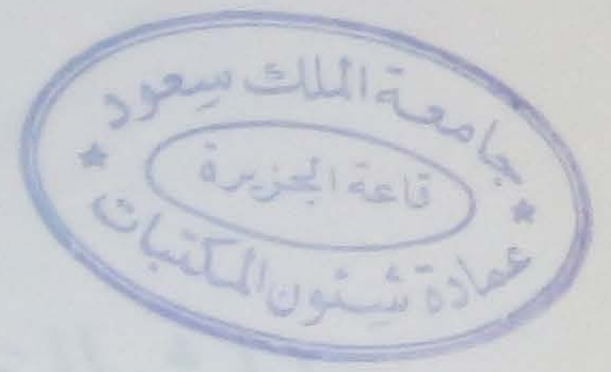
عدن

دار الفارابي
بيروت

٩٥٣١٩
١٢٥



٤٧٦٤٥



بنت وليد

تأليف د. أمين

لغة عربية

دار الفارابي
بيروت ص.ب. ٣١٨١
كانون الاول ١٩٧٧

الله هدا

الى الذكرى العاشرة لاستقلالنا الوطني
في الشطر الجنوبي من اليمن الحبيبة

هذا الكتاب

بدأ اليمنيون نشاطهم البحري في العصر الذي بدأوا فيه يركبون الأطواف والأرماث والقوارب الصغيرة المحززة بخيوط من الليف ، على سواحلهم الطويلة . وازداد هذا النشاط اتساعا بعد أن وصلوا إلى السواحل المجاورة لهم من شرق افريقية وبلاد السند . وبلغ ذروته عندما ازداد حجم التجارة بين الشرق والغرب ، المنقولة براً على ظهور الآلاف من الإبل فيما بين الشام واليمن ، وبعد أن انشأوا على سواحل شرق افريقية ، حتى ميناء (رباطه) Rhapta جنوباً ، العديد من المستوطنات والمدن التجارية ، قبل الفتوحات اليونانية في الشرق الأوسط بزمان سحيق .

ولم يستطع اليونانيون ثم الرومانيون من بعدهم ، رغم محاولاتهم العديدة ، تحطيم تجارة العرب الجنوبيين البحرية ، وإيقاف نشاطهم البحري في البحر الأحمر وغربي المحيط الهندي .

وجاء البيزنطيون ففرضوا الأكسوميين على مزاحمة اليمنيين وتحويل التجارة البحرية من الموانئ اليمنية إلى ميناء عدول (على ساحل ارتيريا) ، واحتلال السواحل اليمنية المجاورة لمضيق باب المندب ، فتعثر نتيجة لذلك نشاط اليمنيين البحري في تلك الفترة . كما قضت القلاقل والحروب الداخلية

المتتالية التي افضت الى احتلال الاحباش لليمن ، على تجارتهم
البرية .

وبعد ظهور الاسلام استعاد العرب الجنوبيون نشاطهم
البحري السابق ، فانتعشت موانئهم من جديد ، واتسعت
تجارتهم البحرية فيما بين موانئهم وموانئ ساحل الهند الغربي
وشرق افريقية . واستمرت بيدهم زعامة الملاحة في غربي
المحيط الهندي حتى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح
وتدخل البرتغاليين في المياه الشرقية .

رئيس لجنة الكتاب اليمني

مقدمة

كاتب التاريخ وقارئه اثنان : مجتر له او مستقرىء .
اما الاول فانه « ييكي ملكا مضاعا » وفي احسن الاحوال
« يتغنى بمجد ماض تليد » . واما الثاني فانه رغم الغصة
التي تعتمل في الذئس يقوى على المكاشفة وتقبل النتائج ، بل
انه يسأل في جسارة كيف ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟ . . . ذلك ان حرصه
يكون منصبا على تجنب الحاضر والمستقبل مغبة الدهر
وعوادي الزمن ، من حيث يجل « الماضي » ويحترمه ذاكر ما
حل به .

فالإجابة على الاسئلة الآتية حين تستقى من التاريخ
نفسه ، يمكن ان تجعل في مقدورنا الامساك « بالمعقول » فيه ،
اي بما في استطاعة البشر استيعابه ، بل واستعادته وفق
ظروفهم اذ لا معنى لتمثل الماضي سوى ان نهى لأنفسنا
ان نكون قادرين على اعلاء شوامخ ، ليست بالضرورة هي
عينها التي نقرأها في كتاب التاريخ ، بل المهم ان لا تقل عنها
روعة ، وأكثر من ذلك ان تجاوزها في شيء واحد على الاقل
بأن نهى لها كل ما يجنبها الوقوع في « الحلقة المفرغة » .

تلك الفزاعة التي يرى بعض المؤرخين ان كل حضارة الا
واردتها ، حتى لكأن عمر الحضارة هي المسافة التي تقطعها

بين لفظتي « سادت » ثم « بادت » - قاصدين بذلك حكما قديرا
ستمقتل له كل حضارة فهي مهما زمت وبلغ شاوها ستخر نحو
الهاوية .

ومهما يكن الامر فالخطير في هذا المفهوم واضرايه ، انه
يؤدي بالانسان الى القعود عن طلب الامثل والاحسن ، مفضلا
السلامة الفردية ما دامت النتيجة لن تكون سوى عود على
بدء .

ولعل العاصم من كل ذلك ان لا نلج رحاب التاريخ الا
نافذ البصيرة ، او بلغة اكثر حداثة الا ممتلكين مفهوم نظريا
عنه ، ولا بد عندئذ ان نميز فيه بين لحظات ثلاث :

(١) ان الحدث التاريخي حين يؤدي هو نشاط انساني
يبدعه او يقوم به بشر في ظروف محددة اكان ذلك حربا او
سلما ، اتجارا او اعمارا . ولعلنا اذا استوعبنا هذه الحقيقة
البسيطة عرفنا ان التاريخ ليس هو الماضي وحسب بل
والحاضر والمستقبل ايضا .

وبهذا المعنى فاننا فيما نعمل نصنع تاريخا . ولكننا لا
ندعي ان يكون دائما رائعا ومجيدا ، فانما المسألة في التحليل
الاخير انه « على قدر اهل العزم تأتي العزائم » .

(٢) ان الحدث التاريخي حين يدرس هو علم حري به
ان يكون هادفا في سعيه ونتائجه لا منفلتا يلقي الاحكام على
عواهنها . ولا خاتما البصيرة عن حقائق تخطف الابصار لشدة
ومجها ولعل هذه من اخطر اللحظات في مراتب التاريخ اذ انها
بمقاييس العلم قصر على جمهرة المؤرخين الذين يتولون طرح

واثارة المسائل كما يجيبون عليها بأنفسهم . فمن ذا الذي تخلع عليه الألقاب الحسنى ولن تزجى آيات الثناء والاستحسان ؟ المؤرخ جمع فاوعى ! أم مؤرخ تحذلق حتى استعجم ! أم لآخر نمق حتى لم يبق لشعراء البديع مجالا لاستعارة ! لقد درج المؤرخون القدامى على استفتاح مواضيعهم بالقول « ولقد استخرت الله في موضوعي » قاصدين بذلك الإشارة الى جل البحث متمنين لأنفسهم التوفيق والنهاية السعيدة . وفي ذلك شيء من رهبة العلم او الشعور بالمسؤولية بكلمات اخرى . وفي عصرنا حق على المؤرخ ان يعي انه لا بد من اثاره وطرح القضايا بطريقة يستطيع الناس حلها او المساهمة في حلها . وما ذلك الا حين يستوعب التراث ويعرف حق المعرفة وتعداد صياغته بمضمون الحاضر والمستقبل .

(٣) ان الحدث او الانجاز التاريخي عظيم حين يقيم ، ليس بمقاييس علم الجمال فقط بل وبالجهد الانساني الذي بذل فيه والتضحيات التي قدمت من اجله ، وهو اعظم عندما نرى فيه ذاتنا التي كناها والتي نريد ان نكونها . والاما الذي يفسر اعجابنا نحن ابناء اليوم بتراث لم تسهم بأنفسنا في خلقه . واحداث جسام لم نعشها بل وصلتنا اخبارها ناهيك عن انه لم يبق لنا من الروائع الا ظلالها ورسومها « تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد » ومن هنا دور التراث في انكاء الروح « الوطنية » وحفظ التواصل وتأكيد الانتماء .

واذا كان المؤلف قد اختار ان « يلقي الاضواء » على صفحة من التاريخ البحري ليمتنا فقد احسن صنعا وان لم يسلم من المشاق وذلك دأب المجتهدين فعلى ابواب العلم كما على ابواب الجحيم لا يهم ماذا يحدث - كما قال دانتي - على ان هذه الصفحة التي يفوح منها عبق الحقائق كما ضاع اريج

بغور اليمثيين من على البعد حتى ملكت ارومته على القوم انفسهم
فاصبحوا لا يجدون عنه فكاكاً في حياتهم ومماتهم لا يجوز ان
تحصر في صنعة الملاحة التي هي جزء من التاريخ البحري
اليمني الذي يشمل فيما يشمل النشاط التجاري والاستراتيجية
التجارية بحرية كانت وقبل ذلك برية .

ان النشاط التجاري باعتباره نشاطا اقتصاديا كان
محركا لكثير من الصراعات والاضطاماع في العالم القديم كما في
عالم اليوم . واكثر من ذلك فان كثيرا من مظاهر الصراع
السياسي او الديني سواء بين الدويلات اليمنية نفسها او بينها
وبين دول اخرى يمكن ان تفهم فهما اكثر واقعية اذا اخذنا
هذا البعد بعين الاعتبار . لقد كتب الجغرافي الاغريقي، سترابو
ان الامبراطور اغسطوس كان يرمي من وراء حملة اليوس
جالوس على اليمن « اما الى كسب ود هذه الشعوب » يقصد
القبائل اليمنية « او اخضاعها لما كان يقع تحت يدها من
ثروات طائلة ربحا من الزمان . فلقد كانوا يبادلون التوابل
والاحجار الكريمة مقابل ذهب وفضة في حين لا يلحق الشاري
منهم شيء يذكر . وعليه فقد كان الامبراطور يأمل اما في
اكتساب اصدقاء اغنياء او هزيمة اعداء اثرياء » . لقد كان
في نية الامبراطور ، وهو مثال لغيره ، ان يكسر « احتكارا »
بروح توسعية واسلوب عدواني ، اين هو من مداهنة اليمثيين
معاصريه ودبلوماسيتهم ، مع مقاومتهم الباسلة ، الذين اذا
اقتفينا آثار تعاملهم مع تجار البلاد الاخرى خيل لنا انهم كانوا
يتصرفون وفق قواعد ما نسميه اليوم « القانون التجاري »
علما بانهم في مرحلة لاحقة كانوا قد توصلوا الى وضع مثل
ذلك القانون . فهم فوق ما يمسه من لغوب ويتجشمون من
الصعاب يعرفون بعد ان تصل قوافلهم احد الموانئ كفزة مثلا
ان دورهم يتوقف هنا رغم ما يغري بمزيد من الربح . كأننا

بهم يتصرفون بروح ذلك الشعار التجاري الذي شاع في بداية
العصور الحديثة : Laissez-passer, Laissez-Faire
(دعه يعمل دعه يمر) . ذلك شعار اطلقته الرأسمالية
الصاعدة حينما رأت ان لا سبيل الى تطويرها الصاعق الا بكسر
الاطر والحدود الاقطاعية الضيقة . والمقارنة ليست هي
المقصودة هنا بين نظامين اجتماعيين الفارق بينهما امداد
سحيقة، اللهم الا اذا تملكنا روح «بروكروست»* وانما المقصود
انه في كلا الحالين هناك درجة معينة من الرقي في سلم التطور
فرضت نوعا من العلاقات المتقدمة ، مارسها كل بمقاييس
عصره . فهل كان اليمينيون القدماء يتصرفون بوعي لمحركات
عصرهم حين سادوا فيه ؟! لا شك ان النشاط التجاري اليميني
قد حدث تعبيرا عن قفزة في التقسيم الاجتماعي للعمل، الشيء
الذي لا يجوز ان يفهم بطريقة « ميكانيكية » بمعنى انه كانت
هناك اولا الزراعة ثم ظهرت التجارة . . . بل بمعنى اقرب الى
الحياة مؤداه ان تبادل تجاريا ما كان يمكن ان يحدث لولا توفر
شيء هو بالضرورة فائض عن حاجة مجتمع ما ويحتاجه
مجتمع آخر . ولكن « الفيز » و « الندرة » وحدهما لا يمكن
ان يكونا وراء هذه العراقة والشهرة التجارية التي كانت
لليمينيين . لننتذكر ان طريق القوافل كان يمتد من قنا وشبوة
الى مارب ومعين ونجران منتها في غزة . وان الجمال حين
تقطعها كانت تنوء بأحمالها من بخور ظفار والشحر ومر جبا

* تقول الاسطورة انه قاطع طريق يلجأ بعد ان يسلب ضحاياه الى
قتلهم ووضعهم على سرير فاذا طال احدهم عليه قطع من رجله واذا
قصر احدهم عنه شده . ويقال « سرير بروكروست » للدلالة على
محاولات قسر الوقائع لتلائم قالباً معيناً .

بذور اليمنيين من على البعد حتى ملكت ارومته على القوم انفسهم
فاصبحوا لا يجدون عنه فكاكاً في حياتهم ومماثهم لا يجوز ان
تحصر في صنعة الملاحة التي هي جزء من التاريخ البحري
اليمني الذي يشمل فيما يشمل النشاط التجاري والاستراتيجية
التجارية بحرية كانت وقبل ذلك برية .

ان النشاط التجاري باعتباره نشاطا اقتصاديا كان
محركا لكثير من الصراعات والاطماع في العالم القديم كما في
عالم اليوم . واكثر من ذلك فان كثيرا من مظاهر الصراع
السياسي او الديني سواء بين الدويلات اليمنية نفسها او بينها
وبين دول اخرى يمكن ان تفهم فهما اكثر واقعية اذا اخذنا
هذا البعد بعين الاعتبار . لقد كتب الجغرافي الاغريقي، سترابو
ان الامبراطور اغسطوس كان يرمي من وراء حملة اليوس
جالوس على اليمن « اما الى كسب ود هذه الشعوب » يقصد
القبائل اليمنية « او اخضاعها لما كان يقع تحت يدها من
ثروات طائلة ربحا من الزمان . فلقد كانوا يبادلون التوابل
والاحجار الكريمة مقابل ذهب وفضة في حين لا يلحق الشاري
منهم شيء يذكر . وعليه فقد كان الامبراطور يأمل اما في
اكتساب اصدقاء اغنياء او هزيمة اعداء اثرياء » . لقد كان
في نية الامبراطور ، وهو مثال لغيره ، ان يكسر « احتكارا »
بروح توسعية واسلوب عدواني ، اين هو من مداهنة اليمنيين
معاصريه ودبلوماسيتهم ، مع مقاومتهم الباسلة ، الذين اذا
اقتفينا اثار تعاملهم مع تجار البلاد الاخرى خيل لنا انهم كانوا
يتصرفون وفق قواعد ما نسميه اليوم « القانون التجاري »
علما بانهم في مرحلة لاحقة كانوا قد توصلوا الى وضع مثل
ذلك القانون . فهم فوق ما يمسه من لغوب ويتجشمون من
الصعاب يعرفون بعد ان تصل قوافلهم احد الموانئ كغزة مثلا
ان دورهم يتوقف هنا رغم ما يغري بمزيد من الربح . كأننا

بهم يتصرفون بروح ذلك الشعار التجاري الذي شاع في بداية
العصور الحديثة : Laissez-passer, Laissez-Faire
(دعه يعمل دعه يمر) . ذلك شعار اطلقته الرأسمالية
الصاعدة حينما رأت ان لا سبيل الى تطويرها الصاعق الا بكسر
الاطر والحدود الاقطاعية الضيقة . والمقارنة ليست هي
المقصودة هنا بين نظامين اجتماعيين الفارق بينهما أمام
سحيفة ، اللهم الا اذا تملكتمنا روح «بروكروست»* وانما المقصود
انه في كلا الحالين هناك درجة معينة من الرقي في سلم التطور
فرضت نوعا من العلاقات المتقدمة ، مارسها كل بمقاييس
عصره . فهل كان اليمينيون القدماء يتصرفون بوعي لمحركات
عصرهم حين سادوا فيه ؟ لا شك ان النشاط التجاري اليميني
قد حدث تعبيرا عن قفزة في التقسيم الاجتماعي للعمل ، الشيء
الذي لا يجوز ان يفهم بطريقة « ميكانيكية » بمعنى انه كانت
هناك اولا الزراعة ثم ظهرت التجارة . . . بل بمعنى اقرب الى
الحياة مؤداه ان تبادل تجاريا ما كان يمكن ان يحدث لولا توفر
شيء هو بالضرورة فائض عن حاجة مجتمع ما ويحتاجه
مجتمع آخر . ولكن « الفيض » و « الندرة » وحدهما لا يمكن
ان يكونا وراء هذه العراقة والشهرة التجارية التي كانت
لليمينيين . لننتذكر ان طريق القوافل كان يمتد من قنا وشبوة
الى مارب ومعين ونجران منتها في غزة . وان الجمال حين
تقطعها كانت تنوء بأحمالها من بخور ظفار والشحر ومر جبا

* تقول الاسطورة انه قاطع طريق يلجأ بعد ان يسلب ضحاياه الى
قتلهم ووضعهم على سرير فاذا طال احدهم عليه قطع من رجله واذا
قصر احدهم عنه شده . ويقال « سرير بروكروست » للدلالة على
محاولات قسر الوقائع لتلائم قالباً معيناً .

بذور اليمنيين من على البعد حتى ملكت ارومته على القوم انفسهم
فاصبحوا لا يجدون عنه فكاكاً في حياتهم ومماتهم لا يجوز ان
تحتصر في صنعة الملاحة التي هي جزء من التاريخ البحري
اليمني الذي يشمل فيما يشمل النشاط التجاري والاستراتيجية
التجارية بحرية كانت وقبل ذلك برية .

ان النشاط التجاري باعتباره نشاطا اقتصاديا كان
محركا لكثير من الصراعات والاطماع في العالم القديم كما في
عالم اليوم . واكثر من ذلك فان كثيرا من مظاهر الصراع
السياسي او الديني سواء بين الدويلات اليمنية نفسها او بينها
وبين دول اخرى يمكن ان تفهم فهما اكثر واقعية اذا اخذنا
هذا البعد بعين الاعتبار . لقد كتب الجغرافي الاغريقي، سترابو
ان الامبراطور اغسطوس كان يرمي من وراء حملة اليوس
جالوس على اليمن « اما الى كسب ود هذه الشعوب » يقصد
القبائل اليمنية « او اخضاعها لما كان يقع تحت يدها من
ثروات طائلة ربحا من الزمان . فلقد كانوا يبادلون التوابل
والاحجار الكريمة مقابل ذهب وفضة في حين لا يلحق الشاري
منهم شيء يذكر . وعليه فقد كان الامبراطور يأمل اما في
اكتساب اصدقاء اغنياء او هزيمة اعداء اثرياء » . لقد كان
في نية الامبراطور ، وهو مثال لغيره ، ان يكسر « احتكارا »
بروح توسعية واسلوب عدواني ، اين هو من مداهنة اليمنيين
معاصريه ودبلوماسيتهم ، مع مقاومتهم الباسلة ، الذين اذا
اقتفينا اثار تعاملهم مع تجار البلاد الاخرى خيل لنا انهم كانوا
يتصرفون وفق قواعد ما نسميه اليوم « القانون التجاري »
علما بانهم في مرحلة لاحقة كانوا قد توصلوا الى وضع مثل
ذلك القانون . فهم فوق ما يمسه من لغوب ويتجشمون من
الصعاب يعرفون بعد ان تصل قوافلهم احد الموانئ كغزة مثلا
ان دورهم يتوقف هنا رغم ما يغري بمزيد من الربح . كأننا

بهم يتصرفون بروح ذلك الشعار التجاري الذي شاع في بداية
 العصور الحديثة : Laissez-passer, Laissez-Faire
 (دعه يعمل دعه يمر) . ذلك شعار اطلقته الرأسمالية
 الصناعية حينما رأت ان لا سبيل الى تطويرها الصاعق الا بكسر
 الاطر والحدود الاقطاعية الضيقة . والمقارنة ليست هي
 المقصودة هنا بين نظامين اجتماعيين الفارق بينهما أمد
 سحيقة، اللهم الا اذا تملكتمنا روح «بروكروست» * وانما المقصود
 انه في كلا الحالين هناك درجة معينة من الرقي في سلم التطور
 فرضت نوعا من العلاقات المتقدمة ، مارسها كل بمقاييس
 عصره . فهل كان اليمينيون القدماء يتصرفون بوعي لمحركات
 عصرهم حين سادوا فيه ؟! لا شك ان النشاط التجاري اليميني
 قد حدث تعبيرا عن قفزة في التقسيم الاجتماعي للعمل، الشيء
 الذي لا يجوز ان يفهم بطريقة « ميكانيكية » بمعنى انه كانت
 هناك اولا الزراعة ثم ظهرت التجارة . . . بل بمعنى اقرب الى
 الحياة مؤداه ان تبادل تجاريا ما كان يمكن ان يحدث لولا توفر
 شيء هو بالضرورة فائض عن حاجة مجتمع ما ويحتاجه
 مجتمع آخر . ولكن « الفيض » و « الندرة » وحدهما لا يمكن
 ان يكونا وراء هذه العراقة والشهرة التجارية التي كانت
 لليمنيين . لننتذكر ان طريق القوافل كان يمتد من قنا وشبوة
 الى مارب ومعين ونجران منتهاها في غزة . وان الجمال حين
 تقطعها كانت تنوء بأحمالها من بخور ظفار والشحر ومر جبا

* تقول الاسطورة انه قاطع طريق يلجأ بعد ان يسلب ضحاياه الى
 قتلهم ووضعهم على سرير فاذا طال احدهم عليه قطع من رجله واذا
 قصر احدهم عنه شده . ويقال « سرير بروكروست » للدلالة على
 محاولات قسر الوقائع لتلائم قابلا معيننا .

وعطر الغالية والعقيق اليماني - انه فوق كل شيء ، الجهد
والحشد الانساني ما اعطى لهذا النشاط مداه الذي نعرفه .

عادة الانسان حين يفرغ من مطالعة كتاب ان تسري فيه
همة لتحقيق او لتمثل ما قرأ لقوه - لكنها سرعان ما تخفت .
بالاحصرى نحن في هذا المقام فاذا فرغنا
من قراءة هذا الكتاب وسرت فينا الحماسة
اياما ، او اخذنا فعلا وجديا في تقليب وجهات النظر
بحثا عن مخرج ، فلا يغيب عن بالنا ان اي مجد يمكن ان نحققه
لا ينفصل عن دابنا اليومي لتحقيق تطورنا العام وسط هذا
العالم المليء بالتحديات .

علينا ان لا نتوقع مجدا بنفس المواصفات .. فمن البخور
استعاض الانسان بـ « كريستيان ديور » وعن الادم
بـ « الشاموا » والبرود بـ « الموهير » ولكن ذلك ليس نهاية
العالم .. فمن مفارقات هذا العصر انه يجعل المهام فظيعة
وعظيمة في آن معا .. فمن لها ؟!

(1)

دور اليمن البحري في مصادر التاريخ القديم

وعطر الغالية والعقيق اليماني . انه فوق كل شيء . الجهد
والحشد الانساني ما اعطى لهذا النشاط مداه الذي نعرفه .

عادة الانسان حين يفرغ من مطالعة كتاب ان تسري فيه
همة لتحقيق او لتمل ما قرا لقوه - لكنها سرعان ما تخفت .
بالاخرى نحن في هذا المقام فاذا فرغنا
من قراءة هذا الكتاب وسرت فينا الحماسة
اياما ، او اخذنا فعلا وجديا في تقليب وجهات النظر
بحثا عن مخرج ، فلا يغيب عن بالنا ان اي مجد يمكن ان نحققه
لا ينفصل عن دأبنا اليومي لتحقيق تطورنا العام وسط هذا
العالم المليء بالتحديات .

علينا ان لا نتوقع مجدا بنفس المواصفات . . فعن البخور
استعاض الانسان بـ « كريستيان ديور » وعن الادم
بـ « الشاموا » والبرود بـ « الموهير » ولكن ذلك ليس نهاية
العالم . . فمن مفارقات هذا العصر انه يجعل المهام فظيعة
وعظيمة في آن معا . . فمن لها ؟!

(1)

دور اليمن البحري في مصادر التاريخ القديم

اليمن
البحر
ان با
الحجر
البداء

(شعر)
عبر)

(شعر)
البر و
لم تش
المكان

داخل

لقد جئتكم في هذا اليوم
لأخبركم بغيري
فلا تأخذوا بيدي
فإنكم تعلمون
أنني رجل
مستضعف

١ - المسند

إذا استعرضنا جميع كتابات المسند التي عثر عليها - حتى الآن - في اليمن ، نجدها لا تشير ، لا من قريب ولا من بعيد ، الى المراكب وحياة اليمنيين البحرية . رغم ان الآثار الحجرية التي عثر عليها العلماء في حضرموت تؤكد ان بلاد العرب الجنوبية قد ارتبطت بشرق افريقية بصلات بحرية منذ العصر الحجري الحديث (١) . اي منذ بداية عهد العرب الجنوبيين بالارماث والاطواف البدائية ، قبل ان يكتبوا بقلم المسند بقرون عديدة .

حتى ذلك النقش (Jame 631) الذي يذكر ان (قطبن أوكن) ، قائد الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان ، قد هاجم أراضي أكسوم ، لم يوضح كيف عبر (قطبن) وجيشه البحر الى أكسوم ، ولا كيف عاد منها (٢) .

وتلك النصوص (Jame 756, 741, 632) التي نفهم منها ان جيش الملك (شعر أوتر) ، المذكور ، قد هاجم مدينة شبوة ، عاصمة حضرموت ، من ناحية البر وميناء قنا من ناحية البحر (بن شبوت وبن حرن) ، واستولى عليهما ، لم تشر لا الى المراكب التي حملت جيش (شعر أوتر) الى ميناء قنا ولا الى المكان الذي اقلعت منه (٣) .

وهناك نقوش ، تتحدث عن حروب وقعت بين اليمنيين والاكسوميين ، داخل الاراضي اليمنية ، لا نجد فيها ذكرا لعدد المراكب التي نقلت قوات أكسوم

الى السواحل اليمنية ، واسماء الموانئ التي نزلت فيها هذه القوات .
ويتحدث نقش من عهد الملك الحميري (شمر يهرعش) عن معركة
بحرية وقعت بين الحميريين والاحباش ، لكنه لا يذكر شيئا عن المراكب والمكان
الذي وقعت فيه المعركة .

والعجيب ان النص الوحيد الذي ورد فيه ذكر المراكب اليمنية لم يعثر
عليه في اليمن ، وانما عثر عليه في الجزيرة بمصر ، داخل تابوت تاجر معيني ،
اسمه زيدال بن زيد ، كان يستورد للمعابد المصرية المر والذريقة على سفينته ،
في عهد (بطليموس بن بطليموس) ، وهو - كما يرجح الباحثون - بطليموس
الثاني (فيلادلفوس) (٢٨٥ - ٢٤٦ ق م) .

وهذا النص يدل دلالة قاطعة على ان مراكب بلاد العرب الجنوبية كانت
تتردد في عهد بطليموس هذا ، وربما قبله بزمان طويل ، على موانئ مصر
الغربية .

ولم يهمل اليمني ذكر اي شيء عن نشاطه البحري ، ولكنه أهمل أيضا
تخليد الكثير من اعماله الجبارة ، ولم يهتم الا بنذوره وآلهته ومعابده وشعائره
الدينية ، أو انتصاراته وغنائمه في الحروب ، وبحفر اسمه على شاهد قبره ،
وما الى ذلك من الامور الشخصية . أما شق الممرات العميقة التي تمتد أميالاً
في الصخور ، وحفر الانفاق الطويلة ، وبناء السدود والحواجز الصخرية
الضخمة ، وطواحين الماء ، والصهاريج الكبيرة ، فقد تركها دون ان يترك على
الكثير منها كلمات قليلة تتحدث عنه . وتلك التجارة الضخمة التي كانت تعبر
فوق ارضه ومياهه لم يهتم حتى بالاشارة اليها ، وكأن تلك الاعمال الجبارة
وهذه التجارة ، التي يرجع اليها الفضل الاول في ثرائه الفاحش وبناء حضارته
العظيمة ، كانت أمورا عادية لا تستحق التخليد لديه ، أو كأن المسند كان وقفا
على النذور والاشياء التي لها علاقة بالدين أو بالملك .

وحتى أولئك الذين هاجروا الى شرق افريقية ، وشيدوا على مرتفعات
الحبشة الشماوية حضارة أكسوم ، نراهم كأشقيائهم في العربية السعيدة ، قد
خلفوا بعض آثارهم دون ان يتركوا عليه كلمة واحدة تتحدث عنه . فمسلات
أكسوم المنحوتة من صخر (الفرانيت) التي يبلغ علو الواحدة منها نحو (٧٠)
قدما ، لا تزال لغزا لم يجد له العلماء حلا ، إذ لا توجد عليها كتابات تروى

قصتها . ومع ان الباحثين مجمعون على ان تاريخ نحتها يعود الى ما قبل دخول المسيحية الى الحبشة ، وعلى ان ابوابها ونوافذها الصورية تشابه نوافذ وابواب ناطحات السحاب Skyscrapers في حضرموت ، الا انهم يجهلون اسباب نحتها وكيف تم نقلها الى مدينة اكسوم (٤) .

واذا كان معظم نقوش المسند - كما يرى علماء الآثار - لا يزال مطمورا تحت انقاض مأرب وصرواح ومعين وقرناو وظفار وغيرها من عواصم ومدن العربية السعيدة فان الامل ضعيف في انه سيختلف كثيرا عن النقوش التي تم العثور عليها ، وأنه سيجلو الكثير من النواحي الغامضة في تاريخ الحضارات اليمنية .

ومما يؤسف له ان صمت المسند هذا قد فتح الباب على مصراعيه للحدس والتخمين والفروض الخاطئة ، وأتاح الفرصة لذوي النظر القصير والمتعصبين ومن لف لفهم ، لان يغبنوا مقدرة العرب الجنوبيين على الخلق والابداع ، وينكروا دورهم الملاحى في المحيط الهندي والبحر الاحمر ، ويقللوا من شأن حضاراتهم .

فجورج فضلو حوراني ، مثلا ، يقول في كتابه « العرب والملاحة في المحيط الهندي * » : « وبعد ان اضمحلت قوة مصر بدا الفينيقيون وقد أصبحوا القائمين على أمر الملاحة في البحر الاحمر . وربما كانوا كذلك قرونا عدة من قبل ، ولكن أقدم دليل قاطع على ذلك قول (سفر الملوك الاول) : (وعمل الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب ايله على شاطئ بحر سوف ، في أرض أدوم ، فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فأتوا الى (أوفير) وأخذوا من هناك ذهباً أربعمئة وزنة (حوالى ١٢ طنا) وأتوا بها الى الملك سليمان » (٥) .

يزعم الحوراني انه منذ سقوط الامبراطورية المصرية وتوقف تجارتها البحرية مع (نبط) حتى الفتوحات اليونانية ، كان الفينيقيون هم القائمين على أمر الملاحة في البحر الاحمر . ويعلل نجاحهم في ذلك قائلاً : « ولعلهم حين حولوا نشاطهم من البحر المتوسط الى هذه الأرجاء لم يجدوا صعوبة بالغة في تعلم لهجات أبناء عموماتهم الساميين في بلاد العرب وفهم عقليتهم وعاداتهم . ولم نسمع شيئاً عن الملاحين العرب في الشرق القديم » (٦) .

وأول ما يؤخذ على هذا الرأي انه لو صح ان الفينيقيين كانوا يسيطرون

* تعريب السيد يعقوب بكر .

على شؤون الملاحة في البحر الأحمر وبحر العرب ، ويعرفون سواحل بلاد
العرب في الفترة التي سبقت الفتوحات اليونانية ، لما أخفقت تلك البعثة البحرية
التي أرسلها الاسكندر الأكبر لاستكشاف سواحل بلاد العرب ، وعادت قبل أن
تبلغ مضيق باب المندب وفيها نواتية وربابنة من الفينيقيين . ولما كان الاسكندر
بحاجة الى ارسال مثل هذه البعثة ولديه نواتية يعرفون هذه السواحل ، ولأرسل
بدلاً منها اسطولاً لغزو هذه السواحل يسيره الفينيقيون .

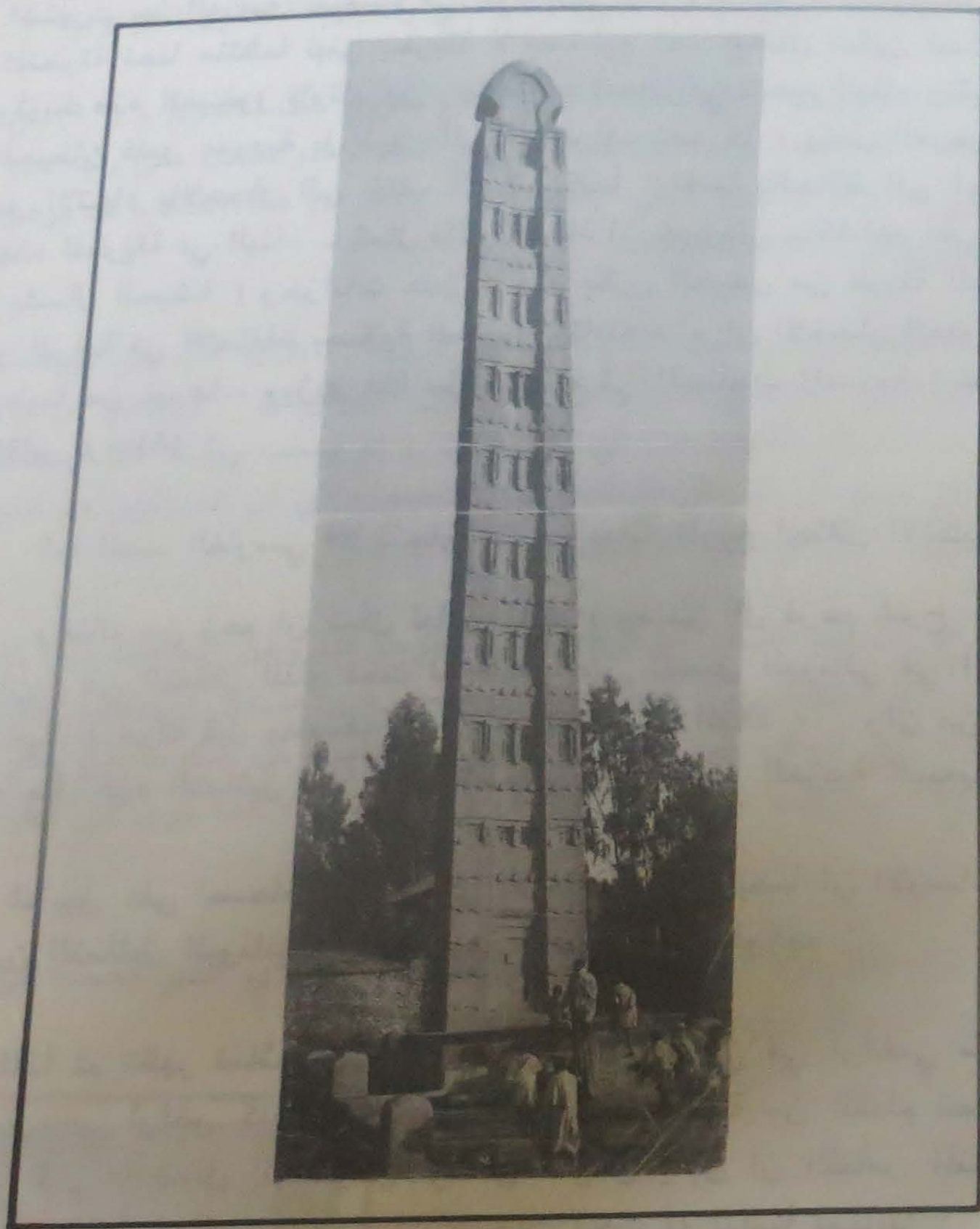
ثانياً : لو أن الفينيقيين حولوا نشاطهم - كما يزعم - من البحر الأبيض
المتوسط الى البحر الأحمر وغربي المحيط الهندي ، لأقاموا على سواحل
مستوطنات ومراكز تجارية على غرار ما صنعوه على شواطئ البحر المتوسط ،
ولقضوا بذلك على تجارة القوافل البرية بين اليمن والشام .

ثالثاً : بعد وفاة سليمان وانقسام مملكته توقفت - كما قال - التجارة
البحرية . وحاول يهوشافاط ملك يهوذا (٨٧٣ - ٨٤٩ ق م) احياءها فبنى
السفن من جديد لتأتي بالذهب من أوفير ولكنها تكسرت في عصيون جابر .

رابعاً : أما قوله انه لم يسمع شيئاً عن الملاحين العرب في الشرق القديم
فقد دحضه بنفسه حين قال عند ذكر سفينة (زيدال) التي اشرنا اليها من قبل :
« وإذا كان المعينيون والسبئيون يقومون ، ولا ريب ، برحلات بحرية الى مصر
في القرن الثالث قبل الميلاد ، صح لنا ان نسأل كم قرناً كانوا يزاولون ذلك من
قبل . ان التوابل العربية كانت تستعمل في مصر في التحنيط وتقديم القرابين
آلفاً متعاقبة من السنين . فهل كان يؤتى بها في سفن عربية خلال المقتدرات
الواقعة بين الرحلات المعروفة القليلة التي قام بها المصريون الى الجنوب ؟ ان
هذا يبدو ممكناً في ضوء الأدلة التي انحدرت إلينا من العصر الهلنستي » (٧) .

خامساً : لم يجد هيرودتس ، الذي زار مصر قبل فتوحات الاسكندر بأكثر
من قرنين ، أثراً لسيطرة الفينيقيين على شؤون الملاحة في البحر الأحمر والا
لما فاتته الإشارة اليها .

ونجد غير هذا من يرى ان صهاريج عدن هي من بناء الفرس . ولعل ذلك
المعبد الفارسي القائم على صخرة تطل على الصهاريج هو الذي أوحى اليهم
هذا الرأي .



Solid granite column at Aksum poses a riddle. Archeologists believe pagan artisans carved the stele before Ethiopia accepted Christianity in the fourth century, but they do not know how the block was quarried and set upright. Nonfunctional door and windows resemble those of southern Arabia's earthen skyscrapers. Seventy feet tall, the shaft may mark an unexcavated royal tomb.

احدى مسلات اكسوم •

ولو ان اصحاب هذا الرأي قاموا بجولة بين اثار حضارة العربي القديم في اليمن لوجدوا ان طريقة بناء خزانات عدن لا تختلف عن الطريقة التي اشتهرت بها العربية السعيدة في بناء الخزانات وغيرها . « فالصخور الكبيرة المنحوتة نحنا منتظما تبني بطريقة لا يستطيع احد اذلال سكين فيما بينها ، وتربط هذه الصخور باوتاد من رصاص ، امعانا في تدعيم البناء وتثبيتته . اما الحيطان فغير عمودية بل تميل الى الانحراف لحد ما ، ولعل الغرض من هذا هو الاتجاه بالاحجار الى خلف الحائط كلما ارتفعنا بالحائط الى اعلى » . وهذه الطريقة في البناء - كمال قال الاستاذ ١ - جرومان - تشاهد « في معبد يحيا (بشمال الحبشة) وخزانات عدن . وقد يكون الغرض من طريقة البناء هذه هو الرغبة في الاحتفاظ بصلابة الحجر ومئاته ، اذ ان الاحجار العمودية اسهل تحطيمها من غيرها ، ويؤيد هذا ما نشاهده في المصاطب المصرية (نقب الحجر والمقابر) » (٨) .

اما المعبد الفارسي فلا يتجاوز تاريخ بنائه تاريخ احتلال الانكليز لعدن . وهناك من زعم ان شكل لباس الملك (يصدق ال فرعم شرح عت) ملك اوسان ، في التمثال الذي نحت له « هو على النسق اليوناني في التماثيل اليونانية المنحوتة قبل منتصف القرن الخامس قبل الميلاد » . وان من المحتمل شراء مثل هذه التماثيل من غزة بفلسطين ونقلها الى العربية السعيدة (٩) . لم يبق على اصحاب هذا الرأي الا ان يزعموا ايضا ان الاوسانيين كانوا يشترون التماثيل اليونانية ثم يحفرون عليها اسماء ملوكهم .

لماذا لم تظهر تماثيل كتمثال هذا الملك الاوساني في اراضي سبأ ومعين وقتبان ، وهي اراض كانت القوافل التجارية القادمة من الشام تصل الى اسواقها قبل ان تصل الى ارض اوسان ؟ وهل يعقل ان اللباس المنحوت لهذا الملك لم يكن لباسه الحقيقي ، وان النحات نحت له لباسا يونانيا ؟

لقد فات هؤلاء ان الاوسانيين كانوا اصحاب تجارة بحرية واشد ارتباطا بالساحل الاقريقي المجاور لهم منه بغزة وبلاد الشام . وان لباس يصدق ال فرعم شرح عت ، وان كان يشبه لباس قدماء اليونان ، فقد كان اللباس القومي للاوسانيين . وفي البر الصومالي المقابل لبلاد العرب ، وفي ارتيريا يرتدي بعض الاهالي ما يشبه رداء الملك الاوساني هذا . وهو رداء طويل يلف حول الجسم .

أما نحت التماثيل للملوك فمن المحتمل ان الأوسانيين قد اخذوه عن المصريين الذين عرفوا بلاد النخورد قبل ان يصنع اليونان تماثيلهم بمئات عديدة من السنين . وهناك تماثيل يمنية كثيرة تشبه في وضعها التماثيل الفرعونية .

وزعم (رنيه ديسو) في كتابه « العرب في سوريا قبل الاسلام » (١٠) ان أبجدية المسند « قد اشتقت رأسا من هجا اغريقي قديم » ، واستدل على رأيه هذا بتشابه حرفي (الواو والهاء) في الأبجديتين . وقال ان هذا التشابه قد برهن عليه (بريتيوريوس) أتم برهان .

لكن الاستاذ بريتيوريوس الذي استشهد (رينه) برأيه قال ان اليونان هم الذين استعاروا حرفي الواو والهاء من السبئيين . ويبدو ان رأي بريتيوريوس ، الاستاذ المتخصص في الساميات ، لم يعجب رينه فقال معقبا عليه : « ولكن يبدو ان الفرض العكسي هو الاصح » اي ان السبئيين هم الذين استعاروا هذين الحرفين من الاغريق .

واذا كان صمت المسند قد ترك الباب مفتوحا للفروض الخاطئة فان كثيرا من كلامه قد أثار الجدل بين العلماء حول تفسيره ومعناه . ونجد العلماء يختلفون ايضا في الرأي حول مسألة بداية ونهاية كل حكومة من حكومات اليمن القديمة ، وترتيب ملوكها وزمن كل واحد منهم ، كما نرى في القوائم التالية (*) .

وما على القارئ الكريم المحتار الا ان يأخذ الرأي الذي يعجبه من هذه القوائم على الا يسلم بصحته .



تمثال السيدة على الطريقة الفرعونية .

* نقلت هذه القوائم عن (الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) للدكتور جواد علي ، ج ٢ . وعن (التاريخ العربي القديم) تعريب الدكتور فؤاد حسنين .

السلوة	بدايتها	نهايتها	راي
معين	الالف ٢ أو ٣ ق م الالف الاولى ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ١١٢٠ ٥٠٠ ٧٢٥ ٤٠٠ قبل ٣٥٠	٦٣٠ ق م ٥٠-٢٤ القرن الثالث ٢٥-٥٠ بعد ٥٠ أو ١٠٠ ق م ١٠٠ ب م	كلاسر هاليقي وآخرون هومل فيلبي ونت ملاكر البرايت البرايت جاكلين بيرين
قتبان	قبل ١٠٠٠ ق م القرن السادس ٨٦٥ ٨٠٠ ٧٥٠	٥٠ ق م ٥٤٠ القرن الثالث ق م ٢١٠ أو ٢٠٧ ب م ١٤٠ أو ١٤٦ ب م	هومل البريت فيلبي ملاكر ريكمنس ويدزمن
حضر موت	١٠٢٠ ق م ٤٥٠	القرن الاول للميلاد القرن الثالث ب م	نفر من المؤرخين منهم هومل البريت

١ - ملوك معين
ترتيب فيلبي

اسم الملك	التاريخ
الاسرة الاولى :	
ال يفغ وقه	١١٢٠ ق م
وقه ال صديق (ابن الملك ال يفغ وقه)	« « ١١٠٠
اب كرب يتع (ابن وقه ال صديق)	« « ١٠٨٠
عم يتع نبط (ابن اب كرب يتع)	« « ١٠٦٠
..... (٢٠ عاما فترة انتقال)	
الاسرة الثانية :	
صديق ال ملك حضرموت ومعين	« « ١٠٢٠
ال يفغ يتع (ابن الملك صديق ال) ملك معين فقط	« « ١٠٠٠
حفن ذريح (ابن ال يفغ يتع)	« « ٩٨٠
ال يفغ ريام (ابن حفن ذريح) ملك معين وحضرموت	« « ٩٦٥
هوف عثت (ابن ال يفغ ريام)	« « ٩٥٠
اب يدع يتع (ابن ال يفغ ريام)	« « ٩٣٥
وقه ال ريام (ابن هوف عثت)	« « ٩٢٠
حفن صديق (ابن هوف عثت)	« « ٩٠٥
ال يفغ يفش (ابن حفن صديق)	« « ٨٩٠
..... (٢٠ عاما فترة انتقال)	
الاسرة الثالثة :	
يتع ال صديق	« « ٨٥٠
وقه ال يتع (ابن يتع ال صديق)	« « ٨٣٠
ال يفغ يشر (ابن وقه ال يتع)	« « ٨١٠
حفن ريام ووجه ال نبط (ابنا ال يفغ يشر)	« « ٧٩٠
..... (٢٠ عاما فترة انتقال)	
الاسرة الرابعة :	
اب يدع ريام	٧٥٠ ق م
خال كرب صديق (ابن اب يدع ريام)	« « ٧٣٠
حفن يتع (ابن خال كريب صديق)	« « ٧١٠
..... (٢٠ عاما فترة انتقال)	
الاسرة الخامسة :	
يتع ال ريام	« « ٦٧٠
تبع كرب	« « ٦٣٠

ملوك معين	
ترتيب البريت	
اسم الملك	التاريخ
اليقع يتع (ابن صدق ال ملك حضرموت)	حوالي ٤٠٠ ق م
حفن ذريح (ابن اليقع يتع)	
اليقع ريام (ابن اليقع يتع) ملك حضرموت	
هوف عثت (ابن اليقع ريام)	
اسدع يتم (ابن اليقع ريام)	
وقه ال ريام (ابن هوف عثت)	
حفن صدق (ابن هوف عثت)	
اليقع وقه	٢٥٠ ق م
وقه ال صدق (ابن اليقع وقه)	
اب كريب يتع (ابن وقه ال صدق)	
عمي يتع نبط (ابن اب كرب يتع)	
يتع ال صدق	
وقه ال يتع (ابن يتع ال صدق)	
ال يفع يشر (ابن وقه ال يتع)	
حفنم ريام (ابن ال يفع يشر)	
وقه ال نبط (ابن ال يفع يشر)	
خمسة ملوك لا يعرف زمانهم ولا مكان	
ترتيبهم : اب يدع (ريام ؟) وابنه	
خال كرب صديق ، وحفنم يتع وهو ابن خال	
كرب ، ويتع ال ريام ، وتبع كرب وهو	
ابن يتع ريام	

ثم أجرى البريت تعديلا في قائمته الاولى للوك معين وقسمهم الى ثلاث مجموعات على النحو التالي :

اسم الملك	التاريخ
المجموعة الاولى :	
اليفع يتع (ابن صدق ال ملك حضرموت) اليفع ريام حفن عتت (ابن اليفع ريام) ابيدع يتع وقه ال ريام حفن صدق (ابن وقه ال ريام) اليفع يفش عم يتع نبط (ابن اب كرب) يتع ايل ريام تبع كرب (ابن يتع ايل ريام) خل كرب صدق (ابن اب يدع) (ريام ؟)	حوالى ٤٠٠ ق م ٣٤٣ ق م
المجموعة الثانية :	
وقه ايل نبط اليفع صدق وقه ايل صدق اب كرب يتع اليفع يشر (الاول) حفن ريام	٢٠٠ ق م ١٥٠ ق م ١٠٠ ق م
المجموعة الثالثة :	
يتع ال صدق وقه ال يتع اليفع يشر (الثاني)	٧٥ ق م

المقارن

حوالی ۴۰۰ ق م

اليقع يتع (ابن صدق ال ملك حضرموت)
 حفن ذريح (ابن اليقع يتع)
 اليقع ريام (ابن اليقع يتع) ملك حضرموت
 هوف عثت (ابن اليقع ريام)
 اسدء يتم (ابن اليقع ريام)
 وقه ال ريام (ابن هوف عثت)
 حفن صدق (ابن هوف عثت)
 اليقع وقه

٢٥٠ ق م.

وقه ال صدق (ابن اليفع وقه)
اب كريب يتع (ابن وقه ال صدق)
عمي يتع نبط (ابن اب كرب يتع)
يتع ال صدق

وقه ال يتع (ابن يتع ال صدق)
 ال يفع يشر (ابن وقه ال يتع)
 حفم ريام (ابن ال يفع يشر)
 وقه ال نبط (ابن ال يفع يشر)

خمسۃ ملوک لا یعرف زمانهم ولا مکان

ترتيبهم : أب يدع (ريام ؟) وابنه

خال كرب صديق ، وحفتم يتع وهو ابن خال
كرب ، ويتع ال ريام ، وتبع كرب وهو
ابن يتع ريام .

ثم أجرى البريت تعديلا في قائمته الاولى للوك معين وقسمهم الى ثلاث مجموعات على النحو التالي :

اسم الملك	التاريخ
المجموعة الاولى :	
اليفع يتع (ابن صدق ال ملك حضرموت) اليفع ريام	حوالى ٤٠٠ ق م
حفن عنت (ابن اليفع ريام) ابيدع يتع	٣٤٣ ق م
وقه ال ريام حفن صدق (ابن وقه ال ريام) اليفع يفش	
عم يتع نبط (ابن اب كرب) يتع ايل ريام	
تبع كرب (ابن يتع ايل ريام) خل كرب صدق (ابن اب يدع) (ريام ؟)	
المجموعة الثانية :	
وقه ايل نبط اليفع صدق	٢٠٠ ق م
وقه ايل صدق اب كرب يتع	١٥٠ ق م
اليفع يشر (الاول) حفن ريام	١٠٠ ق م
المجموعة الثالثة :	
يتع ال صدق وقه ال يتع	٧٥ ق م
اليفع يشر (الثاني)	

ملوك معين

ترتيب ريكنس

اسم الملك	التاريخ
أب يدع (ملك ؟ : أب يدع ريام ؟) خل كرب صدق اليفع وقه وقه ايل صدق اب كرب يتع عم يتع نبط يتع ال ريام تبع كرب اليفع ريام هوف عثت اليفع يتع : معديكرب ملك حضرموت	

اسم الملك	التاريخ
أب يدع يتع : يتع ال (بين ؟) وقه ال ريام حفن صدق اليقع يفش يتع ال صدق وقه ايل يتع شهر يكل يهركب ملك قتبان اليقع يشر حفن ريام وقه ايل نبط خل كرب حفن يتع يتع ال حيوا حفن نرح	٣٤٣

٢ - ملوك قتيان

ترتيب هومل

اسم الملك	التاريخ
<u>المجموعة الاولى :</u>	
اب شيم	
شهر غيلن	
ب عم	
<u>المجموعة الثانية :</u>	
يدع اب	
شهر يجل	
شهر هلل يهنعم	
<u>المجموعة الثالثة :</u>	
شهر	
يدع اب ذيبين	
شهر هلل	
نبط عم	
<u>المجموعة الرابعة :</u>	
هوف عم يهنعم	
شهر يجل يهرجب	
وروال غيلن يهنعم	
فرع كرب يهوضع	
<u>المجموعة الخامسة :</u>	
سمة وتر	
وروال	
<u>المجموعة السادسة :</u>	
ذمر على	
يدع اب يجل	
<u>المجموعة السابعة :</u>	
يدع اب ينف يهنعم	
شهر هلل بن ذر اكر	
وروال غيلن	

ويرى هومل أن من الجائز وضع المجموعة التالية من أسماء ملوك
قبتان قبل المجموعة الأولى أو دمجها بالمجموعة الأولى :

اب شيم
شهر غيلن
ب عم
يدع اب ذبين
شهر يجل
شهر يهنعم
نبط عم

ونذكر هومل قبل الملوك عددا من المكربين القبتانيين وزعمهم على أربع
طبقات ، على النحو الآتي :

١ - شهر	٢ - يدع أب شهر هلال يهرجب او يوهنعم
٣ - سموه على وتر هوف عم يهنعم	٤ - شهر وابنه يدع أب ذبيان

ويقول أن «من الجائز أن الطبقة الثانية تأتي حقا بعد الأولى ، كما أنه من
الجائز أيضا أن (يدع أب) هو بعينه (يدع أب ذبين) من الطبقة الأولى ، وفي
هذه الحالة تكون الطبقة الأولى والثانية طبقة واحدة . كما أنه ليس من الثابت
أن الطبقتين الأولى والثانية تأتيان حقا قبل الثالثة أو العكس هو
الصحيح » (١٠) .

حكام قتيبان

ترتيب قبلي

الاسم	التاريخ
سمه على (مكرب)	٨٦٥ ق م
هوف عم يهنعم بن سمه على (مكرب)	« « ٨٤٥
شهر يجل يهرجب بن هوف عم (ملك)	« « ٨٢٥
« وروال غيلن يهنعم بن شهر يجل	« « ٨٠٠
« فرع كرب يهوضع بن شهر يجل	« « ٧٨٥
« شهر هلل بن ذر اكرب بن شهر يجل	« « ٧٧٠
« يدع اب ذبين يهرجب بن شهر هلل	« « ٧٥٠
« ؟ ؟ ؟ بن شهر هلل	« « ٧٣٥
« شهر هلل يهنعم بن يدع اب ذبين	« « ٧٢٠
« نبط عم بن شهر هلل	« « ٧٠٠
يدع اب ينف او يجل ؟ يهنعم بن زمر على او شقيق	« « ٦٨٠
شهر هلل بن يدع اب ذبين يهرجب (ملك)	
« ؟ ؟ ؟	« « ٦٦٠
« سمه وتر بين ؟ ؟ ؟	« « ٦٤٠
« وروال ؟ ؟ بن سمه وتر	« « ٦٢٠
« (١٠ اعوام)	
« اب شيم	« « ٥٩٠
« شهر غيلن بن اب شيم	٥٥٥-٥٤٠ ق م
« اب عم بن اب شيم	« « ٥٧٠

ترتيب البريت لحكام قتيان

الاسم	التاريخ
<p>سمه على وتر (مكرب)</p> <p>هوف عم يهنعم بن سمه على (مكرب)</p> <p>.....</p> <p>شهر</p> <p>يدع اب ذبين يهنعم بن شهر (مكرب)</p> <p>شهر هلل بن بن (يدع اب) (مكرب)</p> <p>سمه وتر (يحتمل انه مكرب)</p> <p>وروال (تابع لمكرب ال وتر اول ملك على سبأ)</p> <p>(يحتمل انه مكرب)</p> <p>شهر مكرب</p> <p>يدع اب ذبين بن شهر</p> <p>(آخر مكربي قتيان واول ملوكها)</p> <p>شهر هلل بن يدع اب</p> <p>نبط عم (بن شهر هلل)</p> <p>يدع اب يجل بن زمر علي</p> <p>.....</p>	<p>القرن السادس ق م</p> <p>حوالي ٤٥٠ ق م</p> <p>نهاية القرن الخامس ق م</p> <p>القرن الرابع ق م</p>

الاسم	التاريخ
اب شيم شهر غيلن بن اب شيم بعم بن شهر غيلن يدع اب (يجل ؟) بن شهر غيلن شهر يجل (بن يدع اب) شهر هلل يهنعم (بن يدع اب) يدع اب ذيبين يهرجب فرع كرب يدع اب غيلن بن فرع كرب هوف عم يهنعم شهر يجل يهرجب بن هوف عم يهنعم وروال غيلن يهنعم بن شهر يجل فرع كرب يهوضع بن شهر يجل يدع اب ينف ذرا كرب شهر هلل يهقبض ذراكرب نهاية استقلال قتيان وخضوعها للملك حضرموت	حوالى ٣٠٠ ق م القرن الثاني ق م حوالى ١٥٠ « « حوالى ٥٠ «

ترتيب (رودوكفناكس)

لحكام قتيان

التاريخ	الاسم
	المجموعة الاولى :
	اب شيم
	شهر غيلن
	باعم
	المجموعة الثانية :
	يدع اب
	شهر يجل (يهنعم)
	المجموعة الثالثة :
	ذرا كرب
	شهر هلال
	المجموعة الرابعة :
	هوف عم
	شهر يجل يهرحب
	وروال غيلن (*)
	المجموعة الخامسة :
	يدع اب يجل
* وذكر اسمين هما : (سمة وتر) و (وروال) يعتقد انهما يأتیان بعد المجموعة الرابعة .	

٣ - ملوك حضرموت

ترتيب فيلبي

الاسم	التاريخ
صدق ال (ابن ٩٩٩) ملك حضرموت ومعين	١٠٢٠ ق م
شهر على (بن صدق ال) ملك حضرموت	١٠٠٠ ق م
معد يكرب بن اليفع يتبع ملك معين . وضمت	٩٨٠ ق م
حضرموت بعد هذا الملك الى مملكة معين	
وبقيت تابعة لها الى حوالي ٦٥٠ ق م	
ال سمع ذبيبن (بن ملك كرب)	٦٥٠ - ٥٩٠ ق م
يدع ال بين بن سمه يفع	
من عام ٥٩٠ ق م . اصبحت حضرموت	
- حسب رأي فيلبي - جزءا من مملكة	
قتبان او سبأ حتى عام ١٨٠ ق م	
يدع ال بين بن رب شمس (مؤسس	١٨٠ ق م
مملكة حضرموت الجديدة وعاصمتها « شبوة »)	

التاريخ	الاسم
١٦٠ ق م	اليافع ريام بن يدع ال بين
١٤٠ « «	يدع اب غيلن بن يدع ال بين
١٢٠ « «	العز بن يدع اب غيلن
١٠٠ « «	يدع اب غيلن بن امينم
٨٠ « «	يدع آل بين بن يدع اب غيلن
 (٢٥ سنة)
٣٥ « «	عم نخر
١٥ « «	العزيط بن عم نخر
٥ « «	الهان او سلفان بن العزيط
٦٥-٢٥ ب م	العزيط بن الهان او سلفان وهو الملك الذي ذكر في كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) ELEAZOS
٦٥ ب م	اب يزع (مكرب)
٨٥ « «	يرعش بن اب يزع
١٢٥-١٠٥ م	علهان (الهان)
٢٩٠-١٢٥	الموضع غامض في حضرموت . وفي ٢٩٠ أصبحت خاضعة لملوك سبأ وذوريدان .

قائمة (البريت)

الاسم	التاريخ
يدع آل (معاصر للملك كرب آل وتر) ملك سبأ صدق آل (ملك حضرموت ومعين) شهر علن بن صدق آل معد يكرب بن اليفع يتع ملك معين	حوالي ٤٥٠ ق م
يدع اب غيلن العزيط (الاول) معاصر للملك (شعرم اوتر) ملك سبأ وذوريدان العزيط (الثاني) هو الذي ذكره صاحب كتاب (الطواف)	٥٠ ق م ٢٥
يدع اب غيلن بن امينم يدع آل بين بن يدع اب غيلن	
يدع آل بين بن سمه يفع السمع ذبين بن ملك كرب	
رب شمس يدع آل بين الريم يدم يدع اب غيلن	

٤ - ترتيب أسماء المكريين السبئيين
(هومل)

الاسم	التاريخ
<p>المجموعة الاولى</p> <ul style="list-style-type: none"> سمة على يدع آل ذرح يتع امر وتر يدع ال بين يتع امر كرب ال بين سمة على ينف 	<p>حوالى ٨١٥ الى ٦٥٠ ق م</p>
<p>المجموعة الثانية</p> <ul style="list-style-type: none"> نمر على سمة على ينف يتع امر بين نمر على كرب ال وتر 	

التاريخ

قائمة ريكمنس

القاريخ	الاسم
	<p>سمه على</p> <p>يدع ال ذرح (ابن سمه على)</p> <p>سمه على ينف (ابن يدع ال ذرح)</p> <p>يتع امر وتر (ابن يدع ال ذرح)</p> <p>يدع ال بين (ابن يتع امر وتر)</p> <p>ذمر على ذرح (ابن يدع ال بين)</p> <p>يتع امر وتر (ابن سمه على ينف) (شقيق يدع ال بين)</p> <p>كرب ايل بين</p>

قائمة فيليبي

الاسم	التاريخ
سمه على	٨٠٠ ق م
يدع ال ذرح (ابن سمه على)	٧٨٠
يتع امر وتر (ابن يدع ال ذرح)	٧٦٠
يدع ال بين (ابن يتع امر وتر)	٧٤٠
يدع امر وتر (ابن سمه على)	٧٢٠
ننف / معاشر الملك الاشوري سرجون	
كرب ال بين (ابن يتع امر)	
ذمر على وتر	٧٠٠
سمه على ننف (ابن ذمر على)	٦٨٠
يتع امر بين (ابن سمه على ننف)	٦٦٠
كرب ال وتر بن ذمر على وتر	٦٤٠
	٦٢٠

قائمة أخرى لفيلبي

سمه على	٨٢٠
يدع ال ذرح	٨٠٠
سمه على ننف	٧٨٠
يتع امر وتر	٧٥٠
يدع ال بين	بعد ٧٥٠
ذمر على ذرح ٢٠ عاما	٧٣٠
يتع امر وتر ٣٠ عاما	٧٠٠
كرب ال بين	حوالي ٧٠٠
ذمر على ننف (وتر بن كرب ال بين)	٦٨٠
سمه علي ننف (ابن ذمر علي)	٦٦٠
يتع امر بين (ابن سمه علي)	٦٤٠
ذمر علي ننف	٦٢٠
كرب ال وتر	٦١٥

٥ - ترتيب ملوك سبا

(مومل)

الاسم	التاريخ
سمه على ذرح ال شرح بن سمه على ذرح كرب ال وتر بن سمه على ذرح يدع ال بين بن كرب ال وتر يكرب ملك وتر يثع امر بين كرب ال وتر	٦٥٠ - ٥٠٠ ق م
..... (٥٠ عاما)	
سمه على ينف ال شرح (الثاني) ذمر على ينف	٤٠٠ - ٣١٥ ق م

ملوك سبا من عشيرة (مرقد) من بكيل

وهب ال انرم يهنم بن وهب ال ذمر على ذرح نشا كرب يهنم نصر يهنم ؟ وهب ال يحز كرب ال وتر يهنم / يريم ايمن - يهرجب علهان فرع ينهب / برج يهرجب - علهان نهفان	٣٩٥ - ١١٥ ق م تقريبا
من بقع من همدان (حاشد) / اعين / اوس لات رفشان	

(كليمان هوار)

الاسم	التاريخ
المجموعة الاولى :	
سمه على ذرح	
الشرح	
كرب ال	
المجموعة الثانية :	
يشع ٠ امر	
كرب ال وتر	
يدع ال بين	
المجموعة الثالثة :	
وهب ال يحز	
كرب ال وتر يهنعم	
المجموعة الرابعة :	
وهب ال	
انمارم يهنعم	
المجموعة الخامسة :	
نمر على ذرح	
نشا كرب يهنعم	
<div> <div>يكرب ملك وتر</div> <div>يريم ايمن</div> </div>	
لم يدخلها في واحدة من هذه المجموعات	

(فيلبي)	
الاسم	التاريخ
كرب ال وتر	٦٢٠ ق م
سمه على ذرح	٦٠٠
كرب ال وتر بن سمه على ذرح	٥٨٠
الشرح بن سمه على ذرح	٥٧٠
يدع ال بين بن كرب ال وتر	٥٦٠
يكرب ملك وتر بن يدع ال بين	٥٤٠
يثع امر بين بن يكرب ملك وتر	٥٢٠
كرب ال وتر بن يثع امر	٥٠٠
سمه على ينف	٤٨٠
الشرح بن سمه على	٤٦٠
نمر على بين بن سمه على ينف	٤٤٥
يدع ال وتر بن على بين	٤٣٠
نمر على بين بن يدع ال وتر	٤١٠
كرب ال وتر بن نمر على بين	٣٩٠
..... (٢٠ عاما)	
الكرب يهنعم	٣٥٠
كرب ال وتر	٣٣٠
وهب ال (سرو ؟)	٣١٠
انمار يهنعم بن وهب ال	٢٩٠
نمر على ذرح بن انمار يهنعم	٢٧٠
نشا كرب يهنعم بن نمر على ذرح	٢٥٠
..... (٣٠ عاما)	
نصر يهنعم	٢٠٠
وهب ال يحز	١٨٠
كرب ال وتر يهنعم بن وهب ال يحز	١٦٠
فرع ينهب (استرد العرش من الهمدانين)	١٣٠
الشرح يحضب بن فرعم ينهب (ملك سبا وريدان)	١٢٥

(ريكنس)

الاسم	التاريخ
كرب وتر	١١٥-٧٥٠ ق م
يدع ال بين	
يكر ب ملك وتر	
يثع امر بين	
سعه على نرج وكر ب ال وتر (الشرح)	
.....	
سعه على ينف	
يدع ال وتر	
نمر على بين	
.....	
يدع ال نرج	
يثع امر وتر	
سعه على ينف	
نمر على بين (الشرح)	
.....	
يدع ال	
نمر على نرج	
نشا كرب يهامن	

ملوك سبأ من همدان

نصر يهامن	بعد ١١٥ ق م
.....	
وهب ال يحز / أوسلت رفشان	
فرعم ينهب (معاصر لعلهان نهقان واينه	
شعرم اوتر وهما من حاشد)	

التاريخ

١١٥-١٩٠ ق

(تقريبا)

التاريخ

حوالي ١٢٥ ق

١٠٠

٨٠

٦٠

٣٥

★ ملوك سبأ

٦ - ملوك سبأ من همدان

(هومل)

التاريخ	اسم الملك
١٩٠-١١٥ ق م (تقريباً)	اعين (معاصر لنصرم يهمن البكيل) اوسلت رفشان (معاصر لوهب آل يحز البكيل) يريم ايمن (معاصر كرب آل وتريهنعم البكيل) علهان نهفان (معاصر فرع ينهب البكيل) شعر اوتر (ملك سبأ وذو ريدان) (معاصر للمشرح يحضب البكيل) حيو عثتر يضع

(البريت)

التاريخ	اسم الملك
حوالي ١٢٥ ق م	اعين ...
١٠٠	اوسلات رفشان
٨٠	يريم ايمن
٦٠	برح يهرجب / علهان نهفان
٣٥	شعر م اوتر / يريم ايمن
★ ملوك سبأ من همدان (حاشد) كانوا معاصرين للملوك سبأ من بكيل .	

٧ - ملوك سبأ وذنو ريدان

(مومل)

الاسم	التاريخ
ال شرح يحصب / شعيرم اوتر (الهمداني)	
عمدان بين يهقبض	
كرب ال وتر يهنعم	
هلك امر - زمر على ذرح	
زمر على ذرح بن كرب ايل	
زمر على يهبر بن ياسر يهصدق	
ال شرح يحمل	
ياسر يهصدق	١١٥ ق م - ٢٧٠ ب م
يدع ال وتر	
كرب عط يهقبل (يهقبض ؟)	
كرب ال وتر يهنعم	
لعزم (ال عز ؟) نوبان يهصدق	
نشا كرب اوتر	
رب شمش نمران	
سعدى اوم نمران	
صخمان يهصبح	
شعدار يهنعم	
تاران يعب	
وتر يهامن	

قائمة (ريكنس)

القاريخ	الاسم
٢٥ ق م	فرعم ينهب (معاصر) ال شرح يحضب (معاصر) نشأ كرب يهامن نمر على بين كرب ال وتر يهنم (ملك امر) - نمر على ذرح وتر يهامن شمدر يهنم ال شرح يحمل لعر نوفان يهصدق ياسر يهصدق نمر على يهبر (الاول) ثاران يعب يهنم نمر على يهبر (الثاني) رب شمس نمران المشرح يحضب سعد شمس اسرو () () ياسر يهنم شمدر يهرعش

قائمة (فيلبس)

الاسم	التاريخ
ال شرح يحضب (ابن فرعم ينهب)	١٢٥-١٠٥ ق م
بزل بين (ابن فرعم ينهب)	٩٠-١١٠
نشأ كرب يهامن يهرجب بن ال شرح يحضب	٧٥-٩٥
وتر يهمن (ابن ال شرح يحضب)	٦٠-٨٠
ياسر يهصدق (ابن وتر يهمن ؟)	٦٠
ذمر على يهبر (الاول) (ابن ياسر يهصدق)	٤٠
ثرن يعب يهنعم (ابن ذمر على يهبر)	٢٠-٤٠
ذمر على يهبر (الثاني) (ابن ثرن يعب يهنعم)	١
ذمر على بين ؟ (ابن شقيق ذمر على يهبر)	٢٠
كرب ال وتر يهنعم (ابن ذمر على بين)	٧٠-٤٠
هلك امر (ابن كرب ال وتر يهنعم)	٨٥-٦٥
ذمر على ذرح (ابن كرب ال وتر يهنعم)	٩٥-٧٥
يدع ال وتر (ابن ذمر على ذريح)	١١٥-٩٥
الاسرة السادسة لبنى بتع (حاشد)	٢٤٥-١١٥

افراد وجماعات مجهولة

شمر يهنعم (ابن ؟)

عمدان بين يهقبض (ابن ؟)

٣٠ عاما

نشأ كرب يزن

وهب عشت يفد

هوتر عشت يشف

كرب عشت يهقبل

٣٠ عاما

نشأ كرب اوتر ابن شقيق نشأ كرب يزن

شهر ايمن (شقيق نشأ كرب اوتر) ٢١

الاسم	التاريخ
<p>رب شمس نمران (ابن ؟) سخمن يهشبيح (ابن ؟)</p> <p>٥٠ عاما { يرم ايمن (ابن سخمن يهشبيح) سعد اوم نمران (ابن ؟)</p> <p>ال عز نوفن يهصدق (ابن ؟) الاسرة السابعة (بكيل) يسر يهنعم (ابن ؟)</p>	<p>٢٤٥ م</p> <p>٢٦٠-٢٨٠ م</p> <p>•</p>

قائمة (قبلي)

الاسم	التاريخ
ال شرح يحضب (ابن فرعم يهيب)	١٢٥-١٠٥ ق م
يؤل بين (ابن فرعم يهيب)	٩٠-١١٠
نشأ كرب يهامن يهرجب بن ال شرح يحضب	٧٥-٩٥
وتر يهمن (ابن ال شرح يحضب)	٦٠-٨٠
ياسر يهصدق (ابن وتر يهمن ؟)	٦٠
نمر على يهبر (الاول) (ابن ياسر يهصدق)	٤٠
ثرن يعب يهنعم (ابن نمر على يهبر)	٢٠-٤٠
نمر على يهبر (الثاني) (ابن ثرن يعب يهنعم)	١
نمر على بين ؟ (ابن شقيق نمر على يهبر)	٢٠
كرب ال وتر يهنعم (ابن نمر على بين)	٧٠-٤٠
هلك امر (ابن كرب ال وتر يهنعم)	٨٥-٦٥
نمر على نرح (ابن كرب ال وتر يهنعم)	٩٥-٧٥
يدع ال وتر (ابن نمر على نريج)	١١٥-٩٥
الاسرة السادسة لبنى بتع (حاشد)	٢٤٥-١١٥ م

افراد وجماعات مجهولة

شمدر يهنعم (ابن ؟)
 ٣٠ عاما {
 عمدان بين يهقبض (ابن ؟)

نشأ كرب يزن
 وهب عثت يفد
 ٣٠ عاما {
 هوتر عثت يشف
 كرب عثت يهقبل

نشأ كرب اوتر ابن شقيق نشأ كرب يزن

شهر ايمن (شقيق نشأ كرب اوتر) ٢١

القاريخ	الاسم
	<p> رب شمس نمران (ابن ؟) سخرمن يهشبيح (ابن ؟) يرم ايمن (ابن سخرمن يهشبيح) سعد اوم نمران (ابن ؟) </p> <p> ال عز توفن يهصدق (ابن ؟) الاسرة السابعة (بكيل) يسر يهنعم (ابن ؟) </p>

٢٤٥ م

٢٦٠-٢٨٠ م



٨ - ملوك سبا ونزو ريدان وحضر موت وتميت

(فون وزمن)

اسم الملك	التاريخ
شمر يهرعش (الثالث)	٢٧٠-٣٠٠ م
ياسر يهنعم (الثالث) مع (ثارن ايفع)	٣٠٠-٣٢٠ م
ثون يكر ب	
ياسر يهنعم مع ابنه ذرا امر ايمن	
نمر على يهبر	
نمر على يهبر مع ابنه ثارن يهنعم	ما بين ٣٤٠ و ٣٦٠ م
ثارن يهنعم مع ابنه ملك يكر ب يهامن	من ٣٦٠-٣٨٠ م
ملك يكر ب يهامن مع ابنه اب كرب اسعد ونزا امر ايمن	منذ ٣٨٠
اب كرب اسعد مع ابنه حسان يهامن	حوالي ٤٠٠ م
شرحبيل يعفر	

ملوك حمير (ترتيب وزمن)

- (١) ياسر يهصدق (حوالي ٧٥ م) (٢) نمر على يهبر (حوالي ١٠٠ م)
 (٣) ثاران يعب (حوالي ١٢٥ م) (٤) شمر يهرعش (الاول) (حوالي ١٥٠ م)

حمير صارت تابعة لسبا في عهد (شعرم اوتر) ملك سبا ونزو ريدان

- (٥) لعزز يهنف يهصدق (٦) ياسر يهنعم (الاول)
 (٧) شمر يهرعش (الثاني) (٨) كرب ال ٥٠٠ ؟
 (٩) نمر على وتر يهبر (١٠) ثارن يعب يهنعم
 (١١) عمدان بين يهقبض (١٢) ياسر يهنعم (الثاني)
 (١٣) شمر يهرعش (الثالث) (١٤) ياسر يهنعم (الثالث)
 (١٥) ثارن ايفع (١٦) ذرا امر ايمن
 (١٧) ثاران يه ... (١٨) نمر على يهبر
 (١٩) ثاران يهنعم (٢٠) ملك يكر ب يهامن
 (٢١) اب كرب اسعد مع ذرا امر ايمن (٢٢) اب كرب اسعد مع ابنه حسن يهامن
 (٢٣) شرحبيل يعفر

قائمة (فليبي)

التاريخ	الاسم
م ٢٧٠-٣١٠	شمر يهرعش (ابن ياسر يهنم)
م ٣١٠	يريم يرحب (ابن ؟)
م ٣٧٠-٣٤٠	اول احتلال حبشي ايام (الا عميدا)
	ملك اكسوم وحمير وذو ريدان وحبشت وسلمان وتهامة
	(لم تذكر حضرموت)
م ٣٧٥ - ٤٠٠	ملك كرب يهنم (ابن او حفيد يريم) يرحب
	هزم الاحباش واسترد الملك للأسرة السابعة
م ٣٧٨-٤١٥	اب كرب اسعد
م ٣٧٨-٤٢٥	ورو امر ايمن (ابن ملك كرب يهنم)
م ٤٢٥-٤٥٥	شرح بيل يعفر (ابن اب كرب اسعد)
م ٤٣٠-٤٤٠	معد كرب شقيق شرحبيل يعفر
م ٤٥٥-٤٦٠	فترة خلو للمفتصب (عبد كلال)
م ٤٦٠-٤٧٠	شرح بيل يكف ؟ (ابن معد كرب ؟)
م ٤٧٠-٤٩٠	نرف (ابن شرحبيل يكف)
م ٤٨٠-٥٠٠	لحي عشت ينف (ابن شرحبيل يكف)
م ٤٩٥	قام (مرتد الان) بثورة فاشلة
م ٤٩٠-٥١٠	معد كرب ينعم (ابن شرحبيل يكف)
م ٥١٠-٥٢٥	نو نواس (ابن ؟)
م ٥٢٥	ابتدا الحكم الحبشي

٩ - اوسان

لا يزال تاريخ اوسان مجهولا تماما . ويرى اطلب العلماء ان كرب ال وتر ، آخر مكربي سباً وأول ملوكها ، قد قضى على دولة اوسان ، نهائيا ، في حوالي ٦٥٠ ق م . كما يرى هول - لكن فيليب ذهب الى ان دولة اوسان عادت الى الظهور من جديد في ٢٣٠ ق م . وظلت قائمة الى ١١٥ ق م . حين ضمت املكها الى مملكة سباً ونو ريدان أيام اليشع بحضب .

وترى جاكين بيرين ان اوسان كانت مملكة في اواخر القرن الاول قبل الميلاد او بعد الميلاد بقليل .

ورتب فيليب ملوك اوسان حسب الجدول التالي :

اسم الملك	التاريخ
مرتوبين ؟ هزمه الملك السبائي (كرب ال وتر) وضمت بعده اوسان الى قتيان .	٦٢٠ - ٦٠٠ ق م
زيد بن ؟ (من قبيلة بغيثات اول ملك)	٢٣٠ ق م
معدال سلمان (ابن زيد بن ؟)	٢١٠
يصدق ال فرعم شرح عث (ابن معدال سلمان)	١٩٠
معدال سلمان (ابن يصدق ال فرعم)	١٧٠
يصدق ال فرعم عم يثع (ابن معدال سلمان)	١٥٠
(فرعم ؟) زهمهان ال شرح (ابن يصدق ال)	١٣٥
عم يثع غيلن لحي (ابن زهمهان)	١٢٠
ضمت اوسان الى سباً ونو ريدان	١١٥

٢ - التوراة والرقم الاشورية

« وجئتك من سبأ بنبا يقين »
قرآن كريم

يرى نفر من العلماء منهم هومل ، ان كلمة (Sabum) الواردة في نص من النصوص السومرية ، التي يرجع تاريخها الى عصر ملوك (أور) في حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ، وربما يقصد بها السبثيون في شمال الجزيرة العربية ، في المنطقة التي عرفت في النقوش الاشورية ببلاد أريبي (عربي) ، قبل ان يهاجروا الى اليمن (١) .

وقد استدل هومل على ان الوطن الاصلي للسبثيين هو شمال البلاد العربية بان كلمة (سبأ) وردت في كتابة معينة كاسم لقبيلة بدوية كانت تسطو على القوافل التجارية بين معان ونجران ، وقال ان قصة ملكة سبأ وزيارتها لسليمان لا يمكن فهمها الا على افتراض ان سبأ كانت في شمال البلاد العربية . واستدل ايضا باختلاف لهجة سبأ عن لهجة بقية شعوب بلاد العرب الجنوبية ، وبورود كلمة يهبلج مع (سبأ) في النقوش السبئية ، وهي - كما قال - (دقله) أي ارض الجوف في شمال الجزيرة العربية (٢) .

لكن الذين يرون ان الوطن الاصلي للسبثيين هو في شمال البلاد العربية يختلفون في تاريخ نزوحهم الى الجنوب ، فمنهم من يقول ان هجراتهم كانت في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، ويرى آخرون انها كانت في حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد . اما هومل فيرى انها كانت في القرن الثامن قبل الميلاد ، وانهم استقروا في منطقة صرواح .

لكن النقوش الاشورية التي جاء فيها ذكر بعض ملكات (أريبي) مع سبأ

وعدد من القبائل الأخرى تشير إلى سبأ اليمن لاسبأ الشمال ، فسرجون الثاني (٧٢٤ - ٧٠٥) يذكر في أحد النقوش المسمارية أنه تسلم أتاوة من (شمسي) ملكة أريبي ومن (يتع امر) السبئي وقبل سرجون تلقى قبلا تيلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م) الجزيرة من (زيببي) ملكة أريبي (عريبي) . ويقول في أحد النصوص أنه في السنة التاسعة أخضع ملكة أريبي وتسلم من سبأ جزيرة من الذهب والطيوب . أما سمناريب (٧٠٥ - ٦٨١) فذكر أنه عندما شرع في بناء بيت (أكيتر) تسلم مدينة من (كرب ايل) ملك سبأ من بينها أحجار كريمة وأنواع من الطيوب الفاخرة وذهب وفضة . فالطيوب والبخور والأحجار الكريمة والذهب سلع كان السبئيون يجلبونها من بلادهم في الجنوب - كما تذكر التوراة والكتب الكلاسيكية - إلى فلسطين وسوريا وطورسيناء .

أما (يهبلج) التي اعتقد هومل أنها (دقله) أي بلاد الجوف في شمال الجزيرة العربية ، فتؤكد النقوش السبئية التي ورد فيها ذكر (يهبلج) ، أن يهبلج اسم لقبيلة حليفة أو تابعة لقبيلة سبأ ، وليست اسما لموضع . ومن بين هذه النقوش نقش نسخه أحمد حسين شرف الدين ، المؤرخ اليمني المعروف ، من انقاض قصر صرواح عام ١٩٦٠ م ، جاء فيه :

سبأ - ويهبلج - ولهمو - وذاعرهمو - وقسدهمو - ودمتهمو - سبأ ويهبلج : أبناء وآباء وسادة وعبيد (٣) .

وكان هومل قبل أن تعثر بعثة المانية على نقش سنحريب يرى أن (يتع امر) الذي ذكره نقش سرجون هو أحد حكام قبيلة سبأ في شمال بلاد العرب . لكنه بعد العثور على نقش سنحريب غير رأيه وتأكد أن (يتع امر) و (كرب ايل) هما من مكربي سبأ اليمنية .

ويذكر مع سبأ وملكات أريبي في النقوش المسمارية عدد من القبائل التي كانت تعيش في شمال الجزيرة العربية كثمود وتيما وغيرهما ، أما معين وبقية شعوب الجنوب فلم يرد لها ذكر لا في النقوش المسمارية ولا في أسفار التوراة ، مما جعل بعض الباحثين يعتقد أن سبأ جاءت قبل معين بعدة قرون .

ولا تذكر سبأ في التوراة إلا ويذكر معها الطيب والبخور والأحجار الكريمة والذهب . فسفر حزقيال (٥٨٦ ق م) يقول : « تجار شبا (سبأ) ورعهمهم تجارك . بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك . حران وكنه وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك ، والإشارة إلى عدن وكنه ، الميناءين

الرئيسيين للعربية الجنوبية في ذلك العهد تؤكد ان شبا هي سبا اليمن لا سبا الشام . وجاء في سفر اشعيا (القرن الثامن قبل الميلاد) : « ان العديد من الجمال ستقطع مسافات شاسعة . ان الهجن من مدين وايفا (ابها ؟) ستاتي جميعها من سبا وستجلب الذهب والبخور . »

اما سفر ايوب فنذكر السبئيين في موضع كأصحاب قوافل وتجارة . ثم نذكرهم في موضع اخر كأعراب أغاروا على بقر لأيوب كانت تحرث ارضه واتن كانت ترعى فاستاقوها .

وورد في (المزامير) ان شبا ستعطي الذهب للملك العبرانيين في جملة الشعوب التي ستخضع له . وفي (ارميا) ان شبا كانت ترسل اللبان الى اسرائيل .

ومما يؤكد ان شبا التي تذكرها التوراة هي سبا اليمنية ما جاء في سفر (يوشع) من تهديد على لسان (يهوه) لاهالي صور وصيدا . وكانوا قد نهبوا الهيكل وأسروا بني يهوذا ثم باعوه لبني ياون (اليونان) : « ها انا ذا انهضتهم من الموضع الذي بعتموهم اليه وارد عملكم على رؤوسكم وأبيع بفيكم وبناتكم بيد بني يهوذا لمبييعوهم للسبئيين لامة بعيدة لان الرب قد تكلم » فالسبئيون في (يوشع) امة بعيدة عن فلسطين .

لكن التوراة نسبت شبا الى (كوش بن حام) ، ثم نسبته مرة ثانية الى الساميين من ابناء (يقطان) بن عابر . وذكرت في موضع اخر انه من ولد (يقشان) بن ابراهيم من زوجته (قطوره) .

اما ملكة سبا فقال عنها سفر الملوك : « وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل ، فأتت الى اورشليم بموكب عظيم جدا بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا وحجارة كريمة . وأتت الى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها » .

وعندما شاهدت « البيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقائه ومحرقاته التي كان يصعدونها في بيت الرب ، لم يبق فيها روح بعد ، فقالت للملك صحيحا كان الخبر الذي سمعته في ارضي عن امورك وعن حكمتك ، ولم أصدق الاخبار حتى جئت وأبصرت عينا » وقدمت لسليمان « مائة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة لم يأت

بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكه سبأ للملك سليمان .

ولم ينكر سفر الملوك اسم هذه الملكة ولا اسم أرضها مما جعل بعض الباحثين يعتقد أن هذه الملكة كانت واحدة من تلك الملكات اللاتي ذكرت النصوص الآشورية أنهن كن يحكمن أريسي في شمال غربي الجزيرة العربية . وهناك من رأى أن سبأ التي ذكرها سفر الملوك هي سبأ التي حلت محل الميثيين في أعالي الحجاز لا سبأ اليمن . ومن الأدلة التي يستدل بها أصحاب هذا الرأي أنه لم يعثر حتى الآن في العربية الجنوبية على نقش سبائي أو غير سبائي ورد فيه اسم ملكة . لكن البخور والطيب والأحجار الكريمة سلع اشتهرت بها بلاد العرب الجنوبية في العالم القديم ، وذكرها مقرونة باسم سبأ أو سبأ يدل على أن سبأ هي التي كانت تجلب هذه السلع من الهند ، إلى أسواق الشام والعراق . أما القول بأنه لم يعثر على اسم ملكة فيما عثر عليه من النقوش السبئية في اليمن فغفول سابق لاوانه إذ لم يجز تنقيب شامل حتى الآن عن آثار سبأ ومعين فسي مارب وصرواح ومعين وقرناو وغيرها من العواصم والمدن التي كانت مزدهرة في العصور القديمة . ولا يستبعد أن السبئيين كان لهم نفوذ أيام الآشوريين يمتد إلى أعالي الحجاز ، فكان يعتبر من السبئيين كل من أتى من جنوب مدين وتيما ، كما يحتمل أن سبأ كانت قبيلة كبيرة ذات بطون كثيرة منتشرة فيما بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها لقبيلة عنيزة في الوقت الحاضر ، حيث نجد بطونا منها هي الرولة ، وولد علي ، وبشر ، والعمارات منتشرة في بادية الشام ، موزعة بين سورية والعراق والأردن ، ونجد فروعاً من بني سليمان من عنيزة في الجوف ، وفروعاً أخرى في الحجاز إلى الشمال من المدينة ، وبني عبد الوهاب إلى الجنوب من تيما . ومثل عنيزة قبيلة شمر فحول الموصل بشمال العراق نجد بطونا كثيرة منها ، وتنتشر منها في منطقة حائل بالسعودية بطون أخرى .

هذا إلى أن ذكر (عدن) وكنه (قنا) يدل على أن العبرانيين أصبحوا في عهد (حزقيال) يعرفون أو يسمعون عن الموانئ الرئيسية في أقصى جنوب اليمن ، وأن السبئيين يتلقون عن طريق هذه الموانئ السلع الإفريقية والهندية التي كانت قوافلهم تنقلها إلى بلاد الشام .

أما الجزية التي تذكر النقوش السامرية الآشورية أن تغلا تبليزر الثالث وسرجون قد أخذها من سبأ وبعض القبائل العربية الشمالية فيقول عنها الدكتور جواد علي : « قد تكون جزية بالمعنى المفهوم من اللفظة ، أي نتيجة قهو وإكراه

وخضوع لحكم الآشوريين وهزيمة لحقت بالسبثيين في حرب أو حروب وقعت مع الآشوريين ، وقد تكون بمعنى ضريبة دفعها السبثيون إلى الآشوريين في مقابل السماح لهم في أسواق الحكومة الآشورية (٤) .

ويفهم من هذه النقوش أن القبائل العربية الشمالية قد انضمت إلى الآراميين والفينيقيين في حروبهم مع الآشوريين ، وأن سبأ ، ربما بدافع من المصلحة التجارية بينها وبين الآراميين والقبائل العربية في الشمال ، قد اشتركت في هذه الحروب .

لكن نقش سنحاريب الذي عثر عليه في أساس (بيت اكيثو) لا يذكر إلا سبأ وحدها والهدية الثمينة ، لا الجزية ، التي أرسلها (كرب ال) ملك سبأ إلى سنحاريب بمناسبة بناء (بيت اكيثو) . وهذا يؤكد أن سبأ التي ورد ذكرها في النقوش الآشورية والتوراة هي سبأ بلاد البخور والطيب والاحجار الكريمة . . سبأ عدن ، وقده البعيدة عن فلسطين .

يجلبه الفينيقيون الى
خيار شنبر يغطون
وغيرها . ونبات
المحيطة بها حيوانات
ايعادها عن مهاجم
عيدان القرقة اكثر
القرقة ولا المكان
الذي تربى فيه .

نسميها قرقة تحمل
الجبال الشاهقة التي
للحصول على عيدان
الى قطع كبيرة وي
مسافة بعيدة ، فتأتي
تقوى على حملها فت
تصدر ، فيما بعد ،
العرب - بطريقة مد
يوجد في موضع ك
ترعى في الاحراج
العطور . وهو يحرق

ثم يستطرد ق
فقط اضيف اليه ان
العرب .
والشيء الاخر
الضأن لا يوجدان في
طولها عن أربعة أقدام
أطرافها بالارض أثناء
حظهم - معرفة كافية
حتى لا تمس الارض
بوصة (١) .

ان هذا الوصف
كان العرب الجنوبيون
* باخوس اله الخمر عند

٢ - الكتب الكلاسيكية

اذا كانت جميع نقوش المسند ، باستثناء ذلك النقش الذي عثر عليه في
تابون زيدال بن زيد المعيني في مصر لا تذكر شيئاً عن نشاط اليمنيين البحري
واذا كانت جميع الرقم المسماة الاشورية واسفار التوراة ، فيما عدا سفر حزقيال
الذي ذكر المواضع اليمنية الرئيسية على الساحل الجنوبي ، التي ورد فيها ذكر
سبأ ، لا تشير الا الى تجارة اليمنيين البرية الثمينة ، فان الكتب الكلاسيكية ، لا
سيما كتاب « الطواف حول البحر الازتييري » تعطينا صورة تكاد تكون واضحة
المعالم لنشاط اليمنيين البحري وتجاراتهم البرية والبحرية .

ولنبداً اولاً بما جاء عن بلاد العرب في كتب التاريخ لابي التاريس
هيرودتس .

في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، أيام الاحتلال الفارسي لمصر ، زار
هيرودتس مصر ، وسافر في النيل الى السودان ، وتمكن من زيارة اطراف طور
سينا الغربية ، وكانت تعتبر جزءاً من بلاد العرب . ومن هنا وهناك جميع
هيرودتس الفث والسمين من المعلومات عن بلاد العرب . وجعلها على شكل
مثلث في خريطته التي وضعها للعالم ، وقال أنها تقع على حدود العالم الجنوبية .

وقال ان بلاد العرب هي الموطن الوحيد للبخور والمر وخيار شنبر والقرقة
(الدارصين) واللدن . والحصول على هذه الاشياء ، فيما عدا المر ، دون
مصاعب وأخطار جسيمة ، فالثعابين الطائرة تهاجم من يقترب من أشجار
البخور . وهذه الثعابين ، وهي من نفس الصنف الذي طار من بلاد العرب
وهاجم مصر ، صغيرة الحجم متعددة الالوان . ويقوم بحراسة أشجار البخور
عدد كبير منها ، والطريقة الوحيدة لإبعادها هي حرق صمغ (الميعة) - الذي

يجلبه الفينيقيون الى اليونان - فتهرب من دغاته . . . وعندما يذهب العرب لجمع
خيار شنبر يغطون أجسامهم ووجوههم ، فيما عدا العيون ، بجلود الثيران
وغيرها . ونبات خيار شنبر ينمو في بحيرة قريبة الغور تحوم فوقها والارض
المحيطة بها حيوانات تشبه الخفافيش تصرخ صراخا حادا مخيفا . وينبغي
ابعادها عن مهاجمة عيون الرجال أثناء قيامهم بقطع خيار شنبر . وطريقة جمع
عيدان القرفة أكثر غرابة من غيرها ، فالعرب انفسهم لا يعرفون من أين تأتي
القرفة ولا المكان الذي تنمو فيه . ويظن بعضهم انها تنبت في مكان ما من الاقليم
الذي تربى فيه Dionysus * باخوس والعيدان التي تعلمنا من الفينيقيين ان
نسميها قرفة تحملها طيور كبيرة الى اعشاشها المصنوعة من الطين في رؤوس
الجبال الشاهقة التي يتعذر التسلق اليها . والطريقة التي ابتدعها العرب
للحصول على عيدان القرفة ، هي أنهم يقطعون جثث الثيران والحمير وغيرها
الى قطع كبيرة ويحملونها الى الاماكن القريبة من الاعشاش ثم ينسحبون الى
مسافة بعيدة ، فتأتي الطيور وتحمل قطع اللحم الى اعشاشها ولكن الاعشاش لا
تقوى على حملها فتسقط على الارض ، فيأتي الرجال ويلتقطون عيدان القرفة التي
تصدر ، فيما بعد ، الى الاقطار الاخرى . ويجمع اللادن أو اللادنم - كما يسميه
العرب - بطريقة مدهشة جدا . ومع أن اللادن ذو رائحة عطرة خلابة الا انه
يوجد في موضع كريه الرائحة ، ذلك أنه يلتصق كمادة غروية بلحي التيوس التي
ترعى في الاحراج . ويستعمل اللادن كمادة أساسية في عمل أصناف كثيرة من
العطور . وهو يحرق ، خصوصا عند العرب ، كبخور .

ثم يستطرد قائلا : لقد قلت ما فيه الكفاية عن طيوب بلاد العرب . دعني
فقط اضيف اليه ان اريجا أبعد عن أن يكون أريجا أرضيا يفوح في جميع بلاد
العرب .

والشيء الآخر العجيب ، الجدير بالذكر ، هو الضأن . هناك صنفان من
الضأن لا يوجدان في مكان آخر غير بلاد العرب . صنف له إلية طويلة لا يقل
طولها عن أربعة أقدام ونصف ، اذا تركت وشأنها تتقترح بسبب استمرار احتكاك
أطرافها بالارض أثناء السير ، واتقاء لذلك يصنع الرعيان الذين أوتوا - لحسن
حظهم - معرفة كافية بالنجارة ، عربات صغيرة يضعون عليها أطراف الاليات
حتى لا تمس الارض . والصنف الآخر له إلية عريضة يبلغ عرضها ثمانية عشر
وصة (١) .

ان هذا الوصف الاسطوري لبلاد العرب وطريقة جمع الطيوب الثمينة التي
ن العرب الجنوبيون يتاجرون بها يدل ان على الشعوب ، خارج البلاد العربية ،

باخوس اله الخمر عند الرومان وديونيسوس عند اليونان .

كانت أيام هيرودس تجهل بلاد العرب الجنوبية وحقيقة مصادر تجارتها
التفيسة ، وأن العرب الجنوبيين ، خوها من طبع الطامعين في تجارتهم
ويلادهم ، كانوا حريصين على اخفاء اسرار تجارتهم وكل الحقائق عن بلادهم .

ومن المحتمل أن الناس في العالم القديم كانوا يعتقدون أن السلعة لا تكون
غالية لتدرة وجودها ولكن للنصاع والمخاطر التي تعترض سبيلها ، فشاعت بينهم
الحكايات والاساطير التي تدخل الرعب في قلب كل من يطمع في الحصول عليها
من مصادرها . كما لا يستبعد أن الحثركين لتجارة السلع الثمينة هم الذين اختلفوا
هذه الحكايات وروجوها . فالذهب مثلا كان يوجد - كما قال هيرودس -
بصحراء بالهند الى الجنوب من ايران ، عامرة بنوع من النمل يزيد حجمه عن
حجم الثعلب ، اذا شم رائحة الهنود الذين يأتون على جمالهم ليملاؤا اكياسا
بالرمل المخلوط بالتبر ، يخرج من باطن الارض ويلتهم الجمل وصاحبه اذا
أدركهما .

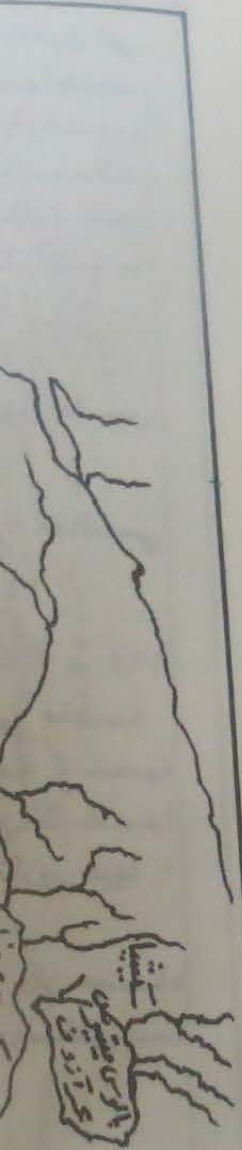
وحكاية الثعابين الطائرة التي تهاجم من يقترب من شجيرات البخور تذكرنا
بالنحل وابعاده عن الخلايا بالدخان عند جمع العسل .

اما طريقة الحصول على عيدان القرفة فتشبه طريقة الحصول على احجار
الاماس في أسطورة الستيداد .

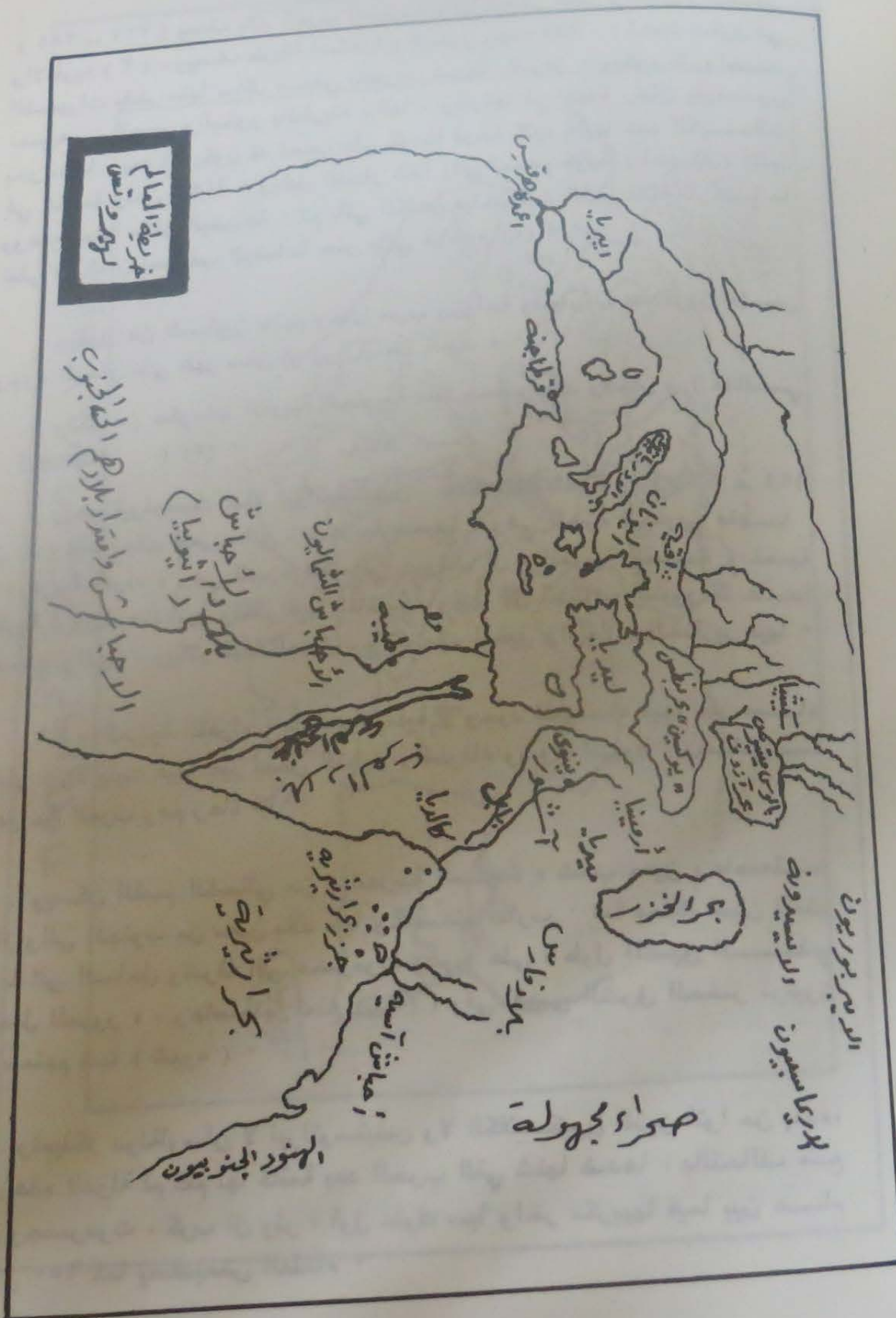
واللادن قد يكون المسك أو الزباد وقد يكون العنبر ، فالاول يستخرج من حيوان
كالغزال يوجد في الصين والهند ، أما الثاني فمادة توجد في جيب بين مبال ودبر
سنور الزباد . والثالث وهو مادة تخرج من باطن الحوت يقذف بها البحر الى
الساحل يدخل في عمل العطور الزكية الغالية ، كما يستعمل كبخور .

أما خبر الاغنام ذات الاليات الطويلة والعريضة فخير حقيقي لا تشوبه
الخرافة ، فهذه الاغنام لا تزال موجودة في اليمن حتى يومنا هذا . وقد شاهدها
البحار الايطالي لودي فيكودي بارتيمما Lodovico Di Berthema في
عام ١٥٠٨ وهو أول غربي زار اليمن (٢) . ويصح اعتبار معرفة المصريين لهذه
الاغنام دليلا على أن بلاد العرب الجنوبية ، ان لم تكن هي وحدها بلاد (بنت)
فهي جزء منها ، اذ لا توجد مثل هذه الاغنام في بلاد غيرها .

وبعد سقوط الامبراطورية الفارسية واحتلال الجيوش المقدونية لغرب آسيا
ومصر اتسعت معارف اليونان عن بلاد العرب وخلت من الجو الاسطوري الذي
تجده في وصف هيرودس لها . فثيوفراست (حوالي ٣٧٢ - ٢٨٧) أو



الذين يسمونهم
الذين يسمونهم
الذين يسمونهم



خريطة العالم
لوك ورس

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأحمر

البحر العربي

العراق

السعودية

البحرين

قطر

الإمارات

عمان

اليمن

السودان

إثيوبيا

الصومال

ليبيا

مصر

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأحمر

البحر العربي

العراق

السعودية

البحرين

قطر

الإمارات

عمان

اليمن

السودان

إثيوبيا

الصومال

ليبيا

مصر

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأحمر

البحر العربي

العراق

السعودية

البحرين

قطر

الإمارات

عمان

اليمن

السودان

إثيوبيا

الصومال

ليبيا

مصر

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأحمر

البحر العربي

العراق

السعودية

البحرين

قطر

الإمارات

(٢٨٤ - ٢٢٢) يصف بلاد العرب الجنوبية بأنها تصدر التمر واللبان والبخور والافاوية (٢) . ويصف طريقة استخراج البخور ويصفه قائلاً : « تحدث شقوق في الشجيرات يقطر منها سائل صافي يقطرات شبيهة بالؤلؤ . ويكوم كل واحد نصيبه من الصبر والبخور بالطريقة ذاتها . ويتركها في عهدة رجال يقومون بحراستها . بعد أن يكون قد نصب على كومتها لوحة كتب عليها عدد الكيلات في الكومة وثمان الكيلة . ويقبل التجار فإذا رأى أحدهم كومة (أمجبتة) كالمها ووضع ثمنها مكان البضاعة . ثم يأتي الكاهن فيأخذ ثلث الثمن للاله تاركاً ما تبقى في أمان لصاحب البضاعة حتى يأتي فيأخذه (١) » .

ويقول عن السبئين بأنهم رجال حرب وزراعة وتجارة « يسافرون على وجوه البحار على ظهر سفن أو زوارق من الجلد » .
وذكر من حكومات العربية الجنوبية سبأ وحضرموت وقتبان و (ممالى Namali) (٥) .

وبعد ثيوفراست جاء ايراتوستينس Eratosthenes (٢٧٦ - ١٩٤ ق م) فقسم بلاد العرب الى : « عربية سعيدة » وهي الجزء الجنوبي منها و « عربية قفراء » وهي الجزء الشمالي . وقال ان « العربية السعيدة » خصبة القربة ترويه عدة أنهر وتكثر فيها الماشية ، وفيها كل أصناف الطيور ما عدا الدجاج والاوز ، ويكثر فيها العسل ، ولا وجود للخيل والبغال والخنازير فيها .

أما « العربية القفراء » فأرضها رملية لا وجود للمياه فيها غير مياه الآبار ، ولا ينبت فيها غير بعض النخيل والطرفاء وشوك اليهود ، ويسكنها البدو من العرب وهم رعاة ابل .

ويسكن القسم الشمالي من « العربية السعيدة » شعب معين وعاصمته قرناو والى الجنوب من معين بلاد سبأ وعاصمتها مارب . أما مملكة قتبان فتعتمد جنوباً الى الساحل وشرقاً الى حضرموت وغرباً على « طول المضيق الذي يستعمل للمرور » ، وعاصمتها تمنع (تمنه) ، وفي أقصى الشرق الحضرموتيون وعاصمتهم شبا (شبره) .

ولم يذكر دولة أوسان لا ايراتوستينس ولا الكلاسيكيون الذين أتوا من بعده ، ولعل هذه الدولة لم تقم لها قائمة بعد الحرب التي شنها ضدها ، بالتحالف مع قتبان وحضرموت ، كرب ال وتر ، أول ملوك سبأ وآخر مكربيهما فيما بين عام ٦١٠ و ٦٥٠ كما يعتقد بعض العلماء .

ويذكر نقش صرواح المشهور أن كرب ال وثر أنزل الهزيمة بالآوسانيين
وقتل منهم وعن القبائل المتحالفة معهم ستة عشر ألف وأسر أربعين ألفاً .
وضمت أرضهم بعد هذه الحرب إلى مملكة قتيان .

ولو أن دولة أوسان عادت إلى الظهور من جديد في القرن الأول قبل
الميلاد أو بعده أو قبله لأفادت الكلاسيكيين نكرها خاصة وأنها كانت تسيطر على
الشريط الساحلي الممتد من مضيق باب المندب إلى حدود حضرموت والذي يقع
فيه ميناء عدن أهم موانئ العربية السعودية . وهناك قبائل أصغر من أوسان
كانت تعيش في العربية الجنوبية نجدها مذكورة في الكتب الكلاسيكية .

أما الأنهر التي قال إيراتوستينس أنها تروي أراضي العربية السعودية ،
فيحتمل أن تكون هذه الأودية التي كانت حتى عهد قريب تجري فيها بغزارة مياه
الينابيع المتدفقة من الهضاب الخصبة كوادي تبث وحجر وزبيد والخادر وسردود
والقيل ورسيان وغيرها ، ويعتقد بعض الجيولوجيين أن وادي خضرموت ، الذي
يتراوح عرضه عند مدينة تريم من أربعة إلى خمسة أميال كان إلى ما قبل عشرين
أو خمسة وعشرين ألف سنة نهراً عظيماً يتدفق صوب الشرق ويصب في بحر
العرب عند ميناء سيحوت (٥) .

وبلاد العرب - كما قال العلماء - كانت في العصر الجليدي الأعظم
(البلايستوسين) من بين المناطق الواقعة جنوبي البحر الأبيض المتوسط ، التي
كانت غزيرة الأمطار بسبب الرطوبة الجوية الناشئة عن الثلوج الهائلة التي كانت
تغطي معظم القارة الأوروبية . وكانت مغطاة بالمراعي الفسيحة والغابات
الكثيفة عامرة بالحيوان . ثم حدث تغير في المناخ لا يعرف العلماء أسبابه ، عم
الكرة الأرضية بأسرها ، فأخذت الثلوج على الجانب الشمالي للبحر المتوسط تذوب
تدريجياً فتناقص تبعاً لذلك ، هطول الأمطار على المناطق المذكورة ومن ضمنها بلاد
العرب ، فأخذ الجفاف يعريها من حلتها السندسية ويلبسها حلة من الرمال
الحارقة ، فاضطر الإنسان والحيوان إلى الهجرة إلى المناطق التي لم تصل إليها
بعد يد الجفاف (٦) .

ومما يستدل به العلماء على ذلك أدوات حجرية ترجع إلى العصر الحجري
القديم (الباليوليتي) والحديث (النيوليتي) عثر عليها في مناطق صحراوية
قاحلة .

وأخر ما عثر عليه من هذه الأدوات الحجرية في اليمن مجموعة من

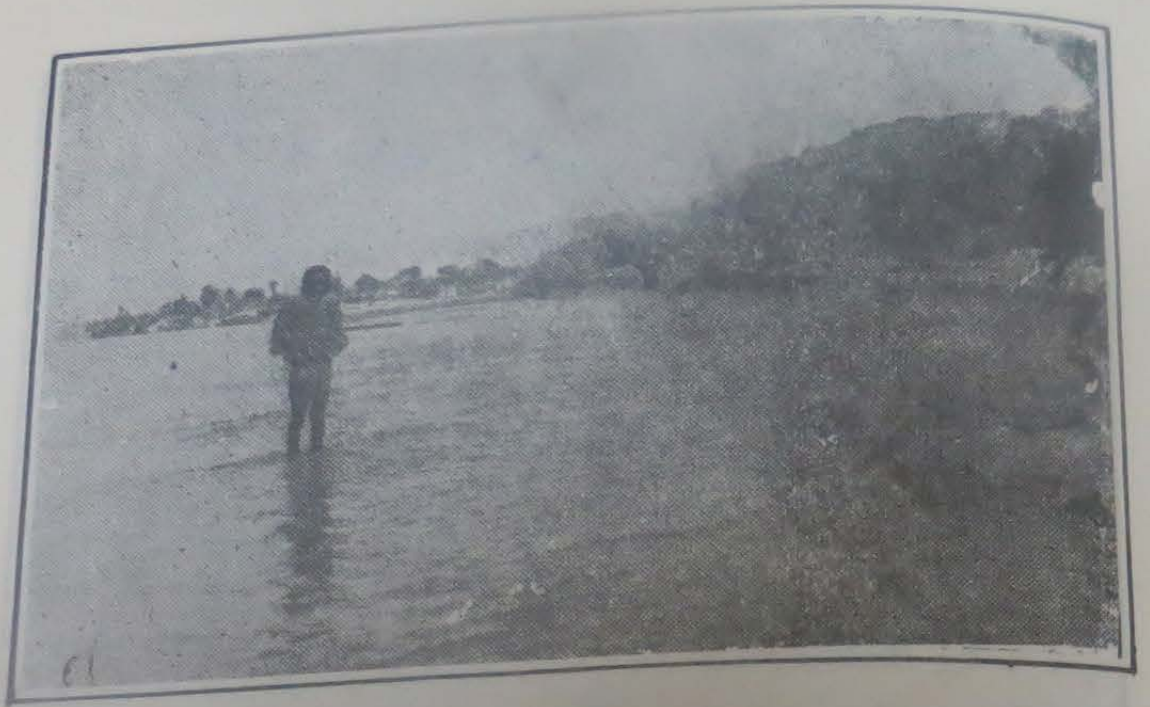


وادي حجر

الفؤوس المعروفة
مدراء متحف عدن
Sieveking
انها ترجع إلى
القديم ، وأنها كانت
الاكتشاف يعتبر
هذه الفؤوس ، أو
عليها في حضرموت
الآن ، في جنوب

وجبل تلح
على بعد حوالي
الغرب عند موقع

وقول إيراتوستينس



وادي حجر عند مصبه • (من كتاب • في جنوب الجزيرة • لصالح البكري)

الفؤوس المعروفة بفؤوس قبضة اليد ، عثر عليها السيد دو B. Doe ، أحد مدراء متحف عدن السابقين ، بجوار جبل تلح في عام ١٩٦٥ م • وقال G. De Sieveking أحد الاثريين في المتحف البريطاني ، في تقرير له عنها انها ترجع الى ما يعرف بعهد • Acheuleau أحد عهود العصر الحجري القديم ، وانها كانت تستعمل قبل أكثر من مائة وخمسين الف سنة • وان هذا الاكتشاف يعتبر ، لاريب ، الاول من نوعه في عموم شبه الجزيرة العربية ، وأن هذه الفؤوس ، اذا استثنينا بعض الادوات الحجرية الهزيلة الصنع التي عثر عليها في حضرموت • تعتبر أقدم بكثير مما عثر عليه الاثريون من الآثار حتى الان ، في جنوب البلاد العربية (٧)

وجبل تلح هذا ، جبل صغير منفرد ، يحيط به سهل صحراوي فسيح ، يقع على بعد حوالي ٤٠ ميلا الى الشمال من عدن ، ويطل على وادي تبين من جهة الغرب عند موقع ما كان يعرف قديما بسد العرائس •

وقول ايراتوستينس ان الماشية تكثر في العربية السعيدة يؤكد ذلك العدد



قؤوس حجرية عثر عليها بجوار جبل ثلع
(Aden Antiquities, Report for the Year 1964-65)

الضخم من الماشية التي يقول نقش صرواح ان الملك كرب ال وتر عاد بها من
أرض معين والقبائل المتحالفة معها . وقدر هذا العدد مائتا ألف رأس . هذا
وتعتبر اليمن المنطقة الوحيدة في بلاد العرب التي تصدر الجلود الى الخارج .
وفي العصور الجاهلية اشتهرت اليمن بأدمها ، وكانت هذه الادم على رأس السلع
التي كانت قريش تتاجر بها .

أما العسل فتعتبر حضرموت في الماضي والحاضر أكثر أرجاء اليمن انتاجا

له .

وكان المفروض ان تكون معلومات من أتوا بعد ايراتوستينس عن البلاد
العربية ، خاصة بعد ان بدأت السفن البطلمية تصل الى السواحل العربية أكثر
واقعية وشمولية ودقة من معلومات من سبقهم ، لا اثر فيها للخيال والمبالغة .
لكن يبدو ان هؤلاء اكتفوا بالاقتباس من معلومات من سبقهم ، كإيراتوستينس
وهيرودتس وغيرهما ، ثم اضافوا عليها كثيرا من الصور الخيالية والمبالغة ،
لقول هيرودتس ان أرجبا ابعد عن أن يكون أرجبا أرضيا يفوح في جميع بلاد

العرب ، تجده في قول اغاثر خيدس عن ساحل بلاد العرب الجنوبية : « يبدو ان ثمة اريجا سماويا تقصر الكلمات عن وصفه كان يحرك حواس كل انسان ويثيرها . بل انك لا تحرم من نصيب من هذه المتعة حتى اذا ابتعدت بالسفينة عن الساحل . ففي الربيع ، كلما هبت ريح من البلاد رأينا الشذى العطر يفوح من شجيرات المر وغيره يبلغ ما قارب الارض من البحر (٨) » .

وجاء ديودورس الصقلي (القرن الاول للميلاد) فنقل وصف اغاثر خيدس ضمن الصورة الرائعة التي رسمتها مخيلته للعربية السعيدة : « تفوح في طول البلاد وعرضها روائح عطر طبيعي . . . وتنمو على طول الساحل اشجار البلسم والقرفة . وهي نبتة من نوع خاص لطيفة المنظر عندما تقطع ولكنها سريعة الذبول . وفي الداخل غابات كثيفة تنمو فيها اشجار البخور والصبر الضخمة ، واشجار النخيل والكافور وغيرها من الاشجار ذات الروائح العطرة . ومن المستحيل تمييز خواص كل شجرة منها وطبيعتها بسبب وفرة عدد انواعها ، وضخامة كميات العطور المستخرجة منها . والعطور المستخرجة تبدو وكأنها سماوية وغير قابلة للتفسير ، وهي تتملك حاسة الشم وغيرها من الحواس لدى كل من يشمها ، حتى ان المسافرين لا يفوتهم التمتع بهذه المتعة ، رغم كونها على مسافة بعيدة عن الساحل ، اذ تحمل الريح التي تهب من اليابسة في الصيف ، روائح الاشجار العطرة فتوصلها الى الجزء المجاور لها من البحر . والذين يتمتعون بهذه الروائح العطرة يخيل اليهم وكأنهم تذوقوا طعام الخلود (٩) » .

ان سواحل بلاد العرب لم تنم فيها ، في يوم من الايام ، لا اشجار القرفة ولا البلسم . والقرفة ليست « نبتة لطيفة المنظر عندما تقطع ، ولكنها سريعة الذبول » . كما ان اشجار البخور والصبر ليست ضخمة . والعجيب اننا رأينا قبل قليل ثيوفراست الذي سبق ديودورس بحوالي ثلاثة قرون يأتي بمعلومات صحيحة عن شجيرات البخور وطريقة استخراجها .

وأقتبس ديودور من اغاثر خيدس ايضا وصفه لثراء السبئيين في قوله : « اما السبئيون فانهم متفوقون على جميع العرب المجاورين وغيرهم من الشعوب ، بثرواتهم . . وهم في الواقع يحصلون على افضل الاسعار في مقايضات البضائع والصفقات التجارية . ولهذا السبب ولكون بعد بلادهم قد جعلهم في منأى عن الغزو زمنا طويلا تراكت لديهم اكوام الذهب والفضة ، ولاسيما في سبأ حيث يقوم القصر . . والاقداح المختلفة التي يستعملونها مزينة بنقوش ذهبية وفضية ، وقد استعملوا الاسرة والمشاجب والقوائم الفضية ، واتسمت سائر

انواع الاثاث التي استعملوها بفخامة لا يكاد يصدقها العقل ، وانتصبت في مقدمة منازلهم مجموعة من الاعمدة الطويلة ، بعضها مذهب والبيض الآخر مسردان بتيجان تحمل رسوما فضية (١٠) .

وعزى استرابو (٦٤ ق م - ١٩ م) معظم ثراء السبئيين الى متاجرتهم بالطيوب والعطور وخاصة ذلك النوع الذي اسماه (لاريم) (١١) . كما نقل ، هو الآخر ، عن اغاثر خيدس فيما ذكره عن ثراء السبئيين وفخامتهم منازلهم واثاثهم : « اقتنوا اواني مطبخ ذهبية وقضبة ومزهريات وشجيا واكوابا كبيرة ذات اغطية . وكانت مساكنهم ياديه الفخامة كسيت ابوابها وجدرانها وسقفها بالفسيفساء الذهبية والفضية والعاجية المزدانة بالحجارة الكريمة » .

وقد استند ادولف جرمان الى وصف اغاثر خيدس لمساكن السبئيين في معرض حديثه عن الفن المعماري اليمني القديم : « وكان العربي الجنوبي يهتم بصفة خاصة ، الى جانب اجادة العمل ، بالزخرفة ، خاصة زخرفة الاسقف والحيطان والابواب . اذ كان يمعن في زخرفتها بالسنن والذهب والفضة والاحجار الكريمة . اما الاعمدة فكان يزخرفها بصفائح من الذهب والفضة (١٢) » .

واذ كان ديودورس قد جمع بين الحقيقة والخيال في وصفه لبلاد العرب الجنوبية ، فان وصف بليني (بليمنوس) المتوفي عام ٧٩ م يكاد يخلو من المبالغة والخيال . يقول ان نصف القبائل العربية التي تفوق الحصر « يشتغل بالتجارة ويعيش النصف الآخر على نهب وقطع الطرق » . والعرب اغنى امة العالم طرا لتدفق الثروة من روما وبارثيا (فارس) اليهم وتكدسها بين ايديهم ، فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر ومن غاباتهم ولا يشترون شيئا مقابل ذلك » . وقال : « ان المعينيين كانوا يملكون ارضا خصبة يكثر فيها النخيل والاشجار ، وكان لهم قطعان كثيرة من الماشية » . وان السبئيين كانوا اعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنية بالاشجار من عطور ، وبما يملكونه من مناجم الذهب والارضين المزروعة المزواة وما ينتجون من العسل وشمع العسل ، كما كانوا ينتجون العطور (١٢) » .

وكثرة الماشية والعسل في العربية السعيدة قد ذكره - كما رأينا - ايراتو ستينس . اما النخيل فقديم في اليمن ويكثر في تهامة ونجران وحضرموت . وكان الجوف الى عهد قريب مغطى بالاحراج الكثيفة . والجوف ونجران والجزء الشمالي من تهامة اليمن من الاراضي التي كانت معين تسيطر عليها . وكانت

الغابات تغطي
تقام عليها المزارع
اثناء الصيف
الشمالية من بلاد

اما مناجم
ان مناجم الذهب
الجزء الذي ظل
عددا من مناجم
عليه من التبر في
بني طاهر عام ٧٥

لكن رغم كل
والفضية وزخرفة
يعثر ، حتى الآن
هذه الاواني والاد
الكثيرة ، او ان شئ
السعيدة .

وكما اشتهر
الطيوب والعطور
السبئيون يتاجرون
منه افخر العطور
العطور او الطيب
العنبر لا الصبر .
العطور اليمنية .
العنبري) .

وفي القرن الا
العرب الغربية والجب
حول البحر الارتريري
هام من ماضي اليمن

الغابات تغطي معظم الهضبة الجنوبية الغربية من سلسلة جبال السراة ، قبل ان تقام عليها المزارع المدرجة ، اذ يقرأح منسوب الامطار الموسمية التي تهطل عليها اثناء الصيف ما بين ٢٠ و ٤٠ بوصة ، وهي لا تختلف كثيرا عن الهضبة الشمالية من بلاد الحبشة من ناحية خصوبة التربة ودرجة الحرارة والنباتات .

اما مناجم الذهب التي يمتلكها السبئيون ، فهناك الكثير من الادلة ما يؤكد ان مناجم الذهب كانت موجودة في الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية ، وهو الجزء الذي ظل زمنا طويلا تحت سيطرة العرب الجنوبيين . وقد ذكر الهمداني عددا من مناجم الذهب التي وصل اليه خبرها في البلاد العربية . وآخر ما عثر عليه من التبر في اليمن كان في عهد المجاهد شمس الدين علي بن طاهر احد ملوك بني طاهر عام ٨٧٥ هجرية ، عثر عليه بجوار قرية واسط بساحل زبيد (١٤) .

لكن رغم كل ما ذكر عن ثراء السبئيين واقتنائهم الاواني والادوات الذهبية والفضية وزخرفة قصورهم بالذهب والعاج والفضة والاحجار الكريمة ، فانه لم يعثر ، حتى الآن على شيء من ذلك في المناطق التي جرى فيها التنقيب . ولعل هذه الاواني والادوات قد تعرضت للنهب عدة مرات اثناء الحروب الداخلية الكثيرة ، او ان شيئا منها لا يزال تحت الرمال بين انقاض عواصم العربية السعيدة .

وكما اشتهر السبئيون باقتناء الذهب والمقايسة به اشتهروا ايضا بصنع الطيوب والعطور والمتاجرة بها . يقول ثيو فراست ان اكثر السلع ، التي كان السبئيون يتاجرون بها ، مكسبا كان بيع الصبر (١٥) ، الذي كانوا يستخرجون منه افخر العطور . لكن الصبر كما هو معروف لا يستخرج منه اي صنف ، من العطور او الطيب ، ولعل خطأ قد وقع في الترجمة ، وان ثيو فراست كان يقصد العنبر لا الصبر . فالعنبر كان قديما يدخل في عمل عطر (الغالية) اشهر وافخر العطور اليمنية . ولا يزال العنبر حتى وقتنا الحاضر يدخل في عمل (العطر العنبري) .

وفي القرن الاول للميلاد - كما يرجح اغلب الباحثين - زار سواحل بلاد العرب الغربية والجنوبية ذلك التاجر او الرحالة اليوناني صاحب كتاب « الطواف حول البحر الارتييري » . الكتاب الذي يعود اليه الفضل في الكشف عن جانب هام من ماضي اليمن ، لم تذكره نقوش المسند ولا التوراة ولا بقية الكتب

الكلاسيكية ، ذلك هو النشاط البحري الواسع . لقد وجد صاحب (الطواف ...)
العرب الجنوبيين لا يقبضون فقط على زمام قوافل التجارة البرية بين بلادهم
واسواق الشام ولكنهم يقبضون أيضا على زمام التجارة البحرية بين موانئهم
وسواحل شرق افريقية والهند . لهم مراكب كثيرة يسافرون عليها الى سواحل
شرق افريقية حتى (ريطه) Rhapta على ساحل موزمبيق . وموانئهم مليئة
بأصحاب السفن والملاحين العرب ، وهم في شغل شاغل بشؤون التجارة . كما
وجدهم يحكمون ارتيريا والصومال وساحل كينيا وريطه .

وبعد فلولا هذه الاشارات والعبارات القصيرة المتناثرة في بطون الكتب
الكلاسيكية عن العربية السعيدة لما عرفنا ان العرب الجنوبيين كانوا يسيطرون
على اهم طرق تجارة العالم القديم البرية والبحرية . وانهم كانوا تجارا ورجال
بحر مغامرين . وان بلادهم كانت تزود العالم القديم بأهم السلع المقدسة لديه
كالبخور والمر ، وبازكى الطيوب والعطور . وانهم كانوا يتاجرون بالذهب
والتوابل وغيرها من السلع النفيسة . وانهم واهل جرحا جعلوا سورية البطلمية
- كما قال اجاثر خيدس - غنية بالذهب « واتاحوا للتجار الفينيقيين تجارة
رابحة » .

(٢)

العربية الجنوبية وشرق افريقية

قبل حوالي
زبيد . وكان اكبره
(رمص) كما يسمي
عاصفة رملية هوج
في الصيف على
بسرعة الى المياه
تدفع الرمث بسرعة
على اللجوء الى
الرمث وتشبث بكل
ومضى الليل والصبح
مقربة من جزيرة ()
الفاصلة بين الساحل
هبّت الرياح الجنوبي
العربي ، فشاهده
خبر الرمث قد بلغهم
الذي اعتبر في عداد
التيار استمر في دفع
صباح اليوم التالي

وأثناء الاحتلال
الفقراء ، على ساحل

قبل حوالي خمسة وعشرين عاما كان صبية يلعبون وقت الاصيل على ساحل زبيد . وكان اكبرهم في حوالي الرابعة عشر من عمره ، يجلس على رمث او (رمص) كما يسمى هناك ، ومن حوله راح زملاؤه يعبثون بالرمث ، وفجأة اقبلت عاصفة رملية هوجاء ، من تلك العواصف التي تهب عادة عند هطول الامطار في الصيف على المرتفعات الشرقية ، فافلت الرمث من قبضة الصبية واندفع بسرعة الى المياه العميقة قبل ان يتمكن الصبي من القفز منه ، وراحت العاصفة تدفع الرمث بسرعة جنونية صوب الغرب فصرخ الصبية ولكن العاصفة ارغمتهم على اللجوء الى الاحراج على الساحل . اما الصبي المسكين فقد امتد على الرمث وتشبث بكل قوته بجذوعه . واستمرت العاصفة حتى غروب الشمس . . ومضى الليل والصبي لا يزال على الرمث . وعند الفجر كان الرمث يتسكع على مقربة من جزيرة (زغر) . وهي جزيرة تبعد عن ساحل زبيد زهاء ثلث المسافة الفاصلة بين الساحلين : العربي والافريقي . وقبل الظهر من اليوم التالي هبت الرياح الجنوبية الغربية فدفعت الرمث الى الشرق . . الى الساحل العربي ، فشاهده بعض صيادي غليفته (احد الموانئ اليمنية القديمة) وكان عبر الرمث قد بلغهم ، فأسرعوا اليه بقواربهم . وعادوا عند العصر بالصبي ، لذي اعتبر في عداد الهالكين وبالرمث الذي صمد في وجه العاصفة . ولو ان لتيار استمر في دفع الرمث صوب الغرب لوصل الى الساحل الافريقي ربما قبل صباح اليوم التالي .

وأثناء الاحتلال الايطالي لارتيريا والحبشة ، كان بعض رجال البحر فقراء ، على ساحل تهامة يبني زوراق صغيرة من صفيح العلب المستعملة

ويسافر عليها تحت جنح الظلام الى السواحل الاريقية القريبة . وقبل ان يبلج الصباح يكون قد تسلسل الى البر الارتيري بعد ان يترك الزوارق على السواحل ولا يستعملها مرة ثانية . ومع ان اجرة السفر على المراكب الشراعية الى ميناء عصب الارتيري كانت آنذاك لا تتعدى بضعة دراهم . فانهم كانوا يفضلون المجازفة بالسفر على زوارق الصفيح لاسباب منها انها تتيح لهم السفر متى شاءوا وتوصلهم في ساعات قلائل الى الساحل الارتيري . هذا الى ان بناءها لا يكلفهم شيئا من المال .

مما سبق يمكن الاستدلال على امكانية وسهولة التنقل بين الساحلين المجاورين لمضيق باب المندب بوسائل النقل البدائية كالاطواف والارماث وبالتالي على ان السلت بين شرق افريقية وبلاد العرب الجنوبية قد بسدت منذ بداية عهد سكان الساحل العربي بالارماث والاطواف . ويمكن القول ان الانسان يمكنه اذا ما وصل الى اي مكان من ساحل شرق افريقية ان يصل الى خليج السويس في الطرف الشمالي لهذا الساحل او جنوب افريقية في طرفه الجنوبي . وعليه فان موجات المهاجرين من بلاد العرب التي اخذت تتدفق عبر مضيق باب المندب وخليج عدن الى شرق افريقية ربما استقرت في بادئ الامر على الشريط الساحلي الصحراوي المجاور لمضيق باب المندب من ارتيريا وصوماليا ثم اخذت في الانتشار تدريجيا شمالا وجنوبا على طول الشريط الساحلي . اما انتشارها الى الداخل فقد حدث منه كثافة الغابات والسكان الاصليين .

وهناك من العلماء من يرى « ان البحر الاحمر كان بحيرة في الاصل . وكانت افريقية والعربية الجنوبية قطعة واحدة عند جنوب هذه البحيرة ، اي عندما يسمى بـ (مضيق باب المندب) في الزمن الحاضر ، ولكن خسفا وقع ادى الى انفصال افريقية عن العربية الجنوبية الغربية فاتصل المحيط الهندي بالبحيرة وتكون البحر الاحمر . وقد كان الناس قبل وقوع هذا الانفصال يتنقلون برا وكان افريقية وجزيرة العرب قطعة ارض واحدة ، ومن هنا كانت الهجرات » (١)

ولعل سهولة التنقل بين الساحلين هي التي جعلت بعض المؤرخين العرب يعتقد ان البحر بينهما كان مضاخة ، فجياش بن نجاح ، أحد ملوك بني نجاح في اليمن قال في كتابه (الفيد في اخبار زييد) . ان البحر بين

البرين : العربي
سيراً على الاقدام

وقال ابن
الاحمر (الى عدن
باحة ، فجاء ذو
خليجاً في البحر
عدن في البحر
الجبال ، شبه الجبل
باق بائن في ذرى
الاخضر . والدليل
الملحبة ولحج ، ويبي
جبل دارزينة . وما
الارض بعيد عن البر
ولم يكن بهذه الارض
فساح الى ان وقف
وجدة يسمى مطارده
الخيول في هذه الارض
بحراً . وكان البحر
الاراضي وما علاه
القلزم ، فطال وعرض

والهجرات الى
وتهامة ، وبقية ارجاء
عهد قريب .

وقد أدت هذه
فيه الدم العربي بالدم
بالافريقيين ، كما فعل
كتاب (الطواف حول

ثم جاءت هجرات
سواحل بلاد العرب الج

البرين : العربي والافريقي كان مخاضة ، وان الناس كانوا يعبرون هذه المخاضة
سيراً على الاقدام (٢) .

وقال ابن مجاور في (تاريخ المستبصر) انه « كان من القلزم (البحر
الاحمر) الى عدن الى وراء جبل سقطره كله بر واحد متصل لا فيه بحر ولا
باحة ، فجاء ذو القرنين ، في دورانه ، ووصل الى هذا الموضع . ففتح ابو جعفر
خليجاً في البحر فجري البحر فيه الى ان وقف على جبل باب المندب ، فبقى
عدن في البحر وهو مستدير حولها ، وما كان يظهر من عدن سوى رؤوس
الجبال ، شبه الجزر . ولنا على قولنا دليل واضح ان اثار ماء البحر والموج
باق بائن في ذرى جبل العر والجبل الذي بني على ذروته حصن التعكر . وجبل
الاخضر . والدليل الثاني ان شداد بن عاد ما بني ارم ذات العماد الا ما بين
اللخبة ولحج ، وبين المغاوى ، التي على طريق المفاليس ، وهو الرمل الذي الى
جبل دارزينة . وما بناها الا في اطياب الاراضي والاهوية والجو في صفاء من
الارض بعيد عن البحر . والان رجع البحر في اطراف بلاد ارم ذات العماد . .
ولم يكن بهذه الارض بحر وانما استجد بفتح ذي القرنين فمه من جزيرة سقطره
فساح الى ان وقف آخره المندب . والدليل الثالث ان البحر الذي ما بين السرين
وجدة يسمى مطارده الخيل ، ومرابط الخيل ، والاصل فيه ان العرب كانت تربط
الخيال في هذه الارض . والاصح انهم كانوا يطاردون به الخيل ، لما لم يكن
بحراً . وكان البحر ارضاً يابسة ، فلما غرق ذو القرنين باب المندب غرق جميع
الاراضي وما علا منها صارت جزراً . . . فجري البحر فيه الى ان وقف آخر
القلزم ، فطال وعرض وترخى وانبسط وانفرش فبانت ارض عدن » .

والهجرات الى شرق افريقية جاءت من المناطق الفقيرة في حضرموت
تهامة ، وبقية ارجاء بلاد العرب الجنوبية ، ولم تتوقف هذه الهجرات الا منذ
هذه قريبات .

وقد أدت هذه الهجرات الى ظهور جيل على الجانب الافريقي امتزج
الدم العربي بالدم الافريقي ، اذ لم يأنف المهاجرون العرب من الاختلاط
افريقيين ، كما فعل المهاجرون الاوروبيون ، وانما كانوا - كما قال صاحب
ب (الطواف حول البحر الارتيري) - يسكنون معهم ويتزاوجون معهم .

ثم جاءت هجرات معاكسة ، من المولدين وغيرهم ، من شرق افريقية الى
حل بلاد العرب الجنوبية ، فبدأ الدم الافريقي ينتشر بين سكان المناطق

الساحلية ، وازداد انتشارا بعد تدخل الاكسوميين في اليمن . وتأثر الاجزاء الجنوبية والغربية من شبه الجزيرة العربية بالدم الافريقي جعل بعض العلماء يعتقد ان سكانها من اصل افريقي . لكن هذا الرأي عارضه كثير من علماء الاجناس وقالوا : ان الجماعات السامية التي امتلأت بها شبه الجزيرة العربية في الشمال والجنوب ، قد هاجرت الى افريقية عن طريق السويس وباب المندب . ولكن استخدام مزرع السويس كان محدودا في مزارع الهجرات ، قديما ، بسبب كثرة المياه الصحلة والمستنقعات به ، وفي الدلتا ، ولذلك لم يستخدم على نطاق واسع .

والساميون الذين هاجروا الى افريقية عن طريق باب المندب « يطلق عليهم في بعض الاحيان اسم (الارتيريين) ، وهم المجموعة الشرقية من العناصر القوقازية وتضم : المصريين القدماء ، والبعثاء في منطقة البحر الاحمر ، ومعظم سكان الحبشة : (الامهرا ، والجالا ، والدناكل) ، والصومال ، والنوبيين او البرابرة » (٣) .

وهناك من يرى ان الساميين هاجروا من افريقية الى الشرق الادنى عن طريق باب المندب وبرزخ السويس . لكن اغلب علماء الاجناس يرون ان « افريقية تأثرت بالدماء الاسيوية اما تأثيرها في دماء اهل الشرق الادنى ، وفي دماء سكان جزيرة العرب فقد كان قليلا . ولهذا فمن الصعب تصور هجرة الساميين من افريقية الى جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق » (٤) .

ولا يعقل ان يهاجر الانسان حبا في الهجرة ذاتها وان يترك ارضا خصبة تتوفر فيها امسباب المعيشة كمعظم ارجاء القارة الافريقية ، الى ارض قاحلة تصعب فيها الحياة كأغلب مناطق شبه الجزيرة العربية .

والملاحظ ان تأثير بلاد العرب بالدماء الافريقية لا يتجاوز حدود الصحراء والهضاب التي تفصل الشريط الساحلي عن اعماق البلاد العربية . كما ان كثافة وهمجية السكان الافريقيين قد حالت دون تغلغل الدم الاسيوي في اعماق افريقية ، خاصة فيما وراء صوماليا جنوبا وشرقا . فبقي المهاجرون هناك على شريط ساحلي ضيق وعلى الجزر القريبة منه . اما على البر الافريقي القريب من بلاد العرب كالحبشة والصومال والسودان فقد تغلغلت فيه الهجرات ووصلت مناطق بعيدة منه .

وظل الشريط الساحلي الافريقي حول مضيق باب المندب وخليج عدن



سيدة من « الجالة » اق

اثنان من « الامحرا » في رقصة شعبية



• سيدة من صوماليا •



• سيدة من « الجالة » اقليم هرر •



• اثنان من « الامحرا » الحبشة
• في رقصة شعبية •

الساحلية ، وازداد انتشارا بعد تدخل الاكسوميين في اليمن .
وتأثر الاجزاء الجنوبية والغربية من شبه الجزيرة العربية بالدم الافريقي
جعل بعض العلماء يعتقد ان سكانها من اصل افريقي . لكن هذا الرأي عارضه
كثير من علماء الاجناس وقالوا : ان الجماعات السامية التي امتلأت بها شبه
الجزيرة العربية في الشمال والجنوب ، قد هاجرت الى افريقية عن طريق
السويس وباب المندب . ولكن استخدام برزخ السويس كان محدودا في مرور
الهجرات ، قديما ، بسبب كثرة المياه الضحلة والمستنقعات به ، وفي الدلتا ،
ولذلك لم يستخدم على نطاق واسع

والساميون الذين هاجروا الى افريقية عن طريق باب المندب «يطلق عليهم
في بعض الاحيان اسم (الارثريين) ، وهم المجموعة الشرقية من العناصر
الموقازية وتضم : المصريين القدماء ، والبجاء في منطقة البحر الاحمر ،
ومعظم سكان الحبشة : (الامهرا ، والجالا ، والدناكل) ، والصومال ،
والنوبيين او البرابرة ، (٣) .

وهناك من يرى ان الساميين هاجروا من افريقية الى الشرق الادنى
عن طريق باب المندب وبرزخ السويس . لكن اغلب علماء الاجناس يرون ان
« افريقية تأثرت بالدماء الاسيوية اما تأثيرها في دماء اهل الشرق الادنى ،
وفي دماء سكان جزيرة العرب فقد كان قليلا ولهذا فمن الصعب تصور
هجرة الساميين من افريقية الى جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ، (٤) .

ولا يعقل ان يهاجر الانسان حبا في الهجرة ذاتها وان يترك ارضا خصبة
تتوفر فيها اسباب المعيشة كمعظم ارجاء القارة الافريقية ، الى ارض قاحلة
تصعب فيها الحياة ك اغلب مناطق شبه الجزيرة العربية .

والملاحظ ان تأثير بلاد العرب بالدماء الافريقية لا يتجاوز حدود الصحراء
والهضاب التي تفصل الشريط الساحلي عن اعماق البلاد العربية . كما ان
كثافة وهمجية السكان الافريبيين قد حالت دون تغلغل الدم الاسيوي في اعماق
افريقية ، خاصة فيما وراء صوماليا جنوبا وشرقا . فبقي المهاجرون هناك على
شريط ساحلي ضيق وعلى الجزر القريبة منه . اما على البر الافريقي القريب
من بلاد العرب كالحبشة والصومال والسودان فقد تغلغلت فيه الهجرات ووصلت
الى مناطق بعيدة منه .

وظل الشريط الساحلي الافريقي حول مضيق باب المندب وخليج عدن



سيدة من صوماليا



سيدة من « الجالة » اقليم هرر



اثنان من « الامحرا » الحبشة
في رقصة شعبية



فتاة من جزر القمر .



فتاة من « المهرة » اليمن .



فتى من « الدناكل » ارتيريا .

مرتبطا بـ
مرات تحد
ولاية (ا
الافريقي
المالية وا
الاتراك فـ
جاراني
الصومال
بحيرة (فـ
يسرع البـ
أحمد (6)

وكا
وتضم بلا
المنطقة النـ
فالشريط

ففي
سقطرى هـ
وجد بالحد
بنت . وفـ
الند و (دـ

وعلم
جنوبا ، و
أقامها الفـ
أدهش مسـ
الذي لعبه
وطنهم الاـ

وصلا

* الدكتور

مرتبطا بالساحل العربي المقابل له حتى عهد قريب . بل ان الساحلين كانا عدة مرات تحكمهما حكومة مركزية واحدة . ففي عهد الدولة الرسولية كان ضمن ولاية (الطواشي أهيف) الوالي الرسولي علي زبيد ، المنطقة من عدن جنوبا ~~الى~~ عرض شمالا على الجانب العربي . ومن عوان الى زيلع على الجانب الافريقي (٥) . وكان ملوك بني رسول ثم بني طاهر من بعدهم يقدمون المساعدات المالية والعسكرية لامراء الساحل الافريقي في حربهم مع الاحباش . وحتى الاتراك في عهد احتلالهم الاول لليمن ، قدموا المساعدات العسكرية للامام احمد جاراني ، الذي سيطر على المنطقة الممتدة من كسلا شمالا حتى حدود بلاد الصومال الجنوبية ، واستولى على قسم كبير من بلاد الاحباش حتى وصل الى بحيرة (تانا) . وكان يستخدم في قتاله البنادق التي امدّه بها الاتراك . ولولم يسرع البرتغاليون الى نجدة الاحباش لسقطت الحبشة بكاملها في قبضة الامام احمد (٦) .

وكان هذا الشريط الساحلي يعرف من قبل ببلاد (عادل) او (عدول) وتضم بلاد الصومال وجزءا من ارتيريا . وهي كما يرى بعض العلماء جزء من المنطقة التي كان قدماء المصريين يطلقون عليها اسم (بنت) اما الجزء الآخر فالشريط الساحلي العربي المقابل لبلاد الصومال (٧) .

ففي هذين الجزئين يوجد البخور والمر والطيب . وقد تكون جزيرة سقطرى هي بنت ، فأسطورة الملاح المصري الذي نجا من الفرق تذكر ان الملاح وجد بالجزيرة التي القت به الامواج على سواحلها ثعبانا زعم انه امير بلاد بنت . وفي جزيرة سقطرى يوجد البخور والصبر والزباد والعنبر وخشب الند و (دم الاخوين) .

وعلى طول الشريط الساحلي الممتد من (مقديشو) شمالا الى (سفاله) جنوبا ، والجزر المجاورة له انشأ العرب مستوطنات كتلك المستوطنات التي اقامها الفينيقيون على سواحل البحر الابيض المتوسط ، وشيدوا حضارة ادهش مستواها الرفيع البرتغاليين عندما شاهدوها لأول مرة . وكان الدور الذي لعبه الحضارة في بناء هذه الحضارة دورا لم يقوموا بمثله حتى في وطنهم الاصلي (٨) .

وصلة العرب الجنوبيين بهذا الشريط الساحلي ، او كما يسميه العرب

* الدكتور فخري . (انتصار الحضارة) . (حاشية ص ١٢٧) .

(السوا
عليه صا
تلك الدوا
البحر وك
مجزء الب
السكان
لفتهم ٩)

ويه
فابين بطو
يعض هن
عاما فوج

عائ
جعلت اح
السعيدة
المعدنية و
بالسلع الم
الذي كان

وك
المتناثرة
ميناء لهم
قد وقفا

وفي
الذهب تس
ابن بطوط
(كلوه)

البر مسير
وصلاح و
وركبنا الب
... وذكر



Page 256a

الباب العربي الجميل في احد دور زنجبار .

Many of the houses in Zanzibar have beautifully carved, brass studded Arab doorways.

(نقلت الصورة من Year Book & Guide to East Africa)

(السواحل) ، صلة قديمة ترجع الى ما قبل الميلاد بقرون عديدة . وقد اطلق عليه صاحب كتاب (الطواف) اسم Azania أو Aussanttea وهو اسم تلك الدولة التي كانت تسيطر على الاراضي الواقعة الى الجنوب من قتيان حتى البحر وكانت عدن ميناءها الرئيسي وقال صاحب (الطواف) ان هذا الساحل مجزء الى امارات ومشيخات صغيرة يحكمها العرب . وان العرب يالفون السكان المحليين ويسكنون ويتزاوجون معهم ويعرفون كل قراهم ويتكلمون لغتهم (٩) .

وبقيت السواحل مجزئة الى امارات ومشيخات حتى احتلال الغرب لها ، فابن بطوطه الذي زارها بعد صاحب (الطواف) بنحو ثلاثة عشر قرنا ذكر بعض هذه الامارات الصغيرة ، وجاء البرتغاليون بعده بحوالي مائة وسبعين عاما فوجدوا لكل مدينة تقريبا اميرا او شيخا كما كان يسمى هناك .

عاش السواحليون عيشة بدخ وترف في مدن مزدهرة عظيمة الثراء جعلت أحد البرتغاليين الذين زاروها عام ١٥٠٠م يطلق عليها اسم (العربية السعيدة) Arabia Felix (١٠) . كانوا يقايضون الاقمشة والحلي بالمعدنية والخرز والملح والتمر وغيره من السلع التي كانت ترد من اليمن والهند بالسلع المحلية كالذهب والعاج والعنبر والاختشاب والشمع والعسل وارز (كلوه) الذي كان يعشّر في عدن .

وكان لهم اسطول تجاري ضخم ينقلون عليه هذه السلع فيما بين موانئهم المتناثرة على طول الساحل وعلى ضفاف الانهار الكبيرة . وكانت سفاله آخر ميناء لهم الى الجنوب . ولعل شدة البرد والساحل الصخري فيما وراء موزمبيق قد وقفا عقبة أمام الهجرات العربية الى اقصى جنوب افريقية .

وفي بر (سفاله) كانت مناجم الذهب . وكانت المنطقة التي يوجد بها الذهب تسمى ، ايام ابن بطوطه ، (يوفى) وهي من بلاد الليميين . قال ابن بطوطه : « ثم ركبت من مقدشو متوجها الى بلاد السواحل قاصدا مدينة (كلوه) من بلاد الزنوج ، فوصلنا جزيرة (منبسا) ، وهي كبيرة بينها وبين البر مسيرة يومين في البحر ، وأهلها شافعية المذهب ، أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الصنع . وبتنا بهذه الجزيرة ليلة . وركبنا البحر الى مدينة كلوه ، وهي مدينة عظيمة ساحلية اكثر أهلها الزنوج ... وذكر لي بعض التجار ان مدينة (سفاله) على مسيرة نصف شهر من

كلوه . وأن بين سقائه و (يوفى) من بلاد الليميين مسيرة شهر ، ومن (يوفى)
يؤتى بالنير الى سقائه . ومدينة كلوه من أحسن المدن وأتقنها عمارة . وأهلها
أهل جهاد لأنهم في بر واحد مع كفار الزنوج . والغالب عليهم الدين والصلاح ،
وهم شاقمية الذهب . وكان سلطانها في عهد دخولي اليها (أبو المظفر حسن)
ويكنى أيضا (أبو الوهاب) (١١) .

ونذكرنا اسم (يوفى) و (أوفير) والجدل الذي ثار حول موقعها
وذهبها . فقد ذكر سفر الملوك أن سليمان أرسل ثلاث سفن من (عسيون جابر)
بجانب (ايله) ، الى أوفير وعليها نواتية فينيقيون من عبيد صديقه (حيرام)
ملك (صور) الفينيقي . وقد عادت السفن من (أوفير) بأربعمائة وعشرين
وزنة من الذهب وبخشب الصندل والحجارة الكريمة وغيرها من السلع التي
كانت تصل الى فلسطين على يد العرب الجنوبيين . فمن العلماء من رأى أن
(أوفير) كانت في الهند ، وعارض هذا الرأي فريق آخر فقال انها كانت فسي
روديسيا) . وقال فريق ثالث انها في الجزء الغربي من بلاد العرب ، في المنطقة
المتدة من (عتود) شمالا حتى (القنفذة) جنوبا ، وهي المنطقة التي كانت تعرف
منذ القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن العاشر للميلاد بـ (ساحل الذهب) .

ومن الذين يزعمون أن (أوفير) كانت بروديسيا من يعتقد أن العرب
الجنوبيين قد وصلوا الى موزمبيق وروديسيا قبل أيام الملك سليمان ، والعهد
السبئي بزمان طويل ، وانهم سيطروا على المنطقة التي تزخر بمناجم الذهب
في روديسيا ، وانه كانت لهم صلات تجارية بقدمااء المصريين ، منذ أن عرف
هؤلاء المر والبخور . ومن هؤلاء (بيترز) ، الذي قام بدراسة المنطقة فيما بين
نهر زمبيزي شمالا ونهر سابى Sabi جنوبا . وقال بيترز أن جالية
من العرب الجنوبيين كانت تعيش في هذه المنطقة منذ الالف الثانية قبل الميلاد ،
وانه كان لها السيادة على الاراضي التي كان يستخرج منها الذهب بكميات
كبيرة في ذلك الوقت (١٢) .

وجاء في احد التقارير البرتغالية القديمة عن (السواحل) في عام ١٥٥٠م
أن اقدم مناجم الذهب تقع في اقليم Toroa الذي يعرف ايضا باسم Butua
وينحكم هذا الاقليم امير يدعى Burrom وهو تابع لملك Benametapa الكبيرة
وهذه المناجم في سهل فسيح في وسطه حصن مربع الشكل مبني من حجارة
ضخمة لا يوجد بينها ملاط ، وعرض الجدار أكثر من (٢٥) شبرا ، أما ارتفاعه
فلا يعتبر عاليا بالنسبة لعرضه ، وفوق مدخل هذا المبنى كتابة لا يستطيع التجار

والعلماء العرب ، الذين يسافرون الى هناك ، قراءتها ، ولا يدرون حتى ما كنه حروفها . وهذا السهل محاط بقلل عليها بنايات مشابهة لهذا المبنى من حيث الشكل وعدم استعمال الملاط بين احجارها الضخمة .

متى ومن شيد هذه المباني ؟ وبما ان السكان المحليين يجهلون فن الكتابة فانه لا يوجد لديهم سجل عنها ، الا انهم يقولون انها من صنع الجان . لانه بالنظر الى قوتهم وتجاربهم لا يبدو ممكنا في نظرهم ، ان تكون من صنع الانسان (١٣) .



A Mashona chief with his retinue.

روديسيا : احد زعماء قبيلة « ماشونا » وحاشيته . (لاحظ الملامح واللحي) .

(من : The Story of Kingsley Fairbridge)

والمناجم القديمة في روديسيا لم يجر فيها تنقيب . أما Zimbabwe
عاصمة Benametapa التي قام أحد الأثريين بالتنقيب في أنقاضها فتيبين أنها
حديث البناء وقد كانت قائمة حتى سقوط البرتغاليين في المحيط الهندي (١٤)
أي أن تاريخ انشائها لا يتعدى بضعة قرون قبل وصول البرتغاليين إلى شرق
أفريقيا . ويندر وأضحا أثر امتزاج الدم الآسيوي بالدم الأفريقي في بعض
سكان روديسيا كقبائل الماشونا Mashona إلى الشرق من (سلسبري) عاصمة
روديسيا .

وفي مادة (روديزيا) يقول صاحب النجد : « وقد عثر فيها (روديسيا)
على ضريح أحد المسلمين اسمه سلم بن صالح المتوفي في تلك الديار عام
(٧٠٢) . ويتضح من اسم صاحب الضريح أنه من أصل حضرمي » .

دهش
على طول
تنظم بيوتهم
المعيش . .
وتتكس في

وتص
الذي زار
في ١٥١٧
ملخصا لما

سفال

وطريقة
تسمى
و (ماليندي
الاقمشة الح
السلع تأتي
العرب في

وعرب
(بنامتابا)
مقابل ما يش
العاج ، الذي

* (كنبايا)

الحضارة السواحلية

دهش البرتغاليون عندما شاهدوا ، لأول مرة ، مدنا غنية جميلة ، تتناثر على طول ساحل شرق افريقية ، من (سفاله) جنوبا حتى (مقدشو) شمالا . . . تنتظم بيوتها المزخرفة في صفوف منسقة ويعيش اهلها في رخاء وبحبوحة من العيش . . . يلبسون الملابس النفيسة . . . وتتحلى نساؤها بالحلي الذهبية الكثيرة . وتتكدس في متاجرها انواع كثيرة من سلع الشرق والغرب .

وتصف مذكرات بربوسا Duarte Barbosa ، الرجل البرتغالي الذي زار (السواحل) ، لأول مرة ، في سنة ١٥٠٠ م ثم زارها مرة اخرى في ١٥١٧ أو ١٥١٨ ، المدن السواحلية قبل ان يخربها البرتغاليون . وفيما يلي ملخصا لما جاء في هذه المذكرات : (١٥) .

سفالة :

وطريقة تنقلهم (يقصد السفاليين) انهم كانوا يأتون في مراكب صغيرة تسمى سنبروق Zambucos من امارة (كلوه) و (ممباسا) (ماليندي) ، تحمل كثيرا من الاقمشة القطنية ، منها الملون والابيض ، وبعض الاقمشة الحريرية ، وكثيرا من الخرز الصغير الرمادي والاحمر والاصفر . وهذه السلع تأتي في مراكب اخرى كبيرة من (كمباي) * وغيرها . فيشتريها العرب في ماليندي وممباسا بالذهب الموزون .

وعرب سفاله يخزنون هذه السلع ثم يبيعونها للوثنيين في مملكة (بنامتابا) Benametapa الذين يأتون محملين بالذهب الذي يدفعونه بدون وزن مقابل ما يشترونه من الملابس والخرز . كذلك يجمع العرب كميات كبيرة من العاج ، الذي يبيعونه في مملكة كمباي ، القنطار مقابل خمسة او ستة Cruzados

* (كنبايا) مملكة كانت بشمال غربي الهند .

والمسكان سود الاجسام وبعضهم بني اللون . منهم من يتكلم العربية . ولكن
الاکثرية تتكلم باللغة القطنية . يلبسون من الوسط الى اسفل ملابس قطنية
وحريرية وعلى صدورهم قمصان قصيرة الاكمام وعلى رؤوسهم عمام
وقلنسوات .

مصعب زمبيزي :

وبعد قطع حوالي (٤٠) فرسخا من سفاله في اتجاه موزمبيق تصادف
مصعب نهر كبير يسمونه (كواما) Cuama يمتد في الداخل عبر اراضي مملكة
Benametapa اكثر من مائة وسبعين فرسخا . وعلى مصعب هذا النهر مدينة
يدعى سلطانها منجالو Mangalo . وعبر هذا النهر يأتي كثير من ذهب
(بناميتابا) الى مدينة العرب هذه . ولهذا النهر فرع يمر بمدينة (انجويا)
Angoya . وهنا للعرب مراكب كثيرة بعضها ينقل الى هذه المدينة الذهب
والعاج من الداخل .

انجويا :

بعد مغادرة نهر كواما وقطع نحو (٤٠) فرسخا تجد على الساحل مدينة
كبيرة تسمى انجويا ، يقيم فيها كثير من التجار الذين يتاجرون بالذهب والعاج
والاقمشة القطنية والحريرية والخرز .

وعرب سفاله ومعباسا وماليندي وكلوه ينقلون هذه السلع في مراكب
صغيرة لا تراها مراكبنا . وبهذه الطريقة ينقلون كميات كبيرة من الاغذية
كالذرة والارز واللحوم . واهلها منهم الاسود والبني . يلبسون من الوسط
الى اسفل قطعاً من الاقمشة الحريرية والقطنية ، وعلى النصف الاعلى قمصانا
قصيرة الاكمام . على رؤوس بعضهم عمام والبعض الاخر قلنسوات مصنوعة
من مربعات حريرية . يتكلمون اللغة التي يتكلم بها الوثنيون في الداخل ، ولكن
بعضهم يتكلم العربية . يدين هؤلاء العرب بالولاء احيانا لمولانا الملك . لكنهم
احيانا يتمردون لا سيما اذا كانوا بعيدين عن بنادقنا .

جزيرة موزمبيق :

بعد انجويا توجد ثلاث جزر قريبة من البر باحداها مدينة للمسلمين تسمى

(موزمبيق) لها مرفأ أمين كان العرب الذين يتاجرون مع سفاله وكوما يلجأون اليه لاصلاح مراكبهم حيث يجدون المياه العميقة الهادئة والخشب والمؤن ، ويحكم سكان (موزمبيق) واحد منهم وهو من العرب الاشراف . والعرب هنا لهم لغة وعادات عرب انجوييا .

وتوجد هنا لمولانا الملك قلعة ، ومسلمو موزمبيق خاضعون له . ومن هذا الميناء تأخذ مراكبنا ، الآن ، الماء والخشب والمؤن . وهنا ترمم وتصلح مراكبنا اثناء غدوها ورواحها .

كلوه :

بعد ان تغادر (موزمبيق) وتسير محاذيا للشاطئ تجد جزيرة تكار تلتصق بالبر تدعى (كلوه) ، فيها مدينة كبيرة للعرب ، معظم منازلها الجميلة مشيد بالحجارة ، وكثير من نوافذها لها نفس طراز نوافذ منازلنا (بالبرتغال) تصطف في شوارع حسنة التنظيم ، وكثير من سقوفها مسطح ، ابوابها من الخشب المنحوت نحتا جميلا . وحول المدينة جداول وحدائق وبساتين ، وكثير من القنوات ذات المياه العذبة ، ويحكمها ملك من المسلمين . ومن هذا المكان يتاجر العرب مع سفاله التي يعودون منها بالذهب . ومن هنا ينتشرون الى كل ارجاء (العربية السعيدة) الاسم الذي يمكن ، من الان فصاعدا ، ان نطلقه على كل هذا الساحل المعمور بالقرى والمستوطنات العربية .

وقبل ان يرسل مولانا الملك حملته لاستكشاف الطريق الى الهند ، كان العرب في سفاله وكوما وانجوييا وموزمبيق ، خاضعين لملك كلوه ، الذي كان أقوى ملك بينهم . وفي هذه المدينة كان الذهب وفيرا جدا ، لان المراكب لا تستطيع ان تواصل سفرها قبل ان تعرج اولا على هذه الجزيرة . بعض السكان جميل الشكل والبعض الآخر أسود اللون . يرتدي الرجال والنساء الملابس الثمينة من الحرير والقطن والحلي الذهبية . وتلبس النساء كثيرا من الحلق الذهبية حول حنجلهن وسواعدهن وكثيرا من الاقراط والقلائد . يتكلم السكان العربية ويتبعون شريعة القرآن ويؤمنون بمحمد ايمانا عظيما .

اخذ البرتغاليون هذه المدينة عنوة ، لان ملكها رفض الخضوع لمولانا الملك . ووقع كثير من رجاله في الاسر ، وفر الملك من الجزيرة . وأمر جلالته ان تشيد في الجزيرة قلعة ، وان تبقى تحت سلطانه ونفوذه . ولكنه امر فيما بعد بهدمها لانها اصبحت لا قيمة لها .



Page 350a

الراكب العربية في ميناء تنجا ، كلوة سابقا .
ARAB DHOWS IN TANGA HARBOUR.
(Year Book & Guide

ممباب

إذا س
قريبة جدا م
الشامخة م
ونواقذها دة
منهم الاسود
من الحرير

وحرك
كثيرة من الم
منها ، والب
تقصد جزير

وأرض
الإليات ، و
الكثير من ال
عديدة من ال
مع سكان الب
فانهم يتاجرو
والشمع وال

رفض
فقد مدينته ،
الكثير من ر
نهبها طعمة
الاساور وال
والسلع النفير

ماليند

بعد مفا
على الشاطئ

ممباسا :

إذا سرت بعد كلوه محاذيا للشاطئ ، في الطريق الى الهند ، تجد جزيرة قريبة جدا من البر ، بها مدينة تسمى ممباسا . وهي مدينة بديعة جدا بيوتها الشامخة مبنية بالحجارة ، تنتظم في شوارع منسقة على طراز كلوه . ابوابها ونوافذها دقيقة النجارة . لها سلطان خاص بها وهو من العرب . والسكان منهم الاسود والبنى والابيض . وتمشي نساؤها بجرأة مرتديات الملابس الجميلة من الحرير وعليهن كثير من الذهب .

وحركة المرور بهذا المكان عظيمة ، وفي مينائه الجيد ترسو دائما انواع كثيرة من المراكب الكبيرة والصغيرة ، بعضها في طريقه الى سفالة وبعضها عائد منها ، والبعض الآخر قادم من غرب الهند وماليندي وغيرها . ومنها مراكب تقصد جزيرة زنجبار وتلك التي سأتكلم عنها قريبا .

وأرض ممباسا ملآنة جدا بالاغذية . هناك الاغنام الكثيرة المستديرة الإليات ، والبقر وغيرها من المواشي ، والطيور وكلها سميحة جدا . وهناك الكثير من الارز والذرة والحمضيات والرمان والتين الهندي والليمون واصناف عديدة من الخضروات . والماء العذب الوفير . والرجال ، غالبا ، في حرب مع سكان البر الداخلي ، ولكن عندما تحدث هدنة بين الفريقين ، وقلما تحدث ، فانهم يتاجرون مع سكان البر الداخلي ويعودون من هناك بكثير من العسل والشمع والعاج .

رفض سلطان ممباسا الخضوع لاوامر مولانا الملك . وبسبب عنجهيته فقد مدينته ، اذ استولت عليها قواتنا البرتغالية بالقوة . وفر السلطان وقتل الكثير من رعاياه كما أسر عدد كبير من النساء والرجال . وتركت المدينة بعد نهبها طعمة للنيران . وأخذ منها كميات كبيرة من الذهب والفضة ، فيها الاساور والخلخيل والأقراط والعقود الذهبية ، وكميات كبيرة من النحاس والسلع النفيسة .

ماليندى :

بعد مغادرة ممباسا ، اذا سافرت بمحاذاة الشاطئ ، تجد مدينة جميلة على الشاطئ تسمى (ماليندى) يسكنها العرب ، وعليها امير منهم . معظم

منازلها مبي
على غرار
يسير بعض
الحرير
والاحزمة
كثيرة
محملة بالذ

وسل
عندهم الرا
ان مرت به

بمبا

بين
جزر هي
من مختلف
بها قصب
الجزر امرا
ينقلونها في
بحبال واش

السكا
الجزر يعيش
من ممباسا
الرائع كالا
الفاخرة
محمد

بات ولا

حالا
حيث ينثني



الراكب العربية في ميناء ممباسا القديم

THE OLD HARBOUR, MOMBASA.

Year Book & Guide to East Africa 1959 من

منازلها مبني بالحجارة ومؤلفة من عدة ادوار، لها نوافذ كثيرة واسقف مسطحة على غرار منازلنا. تصطف في شوارع منسقة . السكان منهم الاسود والابيض، يسير بعضهم عاري الجسم فيما عدا عورته التي يغطيها بقطعة من القطن او الحرير . ويلبس البعض الآخر ملابس متنوعة كالعباءة والعمائم الثمينة والاحزمة . يقومون بالمقايسة والتعامل بالاقمشة والذهب والعاج وبيع اخرى كثيرة . وتقصد مرقاها كل سنة مراكب كثيرة تقل مختلف السلع وتعود منها محملة بالذهب والعاج والشمع .

وسلطان هذه المدينة وشعبها اصدقاء لملك البرتغال . والبرتغاليون يجدون عندهم الراحة والصداقة والسلام الكامل . ومنها تحصل مراكبنا ، اذا صادف ان مرت بها ، على كل ما تحتاجه من المؤن .

بمبا ، مافيا ، زنجبار :

بين جزيرة (مدجسكر - مدغشقر) والبر وغير بعيد عنها ، توجد ثلاث جزر هي : مافيا ، وبمبا ، وزنجبار ، سكانها من المسلمين ، وبها كميات كبيرة من مختلف الاغذية والفواكه ، كالارز والذرة واللحوم والحمضيات . ويوجد بها قصب السكر بوفرة ولكنهم لا يعرفون كيف يستخرجون منه السكر . ولهذه الجزر امراء من العرب . وبعض السكان يتاجر مع البر الرئيسي باللحوم والفواكه ينقلونها في مراكب صغيرة لا ظهر لها ذات شراع واحد ، الواحها مخاطة بحبال واشرعتها مصنوعة من حصير من خوص النخيل .

السكان ضعاف البنية لا يحملون الا قليلا من السلاح . وامراء هذه الجزر يعيشون في رفاهية وبذخ ويلبسون افخر الملابس الحريرية التي يشترونها من ممباسا . والنساء يسنن وعليهن الحلي الكثيرة من الفضة وذهب سفاله الرائع كالاقراط والقلائد والاساور والخلخيل ، ويلبسن الملابس الحريرية الفاخرة . وفيها كثير من المساجد وأهلها يتبعون شريعة القرآن الذي انزل على محمد .

بات ولامو :

حالما يمرون بماليندي ، في طريقهم الى الهند ، يبدأون في عبور خليج حيث ينثني الساحل في اتجاه البحر الاحمر .

هناك على الساحل مدينتان للعرب تسمى احداهما بات والاخرى لامر .
يتاجرسكانهما مع البر الداخلي ، ولكل منهما سور من الحجارة ، لانهما غالبا
ما يكونان في حرب مع الكفار في البر الداخلي .

برافا :

وبعد مائتين المدينتين تجد على الساحل مدينة كبيرة للعرب ، منازلها
جميلة مشيدة بالحجارة اسمها (برافا) ليس لها سلطان واتما يحكمها كبار
السن من ذوي المراكز العالية والتجارة الواسعة .

وقد دمر البرتغاليون هذه المدينة ، وقتلوا كثيرا من أهلها ، وأخذوا
كثيرا منهم اسرى ، كما نهبوا كثيرا من الذهب والفضة ومختلف السلع الثمينة .
وفر الباقون من أهلها الى الاقليم الداخلي .

مقديشو :

واذا تقدمت بعد برافا محاذيا للساحل باتجاه البحر الاحمر تجد مدينة
كبيرة للعرب اسمها مقديشو . لها سلطان خاص بها . ولها تجارة واسعة في
مختلف السلع ، ويصل اليها العديد من المراكب من الهند وعدن ، حاملة مختلف
اصناف الاقمشة والسلع الاخرى كالتوابل وغيرها . وتعود منها حاملة كثيرا
من الذهب والعاج والشمع وغيره ، وبذلك يحصلون على أرباح ضخمة .

وفي هذا البلد يوجد اللحم بمقادير كبيرة ، وكذلك الذرة والشعير والخبيل ،
واصناف كثيرة من الفواكه وهي بحق مدينة ذات ثراء واسع .

أهلها يتكلمون العربية . يغلب على معظمهم اللونان البني والاسود ،
وقليل منهم وسيم الخلقة . وليس لديهم الا القليل من الاسلحة . ومع ذلك فهم
يستعملون النبال ويطلقونها بمهارة من أقواسهم دفاعا عن انفسهم :

جزر القمر :

وسلمت جزر القمر من شر البرتغاليين . . سلمت لانها كانت بعيدة عن
الطريق التجاري الذي يربط موانئ شرق افريقية بالهند وبلاد العرب . وبقيت



جماعة من اهالي جزد القمر .
(العربي ، اغسطس ١٩٧٥)

بيد أهلها العرب حتى احتلها الفرنسيون في منتصف القرن التاسع عشر
للسيلا.

ويعتقد المؤرخون الفرنسيون أن اليمنيين هم أول من سكن جزر القمر ،
ويعدهم نزع إليها كثير من الأفريقيين من زنجبار وغيرها . وفي (مايوت)
أحدى الجزر القمرية عشر على مخطوط عربي جاء فيه « هذه قصة جزر القمر
في العصور القديمة » فقد روى لنا أجدادنا أنه بعد عصر النبي سليمان بن
داود جاء إلى جزيرة جازيداد (القمر الكبرى) رجلان عربيان من منطقة البصر
الأحمر ، ومعهما زوجاهما وأطفالهما وخدمتهما ، واستقروا في هذه الجزيرة .
وبعدهم جاء أناس كثيرون من أفريقية وزنجبار ليسكنوا الجزر ، (*) .

ويبدو أن أهالي جزر القمر كان لهم في فترة ما في الزمن القديم نشاط
بحري كبير ، فقد ذكر أبو مخزومة في « ثغر عدن » نقلا عن ابن الجاور أن
القمريين قدموا « بمراكب وخلق وجمع وملكوا الجزيرة (عدن) بعد أن أخرجوا
الصيادين بالقهر وسكنوا على ذروة الجبل الأحمر وحقات وجبل المنظر ، وهو
جبل يشرف على الصناعة وآثارهم إلى الآن ، وبنأؤهم باق بالحجر والجص
ملء تلك الأودية والجبال . وكانوا يطلعون من القمر يأخذون عدن رأسا واحدا
في موسم واحد ، « قال ابن الجاور ومن عدن إلى مقدشوه موسم ومن مقدشوه
إلى كلوه موسم ثان ومن كلوه إلى القمر موسم ثالث فكان القوم يجمعون الثلاثة
المواسم في موسم واحد . وقد جرى مركب من القمر إلى عدن بهذا المجرى سنة
ست وعشرين وستمائة أقلع من القمر وكان طالبا كلوه فأرسله بعدن ولما ركبهم
أجنحة لضيق بحارهم ووعرها وقلة الماء بها . »

واق واق اليمن :

قال ابن الفقيه في (مختصر كتاب البلدان) « وواق واق الصين هو بخلاف
واق واق اليمن * » وقال أيضا : « وخلف الصين أمة يقال لها واق واق ،
وراء واق واق من الأمم مالا يحصي إلا الله . »

والذين كتبوا حول مسألة الواق واقين رجحوا أن (واق واق اليمن) هم
أهالي جزيرة مدغشقر ما خلف سفاله في شرق أفريقية . واختلفوا حول

* عن مجلة (العربي) الكويتية ، أغسطس ١٩٧٥ .

** « العرب والملاح في المحيط الهندي » ، حاشية للمترجم ص ٢٢١

مكان واق واق الصين فقال بعضهم انه جزيرة سومطره ، وذهب البعض الاخر الى انه اليابان .

والى زمن قريب كان الشائع في اليمن عن الواقواق ان لهم اذنانا كالحيوانات ، ولذلك كانوا يسمون ايضا (بنو كلب) .

والحقيقة ان من اسماهم ابن بطوطة باليمنيين ، وهم سكان البلاد الواقعة الى الشرق من سفالة ، كانوا يلبسون جلود الحيوانات المفترسة دون ان يفصلوا عنها الذبول ، فكانت تتدلى خلفهم وتتحرك يمينا وشمالا اثناء سيرهم . يقول احد التقارير البرتغالية عن شرق افريقية في عام ١٥١٧ ان وراء سفالة ، الى الداخل ، تقع مملكة Benametapa العظيمة ، وسكانها وثنون يسميهم العرب (الكفار) ، وهم سود البشرة يمشون عراة فيما عدا عوراتهم التي كانوا يغطونها بقطعة من القماش تتدلى من الوسط الى اسفل . والبعض يلبس جلود الحيوانات المفترسة ، والبعض الآخر ، وهم في الغالب من النبلاء ، يلبسون قبعات من الجلود واذنانا تتدلى الى الارض ، كعلامة مميزة لمناصبهم ومراكزهم الاجتماعية . ويشبون في مشيهم ويهزون اجسامهم فتتحرك الاذنان الى اعلى والى اسفل والى اليمين وشمالا (١٦) .

والقول بأن للواقواقيين اذنانا يجعلنا نعتقد ان واق واق الصين هم اهالي جزيرة فرموزا (تايوان) فالمعروف ان معظم سكانها تقريبا لهم اذنانا طبيعية بطول الاصبع الوسطي ، متصلة بنهاية السلسلة الفقرية ، كما توجد لبعض سكان اندونيسيا مثل هذه الاذنان . ويؤيد هذا ايضا ان الجغرافيين العرب ، ومنهم ابن الفقيه ، قد جعلوا واق واق الصين الى الشرق من الساحل الصيني .

بيد أهلها العرب حتى احتلها الفرنسيون في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد .

ويعتقد المؤرخون الفرنسيون أن اليمانيين هم أول من سكن جزر القمر ، وبعدهم مزج إليها كثير من الأفريقيين من زنجبار وغيرها . وفي (مايوت) إحدى الجزر القمرية عشر على مخطوط عربي جاء فيه « هذه قصة جزر القمر في العصور القديمة . فقد روى لنا أجدادنا أنه بعد عصر النبي سليمان بن داود جاء إلى جزيرة جازيداد (القمر الكبرى) رجلان عربيان من منطقة البحر الأحمر ، ومعهما زوجتاها وأطفالهما وخدمتهما ، واستقروا في هذه الجزيرة . وبعدهم جاء أناس كثيرون من أفريقية وزنجبار ليسكنوا الجزر » (*) .

ويبدو أن أهالي جزر القمر كان لهم في فترة ما في الزمن القديم نشاط بحري كبير ، فقد ذكر أبو مخرمة في « ثغر عدن » نقلا عن ابن الجاور أن القمريين قدموا « بمراكب وخلق وجمع وملكوا الجزيرة (عدن) بعد أن أخرجوا الصيادين بالفقر وسكنوا على ذروة الجبل الأحمر وحقات وجبل المنظر ، وهو جبل يشرف على الصناعة وآثارهم إلى الآن ، وبنائهم باق بالحجر والجص ملء تلك الأودية والجبال . وكانوا يطلعون من القمر يأخذون عدن رأسا واحدا في موسم واحد » . « قال ابن الجاور ومن عدن إلى مقدشوه موسم ومن مقدشوه إلى كلوه موسم ثان ومن كلوه إلى القمر موسم ثالث فكان القوم يجمعون الثلاثة المواسم في موسم واحد » . وقد جرى مركب من القمر إلى عدن بهذا المجرى سنة ست وعشرين وستمائة أقلع من القمر وكان طالبا كلوه فأرسله بعدن ولما ركبهم أجنحة لضيق بحارهم ووعرها وقلة الماء بها » .

واق واق اليمن :

قال ابن الفقيه في (مختصر كتاب البلدان) « وواق واق الصين هو بخلاف واق واق اليمن * » . وقال أيضا : « وخلف الصين أمة يقال لها واق واق ، ووراء واق واق من الأمم ما لا يحصي إلا الله » .

والذين كتبوا حول مسألة الواق واقين رجحوا أن (واق واق اليمن) هم أهالي جزيرة مدغشقر ما خلف سفاله في شرق أفريقية . واختلفوا حول

* عن مجلة (العربي) الكويتية ، أغسطس ١٩٧٥ .

** « العرب والملاح في المحيط الهندي » ، حاشية للمترجم ص ٢٣١

مكان واق واق الصين فقال بعضهم انه جزيرة موطرة ، وذهب البعض الآخر الى انه اليابان .

والى زمن قريب كان الشائع في اليمن عن الواقواق ان لهم اذنانا كالحيوانات ، ولذلك كانوا يسمون ايضا (بنو كلب) .

والحقيقة ان من اسماهم ابن بطوطة باليمنيين ، وهم سكان البلاد الواقعة الى الشرق من سفالة ، كانوا يلبسون جلود الحيوانات المفترسة دون ان يفصلوا عنها الذبول ، فكانت تتدلى خلفهم وتتحرك يمينا وشمالا اثناء سيرهم . يقول احد التقارير البرتغالية عن شرق افريقية في عام ١٥١٧ ان وراء سفالة ، الى الداخل ، تقع مملكة Benametapa العظيمة ، وسكانها وثنيون يسميهم العرب (الكفار) ، وهم سود البشرة يمشون عراة فيما عدا عوراتهم التي كانوا يغطونها بقطعة من القماش تتدلى من الوسط الى اسفل . والبعض يلبس جلود الحيوانات المفترسة ، والبعض الآخر ، وهم في الغالب من النبلاء ، يلبسون قبعات من الجلود واذنانا تتدلى الى الارض ، كعلامة مميزة لمناصبهم ومراكزهم الاجتماعية . ويثبون في مشيهم ويهزون اجسامهم فتتحرك الاذنان الى اعلى والى اسفل والى اليمين وشمالا (١٦) .

والقول بأن للواقواقيين اذنانا يجعلنا نعتقد ان واق واق الصين هم اهالي جزيرة فرموزا (تايوان) فالمعروف ان معظم سكانها تقريبا لهم اذنانا طبيعية بطول الاصبع الوسطي ، متصلة بنهاية السلسلة الفقرية ، كما توجد لبعض سكان اندونيسيا مثل هذه الاذنان . ويؤيد هذا ايضا ان الجغرافيين العرب ، ومنهم ابن الفقيه ، قد جعلوا واق واق الصين الى الشرق من الساحل الصيني .

(٣)

التبادل التجاري بين شعوب العالم القديم

اثبتت الآثا
وأوان وخرز من
الالف الثالثة قبل
السومريين وسك
السومريين ، بما
الابيض المتوسط
السند تنقل برا
كانت لها - كما
الجزيرة العربية

وفي الوقت
السند وشعوب
مياه البحر الاح
بنت البخور وال
الجنوبية، ومن
تجارة واسعة

وتاجر الم
الحمير تنطلق
يام ، مرتفعات

جنتها بما لها جهته زبدى لبعثه راد لبعثها

اثبتت الآثار التي عثر عليها بين انقراض المدن السومرية ببابل ، وهي اختام
وأوان وخرز من صنع سكان وادي السند ، يرجع العلماء ان تاريخها يرجع الى
الالف الثالثة قبل الميلاد ، على ان تبادل تجاريا كان يجري في هذا التاريخ بين
السومريين وسكان وادي السند . كما دلت الآثار ايضا على ان تجارة
السومريين ، بما فيها سلع وادي السند ، قد امتدت حتى سواحل شرقي البحر
الابيض المتوسط ، وهناك كانت تتلاقى مع تجارة المصريين (١) . وكانت تجارة
السند تنقل برا عبر بلوخرستان وايران ، وبحرا الى جزيرة دلمون (البحرين) التي
كانت لها - كما تذكر الرقم المسمارية - تجارة مع بلاد الرافدين والسند وشرقي
الجزيرة العربية (٢) .

وفي الوقت الذي كان فيه السومريون يتبادلون التجارة مع سكان وادي
السند وشعوب آسية الغربية ، كانت السفن المصرية تقوم برحلات تجارية فوق
مياه البحر الاحمر الخطرة بين بلاد (بنت) وموانئ مصر الغربية ، حاملة من
بنت البخور والطيوب والعاج والابنوس وغيره من السلع الافريقية وبلاد العرب
الجنوبية، ومن مصر الاواني والاقمشة ومختلف السلع المصنعة . وكان للمصريين
تجارة واسعة ايضا مع جزيرة كريت والساحل الفينيقي وجنوب بلاد الشام .

وتاجر المصريون مع بلد افريقي عرف لديهم ببلاد (يام) ، فكانت قوافل
الحمير تنطلق من اسوان (الفنتين) صوب الجنوب ، وتصعد ، في طريقها الى
يام ، مرتفعات بلاد النوبة . ومن (يام) تعود الحمير حاملة سلعا لا تختلف عن

السلع التي تجلبها السفن من (بنت) ، فخرخوف (حوالي ٢٣٠٠ ق م) يحدثنا
انه عاد من رحلته الثالثة الى يام بثلاثمائة حمار محملة بالبخور والمر والابنوس
والعاج وكل سلعة نفيسة في بلاد يام (٣) .

ويبدو ان تجارة مصر مع يام كانت كثيرا ما تتعرض للأذى من قبل قبائل
النوبة ، فكان المصريون يرسلون حملات تقوم بتأديب هذه القبائل . فخرخوف
حاكم الفنتين يذكر انه يأمر من مولا (بيبي الثاني) قام بغزو اقليم واوات
Wawat وارث Irtheth ، من بلاد النوبة ، وانه عاد منهما منتصرا ، بعد
ان قتل كثيرا من زعمائهما وقادتهما ، وعاد بعدد كبير من الاسرى . ثم قام بحملة
ثانية الى هذين الاقليمين ، عاد منهما بزعميمهما سالما الى بلاط سيده مع عدد
كبير من البقر والاغنام .

وقبل هاتين الحملتين كان خرخوف قد قام ، بأمر من مولا (مرن رع) بثلاث
رحلات استطلاعية الى يام زار فيها اقليم النوبة التي تقع بين بلاد يام ومصر
العليا ، ورحلة رابعة الى بلاد الاشباح في عهد (بيبي الثاني) . وقد رافقه في
رحلته الاولى والده والكاهن Iri ، واستغرقت الرحلة - كما ذكر - سبعة
اشهر ، عاد منها بأصناف كثيرة من هدايا بلاد يام . وفي الرحلة الثانية زار
اقليم Irthet, Mekher, Tererese, Irthethe ، ثم سلك طريقا ينحدر من مرتفعات هذين الاقليمين
زعيم قبائل Irthet, Sethu ، واستغرقت هذه الرحلة ثمانية اشهر . وقال انه عاد منها
الى مصر العليا . واستغرقت هذه الرحلة ثمانية اشهر . وقال انه عاد منها
بكميات كبيرة جدا من الهدايا ، وانه لم يبق بمثل ما قام به في هذه الرحلة اي
رفيق او مرشد قوافل سافر من قبل الى يام . وفي الرحلة الثالثة وجد زعيم يام
قد ذهب لقمع تمرد في اقليم Temeh في الطرف الغربي لبلاد يام ، فواصل
رحلته الى Temeh ، حيث وجد زعيم يام قد قضى على المتمردين . وفي هذه
المرّة عاد بثلاثمائة حمار محملة بالبخور والابنوس والعاج وكل سلعة نفيسة
في يام . الا ان خرخوف لم يذكر سبب عودته من رحلته الثالثة مع جيش من يام .
ولكنه قال ان زعيم Wawat, Sethu, Irthet ، وأرشده الى طريق مرتفعات Irthet ، التي لم
ومعه هدية من الثيران والاغنام ، وأرشده الى طريق مرتفعات Irthet ، التي لم
يسلكها اي نبيل او رفيق او مرشد قافلة ذهب الى يام من قبل .

اما رحلته الرابعة فكانت الى بلاد الاشباح ، في عهد (بيبي الثاني) ، وقد
عاد منها بقزم سرية الملك الذي كان لا يزال صبييا ، فكتب الى خرخوف عندما بلغه
خبر القزم ان يعتني به اثناء نقله في النيل وانه يود رؤية القزم اكثر من رؤية
هدايا بنت وسيناى (٤) .

ويتضح مما ذكره خرخوف ان يام لم تكن كذلك الاقاليم النوبية التي لم يكن يامن جانبها والتي كان اهلها يعيشون على رعي الماشية ، وانما كانت بلدا متحضرا له علاقات تجارية باقطار متحضرة ولديه جيش قوي تهابه قبائل النوبة المبتدية . كما نفهم ان رحلات خرخوف لم تكن رحلات تجاريه عاديه كتلك الرحلات التي يقول خرخوف ان القوافل كانت تقوم بها من قبل ، وانما كانت رحلات (رسمية) قابل فيها زعيم يام وزعماء قبائل النوبة وعاد منها بهدايا الى مولاه ملك مصر . ونفهم من قوله ان زعيم اقليم Irthet ارشده في طريق عودته من رحلته الثالثة ، الى الطريق التي تمر بمرتفعات هذا الاقليم ، وهي الطريق التي لم يسلكها اي نبيل او مرشد قافلة ذهب من قبل الى يام . ان القوافل التجارية كانت تسافر الى يام قبل رحلات خرخوف هذه .

ويبدو ان الهدف من رحلات خرخوف هو استكشاف ذلك الجزء من بلاد النوبة ، الذي يقع بين يام ومصر العليا ، تمهيدا لغزوه . وفي عهد سنوسرت الثالث (حوالي ١٩٩١ - ١٧٧٨ ق م) ضم القسم الشمالي من بلاد النوبة نهائيا الى مصر (٥) .

وتذكرنا الحملات المصرية ضد بلاد النوبة بحملات مماثلة شنّها الملك عزانا Ezana ملك (اكسوم وحمير وريدان وسبا وسلحان وحبشت) ضد حكومة (مروى) النوبية ، في القرن الرابع للميلاد . وكان النوبيون قد رفضوا السماح للقوافل التجارية بين اكسوم ومصر بالعبور فوق اراضيهم . ويقول النص الذي سجلت فيه هذه الحروب ان الاكسوميين زحفوا بمحاذاة نهر عطبرة او Takhaze وقاتلوا النوبيين وهزمهم ثلاث مرات ، وبعدما نكثوا العهد للمرة الثالثة عادوا فقاتلهم عند حصن Kemalke على نهر عطبرا وتعقبوهم لمدة ٢٢ يوما حتى وصلوا الى عاصمتهم مروى (Meroë) ، وأحرقوا مدن النوبيين الحمر المبنية بالحجارة ، وقرى النوبيين السود المبنية بالقش ، وغرق الكثير منهم في النهر بعد أن غرقت مراكبهم ، ولاحقوا المنهزمين حتى حدود بلادهم ، وشيدوا حصنا عند ملتقى نهر عطبرا بالنيل ، وعادوا مكليين بالنصر ومعهم الاسرى والغنائم (٦) .

وكان النوبيون قد أقاموا حضارة في اواسط النيل عقب الاحتلال الفارسي لمصر . وكانت عاصمتهم مروى تقع في الجانب الغربي للنيل مقابل مدينة (شندى) حيث تنتشر الانقاض على مساحة فسيحة . وربما كان لهم اتصال تجاري بحري عن طريق ميناء (سواكن) المشهور . ففي سواكن توجد صهاريج كصهاريج قنه وعدن مما يدل على قدم عهدها .

ولما كانت الى
المصريون الى توس
بعد ان أصبحت
التجارة مع بنت
وصول البضائع
طويلا قاموا في
الطميلات ومنه الى
السويس بحوالي
المتوسط ، فكانت
تصعد في القناة
القوارب النيلية
الفرع الكانوبي
سواحل البحر المت

وبقي المصري
الطريق التجارية
المتوسط ، وبلغت
تمتد من الفرات
ولكن نتيجة للحر
ينخران في كيان
اوروبية ، ويرسلو
قبل الميلاد حتى
شعوب اوروبية و

قبيل سقوط
قبل الميلاد ، كان
قوافل تجارتهم
الحجاز .

وكان الفيني
المتوسط ، وأنشأ

اين كانت تقع بلاد يام ؟
يرى الدكتور ارقل Arkell في (تاريخ السودان) ان يام كانت في
مكان ما من صحراء دارفور ، غربي السودان ، وان الطريق التي يحتمل ان
حرخوف كان يسلكها من اسوان الى يام هي الطريق التي تمر بواحات
(بنقول) و (سليما) ، او طريق الاربعة يوما المعروفة بـ (درب الاربعة) ،
من اسبوط في واسط النيل الى (الفاشر) في أقصى غرب السودان ، وعلى
الرغم من ان المنطقة التي تمر بها هذه الطريق منطقة صحراوية ، ويحتمل انها
لم تكن كذلك ايام حرخوف ، فان في الامكان السفر ، حتى في الوقت الحاضر ،
على هذه الطريق مع ثلاثمائة حمار ، مائة تحمل السلع ومائة تحمل العلف والمائة
الثالثة تحمل الماء (٧) .

لكن حرخوف يشير في جميع رحلاته الى مرتفعات بلاد النوبة Highlands
التي كان يتحدر منها عند عودته من يام ، وبين دارفور ومصر العليا صحراء
واسعة ليس بها مرتفعات جبلية . ثم ان الحميز الثقيلة بالاحمال لا تستطيع السير
في الرمال مسافات طويلة . واذا كان يرى ان صحراء دارفور وهي امتداد
للصحراء الكبرى ، لم تكن موجودة ايام حرخوف ، فلماذا وسع المصريون القدماء
تجارتهم مع (بنت) ، رغم خطورة السفر في البحر الاحمر ، وكان يوسعهم ان
يحصلوا منها على نفس سلع بنت . ولم يذكر ارقل متى وكيف اختفت يام تحت
رمال دارفور وانمحي كل اثر لشعبها .

اننا نفهم من وصف حرخوف لبلاد يام انها كانت بلادا واسعة ، لها جيش
قوي يستطيع قمع تمرد اية قبيلة حتى ولو كانت في الاطراف النائية ، ولم تكن
من الاقاليم النوبية . كما ان قطع المسافة بينها وبين مصر قد استغرق في الرحلة
الاولى سبعة اشهر وثمانية اشهر في الرحلة الثانية ، لا اربعين يوما . هذا الى
ان البعض يرى ان اقليمي : Irthet و Wawat كانا عند الشلال الرابع مما
يثبت ان حرخوف كان يسلك طريقا الى الجنوب لا الى الغرب او الجنوب الغربي .
واستنادا الى العلاقة التجارية التي كانت بين اكسوم ومصر في عهد الرومان ،
فان من المحتمل جدا ان الطريق التجارية القديمة التي كانت تسلكها القوافل في
عهد الرومان هي نفس الطريق التي سلكها حرخوف في رحلاته ، وان اكسوم هي
(يام) وان مملكة عادل (عدول) التي كانت تشمل الساحل الصومالي الشمالي
وارتيريا ، هي والساحل العربي حول باب المندب وخليج عدن كانا يؤلفان بلاد
(بنت) .

ولما كانت الطريق بين يام ومصر عرضة لهجمات قبائل النوبة فقد اتجه المصريون الى توسيع نشاطهم التجاري مع بنت . وفي عهد (الدولة الوسطى) ، بعد ان أصبحت منف (منفيس) في الوجه البحري عاصمة لمصر ، واتسع نطاق التجارة مع بنت وفينيقيها وجزيرة كريت وبلاد الشام ، وبعد ان رأى المصريون ان وصول البضائع من موانئ مصر الغربية الى الوجه البحري كان يستغرق وقتا طويلا قاموا في عهد سنوسرت الثالث بشق قناة من الفرع البليوزي الى وادي الطميلات ومنه الى البحيرات فخليج السويس . ولاول مرة ، قبل حفر قناة السويس بحوالي اربعة آلاف سنة ، ربط المصريون بين البحر الاحمر والبحر المتوسط ، فكانت سفنهم العائدة من بنت تذهب الى خليج السويس فالبحيرات ثم تصعد في القناة الى الفرع البليوزي وتسير في النيل الى منف . ومن منف كانت القوارب النيلية تحمل السلع الى ميناء مصر على البحر الابيض المتوسط ، عبر الفرع الكانوبي . ومن هذا الميناء كانت السفن المصرية تنقل تجارة مصر الى سواحل البحر المتوسط الشرقية والجزر اليونانية .

وبقي المصريون ، حتى حوالي منتصف القرن الثاني عشر مسيطرين على الطريق التجارية الطويلة بين بنت والبلدان المحيطة بالجزء الشرقي من البحر المتوسط . وبلغت دولتهم ذروة المجد في القرن الخامس عشر ، فكانت حدودها تمتد من الفرات وآسيا الصغرى شمالا الى الشلال الرابع في السودان جنوبا . ولكن نتيجة للحروب الطويلة المستمرة بينهم وبين الحثيين بدأ الضعف والانحلال ينخران في كيان امبراطوريتهم ، خاصة بعد ان بدأوا يجندون الاجانب من شعوب اوروبية ، ويرسلونهم الى ميادين القتال . وهكذا ما ان انتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد حتى سقطت الامبراطورية المصرية تحت ضربات حشود كبيرة من شعوب اوروبية وخيانة المرتزقة الاجانب في الجيش المصري (٨) .

قوافل سبا

قبيل سقوط الامبراطورية المصرية ، في حوالي منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، كان الآراميون قد أقاموا في سورية عددا من الدويلات الغنية . وكانت قوافل تجارتهم الواسعة تتردد على اسواق آشور وبابل وآسية الصغرى وأعلى الحجاز .

وكان الفينيقيون قد سيطروا على التجارة البحرية في حوض البحر الابيض المتوسط ، وأنشأوا على شواطئه سلسلة من الامارات والمستوطنات والمراكز

التجارية - ويعتقد ان تجارتهم قد وصلت الى شواطئ المحيط الاطلسي في اوروبية وشمال افريقية .

وفي هذا التاريخ ايضا كان استخدام الجمل كوسيلة لنقل الامتعة والاموال - كما يعتقد بعض العلماء - قد بدأ ينتشر في طول البلاد العربية وعرضها . فاستطاع الاغراب بفضل الوصول الى الاماكن البعيدة عبر الفياضي والقفار . واستطاع من في اقصى جنوب البلاد العربية الوصول الى اقصى شمالها . والعكس .

وهكذا بدأت تجارة بنت ، بعد ان تحولت طريقها الى البلاد العربية ، تنقل على ظهور الابل ، من اسوأ العربية الجنوبية ، الى بلاد الشام ، عبر مئات الاميال من السهول والوديان والصحارى .

واذا صح ان انتشار الابل في البلاد العربية كان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فان اول اشارة الى القوافل واستخدامها في نقل التجارات في البلاد العربية هي تلك التي جاءت في سفر الملوك ، بعد هذا التاريخ بحوالي قرنين . ففي عهد سليمان (القرن العاشر قبل الميلاد) قدمت ملكة سبا الى فلسطين بصحبة قافلة طويلة تحمل هديتها الى سليمان من البخور والطيوب والذهب والاحجار الكريمة . وهي اول اشارة ايضا الى وصول سلع بلاد العرب الجنوبية الى الشام على ظهور الابل .

والغريب ان اسفار التوراة لا تذكر من شعوب العربية الجنوبية غير سبا ، وقوافل سبا ، وذهب سبا . الخ . فهل سبا هي اول من مهد طريق القوافل التجارية بين اليمن والشام ، ام غيرها من شعوب بلاد العرب الجنوبية ؟ سؤال لا نجد له - حتى الآن - جوابا مقنعا يعتمد على الادلة القاطعة التي لا تدع مجالا للجدل والنقاش والتناقض في الرأي .

واشار سفر اشعيا (القرن الثامن ق م) الى قوافل اخرى غير قوافل سبا ، هي قوافل (ايضا) و (مدين) . ولكنه قال انها (ستاتي جميعها من سبا) ، مما يدل على ان حدود سبا الشمالية كانت تتجاوز ارض مدين . اما حدودها الجنوبية فكانت تمتد - كما يفهم من قول حزقيال « حران وكنه وعدن تجار سبا » - الى ساحل بلاد العرب الجنوبي .

وفي اسواق عدن وقنا كانت القوافل تبدأ رحلتها التجارية الطويلة الى

اسواق الشام . وكما كانت تأتي من الاسواق الجنوبية ، كما تلتقي في الشمال ، وتصيب في اولى هذه العواصم حضرموت قبل (شارب) عاصمة عاصم على الطرق كانت حكومات العرب في حياتها على هذه

وبعد خروج الى وادي الدواسر الكلاسيكيين - وهذا اما الطريق الرئيسي الطريق بعد وصول (بصرى) وطريق

وطريق طويل ان تعرج على مواضع ويخبرنا الشعر الى ورودهم المياه بتج

بأن

وقال امرؤ

والقى بصح

« شبه نزول

النبات الناشئة

للبيع » (٩) .

وكما كان

قامت حول المياه

اسواق الشام . وكانت الطرق التي تأتي من عدن ولحنا تلتقي بطرق فرعية أخرى ، كانت تأتي من الاسواق الداخلية ، قبل دخولها عاصمة أولى الحكومات الى الجنوب ، كما تلتقي جميع الطرق الآتية من الشمال عند عاصمة أولى الحكومات في الشمال ، وتصبح طريقاً واحدة تمر بعواصم جميع حكومات العربية الجنوبية . وأولى هذه العواصم الى الجنوب كانت (ميفعة) وهي كما يظن البعض عاصمة حضرموت قبل (شبوة) ثم تأتي بعدها (تمنع) في قتبان ثم تتجه الطريق الى (مارب) عاصمة سبأ وبعدها (قرنو) او (معين) عاصمة معين . واقامة هذه العواصم على الطريق الرئيسية للقوافل التجارية تفسر مدى اهمية الضرائب التي كانت حكومات العربية الجنوبية تحصل عليها من مرور القوافل . ومدى اعتمادها في حياتها على هذه الضرائب .

وبعد خروج القوافل من عاصمة معين كان بعضها يسلك طريقاً فرعية تذهب الى وادي الدواسر فاليمامة ومنها الى ساحل الخليج العربي او (جرما) - عند الكلاسيكيين - وهناك طرق فرعية كان التجار يسلكونها الى مختلف ارجاء نجد . اما الطريق الرئيسية فتتمر بـ (العلا) و (حجر) بأعالي الحجاز . ثم تتفرع الطريق بعد وصولها الى اطراف الشام الى عدة طرق ، منها طريق تذهب الى (بصرى) وطريق أخرى تذهب الى غزة ، وتتجه طريق ثالثة الى فلسطين .

وطريق طويلة كهذه تمتد مئات الاميال عبر الفياضي والسهول القاحلة ، لا بد ان تعرج على مواضع المياه ، حيث ينزل التجار وتستريح قوافلهم بعض الوقت . ويخبرنا الشعر الجاهلي ان الاخبار والاشعار كانت تذاع على السنة التجار عند ورودهم المياه بتجاراتهم . قال زهير بن ابي سلمى :

بأن الشعر ليس له مرد اذا ورد المياه به التجار

وقال امرؤ القيس :

والقى بصحراء الغبيط بعائه نزول اليماني ذي العياب المحمل

« شبه نزول المطر بصحراء الغبيط بنزول التاجر اليماني ، وشبه ضروب النباتات الناشئة عن هذا المطر بصنوف الثياب التي نشرها التاجر عند عرضها للبيع » (٩) .

وكما كان مرور القوافل التجارية سبباً في حياة وازدهار المستوطنات التي قامت حول المياه التي تقصدها القوافل ، فقد كان مصدر ثراء وغناء حكومات

بلاد العرب الجنوبية . وقد بلغ من حرص القتيانيين على الاشراف القام على
مرور التجارة بأراضيهم . ان شقوا للقوافل طريقا في الصخر بين وادي بيجان
وحريب . طولها نحو ثلاثة أميال . وكانت جوانبها التي يزيد علوها في بعض
الاماكن على الف قدم ، تنحني في « انحناءات خطيرة على غرار شرفات » ولها
جدران واطنة للموازية من الجهة الخارجية . أما عرض الممر فيتراوح ما بين
خمس عشرة واثني عشر قدما . وقد عيئت الطريق بقطع من الحجارة الصغيرة ،
بعضها على شكل درجات في الاماكن الشديدة الانحدار » .

« وقد تمكنوا (يقصد القتيانيين) من شق الطريق بأبسط الادوات البدائية ،
ولذلك فانه يمكن القول ان شق هذا الممر يعتبر من الاعمال الجبارة ، ويشبه شق
نفق ببلطة لتكسير نتيج » (١٠) .

ومما يؤسف له ان الذين قاموا بهذا العمل الجبار لم يتركوا عليه نقشا
يتحدث عنه ، وكأنه شيء عادي لا يستحق الاهتمام والتخليد . وقد عثر على نقش
بالمسند بعيد عن هذا الممر هو نقش Glasser 1600 يتحدث عن شق طريق في
الجبل وانشاء (مبلقة) ممر بين (برم) بير وحريب ، قام به (يدع اب ذيبين بن
شهر مكرب قتيان) وكل اولاد عم وأوسان وكحد ودهس وتينو . وأشرف على
انشائه (اوس عم بن يصرع) من قبيلة مدهم .

ولقد اعجب الدكتور جواد علي بالمهندس اليمني (اوس عم بن يصرع) ،
فقال معقبا على النقش المذكور :

« ونحن هنا امام رجل كان له علم خاص بهندسة الطرق وله تجارب ودراية
في احداث الثغر في الصخور ، وانشاء الممرات والمناقل للقوافل والمارة ...
ولهذا كلفه حاكم قتيان القيام بذلك العمل فأنجزه وأتمه على النحو الموصوف » .

« وقام المهندس المعماري المذكور بأعمال هندسية أخرى لسيدته المكرب ، فقد
جاء في نص آخر انه شق طرقا وثنايا في مواضع جبلية وعرة ، وحفر انفاقا تمر
السابلة منها (١١) » .

ولا يستبعد ان النفق الذي يبلغ طوله حوالي ميل واحد ، ويسمى (البغده)
او (باب عدن) ، ويقع الى الشمال الشرقي من عدن ، قد شق في عهد هذا المهندس
القتباني . وكان هذا النفق المنفذ الوحيد لثغر عدن الى جهة البر قبل طريق
(العقبة) .

وكما اهتم العرب
الجبال ، اهتموا ايضا
بها مرشدو القوافل و
الحجاز وأطراف الش
القوافل التجارية .

واذا علمنا ان
سببا كان يسير ، اح
جاز لنا ان نفترض ان
أصبحت صغيرة الحج
الهندي ، وبعد ان نقل
الالفى بعير ايام قريش
دينار ، فان قيمتها اي
كانت الادم اليمنية او
السبتيون يتاجرون به
قيمتها آنذاك .

لم يستطع تجار
العربية ، الا ان يقوموا
والحبشة وكانت قوافل
اليمنية . ورحلة الص
الموسمية الجنوبية ال
بداية شهر يونيه الى
واحدة الى الشام في
ومثلها في العودة ،
اليمن والشام . ولا
الشتاء .

وكانت قريش ت
الفرح . وبلغ من فرط
على رأس قافلة تحمل
الجمعة على منبر مس
فخشي المصلون ان يس
وبادروا اليها في البقي

وكما اهتم العرب الجنوبيون بشهيد طرق القوافل التجارية وشقها في الجبال ، اهتموا ايضا بصيانة هذه الطرق ووضع معالم لها في الصحارى ليهتدي بها مرشدو القوافل ورؤساؤها . وانشأوا مراكز ومستوطنات تجارية في اعالي الحجاز واطراف الشام . وبسطوا نفوذهم على الجزء الغربي ، الذي تمر به القوافل التجارية ، من بلاد العرب .

واذا علمنا ان بعض قوافل قريش ، وهي ، لا ريب ، اصغر حجما من قوافل سبأ ، كان يسير ، احيانا ، في الفبي بعير - كما يرى المستشرق سبرنجر (١٢) - جاز لنا ان نفترض اضعاف هذا العدد لقوافل سبأ ، فالتجارة البرية ، ايام قريش ، أصبحت صغيرة الحجم بعد تدخل اليونان والرومان والاحباش في تجارة المحيط الهندي ، وبعد ان نقل جزء كبير منها عن طريق البحر . واذا كانت قيمة حمولة الالف بعير ايام قريش - كما قدرها المستشرق المذكور - تزيد عن خمسين الف دينار ، فان قيمتها ايام سبأ كانت ، لا شك ، اضعاف اضعاف هذه القيمة . لقد كانت الادم اليمنية اهم السلع التي تاجرت بها قريش ، اما السلع التي كان السبئيون يتاجرون بها فكان على رأسها البخور والطيوب وهي تضاهي الذهب في قيمتها آنذاك .

لم يستطع تجار قريش بحكم بعد الشقة بين اليمن والشام ، وطبيعة البلاد العربية ، الا ان يقوموا ، من مكة ، برحلتين تجاريتين : رحلة الشتاء الى اليمن والحبشة وكانت توافق قدوم المراكب من الهند وشرق افريقية الى الموانئ اليمنية . ورحلة الصيف الى الشام والعراق ومصر ، وكانت توافق هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وتوقف حركة الملاحة في غربي المحيط الهندي من بداية شهر يونيه الى اوائل سبتمبر . اما تجار سبأ فلا بد انه كانت لهم رحلة واحدة الى الشام في العام . وهي رحلة تستغرق حوالي شهرين في الذهاب ومثلهما في العودة ، اي انهم كانوا يقضون حوالي اربعة اشهر في الطريق بين اليمن والشام . ولا بد ان تكون عودتهم الى اليمن في نهاية الخريف وأوائل الشتاء .

وكانت قريش تستقبل موافلها العائدة بالتصفيق وقرع الطبول وصيحات لفرح . وبلغ من فرط تعلقهم بالتجارة والكسب ، ان دحية بن خليفة الكلبي عاد على رأس قافلة تحمل زيتا وطعاما من الشام ورسول الله (ص) يخطب يوم الجمعة على منبر مسجد المدينة ، فاستقبلها الناس كعادتهم بالطبول والتصفيق ، خشي المصلون ان يسبقوا الى العير فيفوتهم الربح ، فتركوا الرسول يخطب بادروا اليها في البقيع ولم يبق مع الرسول الا اثني عشر رجلا . فنزل في ذلك

قوله تعالى : « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انتفضوا إليها وتركوك قائما » (١٣) .

ولا يستبعد أن يكون استقبال القوافل التجارية بالطبول والتصفيق عادة قديمة اقتبستها قریش عن سبقها في التجارة من الشعوب العربية . وبالطبول وصيحات الفرح أيضا كانت السفن تستقبل ، حتى عهد قريب ، في الموانئ .

ومن المحتمل جدا أن القوافل التجارية أيام سبأ وقریش كانت تتبع في رحيلها نفس النهج الذي كانت قوافل الحجاج تتبعه ، حتى زمن قريب ، في سقرها . وإن طريق القوافل التجارية القديمة من الشام إلى مكة هي نفس الطريق التي كانت قوافل الحجاج تسلكها أيام الرحالة المشهور ابن بطوطة . ومن وصف ابن بطوطة التالي لسير قافلة الحجاج التي سافر معها من دمشق إلى مكة يمكننا أخذ صورة عن سفر القوافل التجارية في الماضي :

« ثم ارتحلنا إلى مدينة (بصرى) وهي صغيرة . ومن عادة الركب أن يقيم بها أربعة ليالحق به من تخلف بدمشق لقضاء مأربه ويتزود الحجاج منها ثم يرحلون إلى بركة (زبرة) ، ويقيمون عليها يوما ، ثم يرحلون إلى (اللجون) وبها الماء الجاري ، ثم يرحلون إلى حصن (الكرك) وقيم الركب خارج (الكرك) أربعة أيام بموضع يقال له (الثنية) ، ويتجهزون لدخول البرية ، ثم ارتحلنا إلى (معان) وهي آخر بلاد الشام . ونزلنا من عقبة (الصوان) إلى الصحراء التي يقال عنها « داخلها مفقود وخارجها مولود » ، وبعد مسيرة يومنا نزلنا (ذات حج) ، وعلى حسيان [ماء] لاعماره بها ، ثم إلى وادي (بلدح) ، ولا ماء به ، ثم إلى (تبوك) وفيها عين ماء وينزل الركب العظيم على هذه العين ، فيروى منها جميعهم وقيمون أربعة أيام للراحة وأرواء الجمال والتزود بالماء استعدادا لدخول البرية المخيفة التي بين (العلا) و (تبوك) . ومن عادة السفائين أنهم ينزلون على جوانب هذه العين ، ولهم أحواض مصنوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويملاون الروايا والقرب مقابل شيء معلوم من الدراهم . ثم يرحل الركب من (تبوك) ويجد في السير ليلا ونهارا خوفا من هذه البرية ، وفي وسطها الوادي (الأخيضر) كأنه واد من جهنم وفي الخامس من أيام رحيل الركب من (تبوك) يصلون إلى بئر (الحجر) حزر ثمود ، وهي كثيرة الماء وبين الحجر والعلا نصف يوم أو دونه . والعلا قرية كبيرة حسنة لها بساتين النخيل والمياه العذبة ، وقيم بها الحجاج أربعة وإليها ينتهي تجار الشام لا يتعدونها . ثم يرحل الركب من (العلا) فينزل في غد رحيله

بوادي (المطاس)
(هدية) وهي حسي
اليوم الثالث ينزلون
وتلازمه حتى (مكة)

ونفهم من شك
موسم الحج كان في
أربعة أيام ليلا ونهارا
كانت آخر موضع ينزل
يسافرون لشراء السراويل
وأفريقية ، وهي السراويل

أما طرق الحج
« ومن صعدة إلى عر
ثم إلى الشجة ومنها
الجسداء ثم إلى بيث
الصفن ثم إلى رأس

وطريق القوافل
الجبيلية ، وربما إلى
أما من قبل فكانت

ورحلة تستغرق
من الجمال بعضها
وتذكر الأخبار أن تج
بغير بالربذة « وقص
بأحمالها كانت قادمة
ومائة فرس ترعى بال
يستخدمونهم في تجا

وإذا كان هذا
نفترض لتجار سبأ ،
الأموال ، خاصة وقد

بوادي (العطاس) ، وهو شديد الحر ، تهب فيه السموم المهلكة . ومنه ينزلون
(هدية) وهي حسيان ماء بواد يحفرون به ليخرج الماء ، وهو زعاف ، وفي
اليوم الثالث ينزلون بظاهر (المدينة) ، ومن المدينة تتجه الطريق الى الساحل
وتلازمه حتى (مكة) .

ونفهم من شكوى ابن بطوطة من شدة الحر في وادي (العطاس) ان
موسم الحج كان في القيظ ، لذا فقد سارت القافلة في الصحراء بين تبوك والعلا
اربعة ايام ليلا ونهارا دون توقف . كما نعرف ان (العلا) ايام ابن بطوطة
كانت آخر موضع ينتهي اليه تجار الشام . واليها ، ربما ، كان تجار الحجاز
يسافرون لشراء السلع الجلوبة من الشام ويبيع ما جلبوه من سلع اليمن والهند
وافريقية ، وهي السلع التي كانت السفن تنقلها الى ميناء جدة .

اما طرق الحجاج من مختلف انحاء اليمن فكانت تلتقي جميعها في صعدة
« ومن صعدة الى عرقة ثم الى مهجرة ثم الى ارنيب ومنها الى (سروم الفيض)
ثم الى الشجة ومنها الى كتنة ثم الى الهجيرة ثم ييمب ثم الى بنات حرب ومنها الى
الجسداء ثم الى بيشة ثم الى تباله ومنها الى كري ثم الى قرية ومن القرية الى
الصفن ثم الى رأس المنازل ثم قرن المنازل ومنها الى الزيمة ثم مكة » (١٤) .

وطريق القوافل التجارية القديمة بين اليمن ومكة لم تتحول الى المرتفعات
الجبالية ، وربما الى طريق الحجاج هذه الا في اواخر ايام الدولة الحميرية .
اما من قبل فكانت الى الشرق على اطراف الصحراء .

ورحلة تستغرق بضعة شهور كهذه لا بد ان يكون للتاجر فيها عدد كبير
من الجمال بعضها لحمل السلع والبعض الآخر لحمل الزاد والماء ، وكأحتياطي .
وتذكر الاخبار ان تجار قريش كانت لهم ابل كثيرة ، فعثمان بن عفان « ترك الف
بعير بالربذة » وتصدق عبد الرحمن بن عوف ، ذات مرة ، بسبعمائة جمل
بأحمالها كانت قادمة من الشام . وكان فيما ترك « الف بعير وثلاثة الاف شاة
ومائة فرس ترعى بالبقيع » . كما كان لهم الكثير من العبيد والاجراء
يستخدمونهم في تجاراتهم . والكثير من الذهب والفضة .

واذا كان هذا حال تجار قريش ، تجار الادم والبرود ، فانه يحق لنا ان
نفترض لتجار سبأ ، تجار الذهب والبخور ، اضعاف اضعاف هذه الارقام من
لاموال ، خاصة وقد رأينا من قبل مبالغة الكتاب الكلاسيكيين في وصف ثرائهم

وما كانوا يقتوتونه من الاواني الذهبية والفضية والاثاث الثمين والقصور
المزخرفة بالذهب والمقصية والعاج .

وقد اشترك في التجارة الملوك والكهنة ورؤساء العشائر ، وكانوا يرسلون
في تجارتهم المئات من العبيد والاجراء ، وكانت للمعابد مخازن خاصة لخزن
البخور والطيب وتخبرها من المواد المقدسة ، التي تقوم بتوريدها وبيعها (١٥) .

ونحن نعلم ان ملوك فارس كانوا ايام الجاهلية يتاجرون مع العرب ،
فكانت قوافلهم تذهب الى اليمن لبيع ما تحمله من فارس والعراق وتعود منها
بالطيب وسلع افريقية الثمينة . وكانوا يوكلون امر حراسة القوافل السي
سادات القبائل القوية مقابل جعل يدفعونه لهم . « وكان ملوك الحيرة يرسلون
لطانهم الى الاسواق لتتاجر بالطيب ، ومنهم النعمان بن المنذر . وكان يبعث
الى سوق عكاظ . . . بلطيمة يجيزها له سيد مضر فتباع ويشترى له بثمنها
الادم والحريز والوكاء والمغراء والبرود من العصب والموشى والمسير
والعدني » (١٦) .

اما عن الضرائب التي كانت تفرض على مرور التجارة والمتاجرة فهي
الاسواق الداخلية فلم تتحدث كتابات المسند عنها بالتفصيل . ويعتقد البعض
ان حكومات العربية الجنوبية كانت تأخذ العشر عن البيوع والتجارة والفلات
الزراعية ، وكان لها جباة في الاسواق ومداخل الحدود لجمع الضرائب .

ولقد اسالت الثروة الضخمة ، التي كانت تتدفق من الغرب والشرق الى
يد العرب الجنوبيين ، لعاب الدول الكبرى آنذاك ، فحاول بعضها احتلال
العربية الجنوبية، وحاول البعض الاخر تحويل تجارة المحيط الهندي من موانئ
العربية الجنوبية الى الموانئ الواقعة تحت سيطرته . غير ان جميع هذه
المحاولات - كما سنرى - قد باءت بالفشل .

واولى هذه المحاولات - كما يرى الدكتور جواد علي - قام بها (نبونيد)
الكلداني ، ففي ما بين ٥٥١ و ٥٥٢ ق م . احتلت جيوشه اعالي الحجاز حتى
وصلت الى يثرب . ولعله كان يطمح « في السيطرة على اخطر طريق بريّة
للتجارة تربط بلاد الشام بالعربية الجنوبية ، وهي طريق قديمة مسلوكة تسلكها
القوافل التجارية المحملة بأنفس التجارات المطلوبة في ذلك العهد ، ثم السيطرة
على البحر الاحمر ، وذلك بالاستيلاء على الحجاز وعسير واليمن وربما على

العربية الجنوبية كلها
عند يثرب ولم يواصل

ويعد مصرع يو
اثنين من القادة هما
الولايات الغربية من
بيد ان الصراع ما لبث
البحرية سنة ٢٢ ق م
هزيمة جيشه في هذه
تولى عرش مصر من
ولقب بـ (اغسطس)

وجه اغسطس
فشجع الملاحة الروما
بتطهير قناة (سنوس
الطرق التجارية البرية

وبسطت روما
الاقسام الشرقية وال
ساحل البحر الاحمر

وقد قامت مملكة
كانت المنطقة تحت
للنبط كانت تلتقي ط
العربي والعراق وال
الشرقية تلتقي بالسلا
باسم Kome -

الساحل الشرقي للبحر
المصري المقابل لهم
البحر الاحمر ، مما
وعلى الساحل العربي
البحر الاحمر ، واقا
النبط مستقلة ذاتيا

العربية الجنوبية كلها ، (١٧) . ولكن جيش (أبوليد) توقف لأسباب مجهولة ، عند يثرب ولم يواصل زحفه نحو الجنوب .

وبعد مصرع يوليوس قيصر عام ٤٤ ق م . آل أمر الدولة الرومانية الى اثنين من القادة هما : انطونيوس واوكتافيوس ، واصبح من نصيب الاخير الولايات الغربية من الامبراطورية الرومانية ، ولانطونيوس الولايات الشرقية . بيد ان الصراع ما لبث ان نشب بين هذين القائدتين . وكانت معركة (اكيثوم) البحرية سنة ٣٢ ق م . المعركة الفاصلة بينهما ، اذ انتصر انطونيوس بعد هزيمة جيشه في هذه المعركة ، كما انتحرت بعده عشيقته كليوبترا ، آخر من تولى عرش مصر من البطالمة . واصبح اوكتافيوس امبراطور روما بدون منافس ولقب بـ (اغسطس) . وانتهى بذلك عهد الجمهورية الرومانية .

وجه اغسطس اهتمامه ، بعد ذلك ، الى الشرق للسيطرة على خيراته ، فشجع الملاحة الرومانية واليونانية في المحيط الهندي والبحر الاحمر ، وامر بتطهير قناة (سنوسرت) الثالث التي تربط النيل بخليج السويس ، واصلاح الطرق التجارية البرية .

وبسطت روما نفوذها على مملكة النبط التي كانت تضم ايام اوج مجدها الاقسام الشرقية والجنوبية من فلسطين ، وطور سينا ، واعالي الحجاز حتى ساحل البحر الاحمر .

وقد قامت مملكة النبط على انقاض المملكة اللحيانية وقبل هذه - كما رأينا - كانت المنطقة تحت سيطرة العرب الجنوبيين . وفي (بترى) التي غدت عاصمة للنبط كانت تلتقي طرق القوافل التجارية البرية من اليمن وجوها على الخليج العربي والعراق والشام . وفي غزة مينائها على البحر المتوسط ، كانت السلع الشرقية تلتقي بالسلع الغربية . ومن مينائها الذي عرف لدى اليونان والرومان باسم Leuke - Kome لويك كوما ، والواقع على الطرف الشمالي من الساحل الشرقي للبحر الاحمر ، كان النبط يقومون بالاتجار مع الساحل المصري المقابل لهم . لكن تجارتهم مع مصر توقفت بعد تدخل البطالمة في تجارة البحر الاحمر ، مما دفع النبط الى التحرش بالسفن اليونانية في عرض البحر وعلى الساحل العربي ، فقام البطالمة بانشاء اسطول لحماية سفنهم في شمال البحر الاحمر ، واقامة مراكز مراقبة على ساحله الشرقي . وقد بقيت مملكة النبط مستقلة ذاتيا حتى عام ١٠٦ ب م . حين الحقها تراجان بالامبراطورية

الرومانية ، وسميت بعد ذلك بـ (الكورة العربية) .

وكان أغسطس يعلم بما حلم به من قبل الاسكندر الاكبر ، وهو السيطرة على بلاد العرب الجنوبية والمناطق المقاتلة لها من افريقية ، وبالتالي السيطرة على تجارة المحيط الهندي ، فأمر (ايليوس غالبيوس) واليه على مصر بغزوها . فجهز هذا حادثة وثلاثين سفينة حشد عليها عشرة الاف جندي من الروم والمصريين . وابتعدت السفن من الساحل المصري الى (لويك كوما) . وبعد رحلة مليئة بالاهوال ، استقرت خمسة عشر يوما ، تحطم فيها كثير من السفن وغرق من عليها ، وصلت بقية السفن الى ميناء النبط على الساحل العربي . وهناك اعاد (ايليوس) حشد قواته من جديد ، وضم اليها الفا من النبط وخمسمائة من اليهود . وسارت الحملة صوب الجنوب .

ومن وصف الجغرافي والمؤرخ اليوناني (استرابون) لسير هذه الحملة نجد ان طبيعة البلاد العربية القاسية وصحاريها وندرة المياه فيها قد وقفت في وجه الجيش الروماني وعرقلت تقدمه ، فهلك الكثير من التعب والعطش ، وتفشي الوباء بين صفوفه . وبعد سفر شاق استمر نحو ستة اشهر ، لقي فيه الجيش الروماني مقاومة بسيطة من مدن وقبائل اختلفت حولها آراء الباحثين . وصلت الحملة الى مدينة اسمها استرابون Marsiaba ، وهي عاصمة شعب Rhammanitae . وقد علم ايليوس من الاسرى العرب ان Marsiaba تبعد عن ارض التوابل مسيرة يومين . ومن هذه المدينة عاد من بقي من الجيش على عقبه دون ان يحقق حلم أغسطس .

ويصف استرابون بلاد التوابل التي تبعد عن Marsiaba مسيرة يومين بأنها تضم أربعة اقاليم الاول لمعين وعاصمته قرناو Carna ، والثاني لسبا وعاصمته مأرب Marlab ، والثالث لقتبان وعاصمته تمنا ، ويمتد اقليم قتبان الى ساحل البحر ، والرابع للحضرموتيين وهم أبعد هذه الشعوب الى الشرق وعاصمتهم سبتا Sabata (شبة) .

فاسترابون الذي عاصر الحملة وكان - كما يعتقد البعض - صديقا لقائدها لم يذكر ان الجيش الروماني قد دخل بلاد التوابل . ولكن (بليني) الذي جاء بعد الحملة بعشرات السنين ، قد ادخل بلاد التوابل ضمن البلدان التي زعم ان الجيش الروماني قد خربها . وقد توفي بليني عام ٧٩م بينما كانت وفاة استرابون في عام ٢٥م . اما الحملة فكانت في عام ٢٥ق م . اي

قبل وفاة بليني بحوالا
تحدث عن هذه
يذكر حربا وقعت بين
(دشامت) الروم و
يوعنا هذا يقصدون
الشاعر اليمني عبدا
بعد ان بنى فيها المكن
اليها من صنعاء :
هب النبط

ما مصر

خدد ل

وترى . ج .
الي ()
بعض المصادر العرب
وردت فيه مثل هذه
برايها (١٩)

وبعد فاننا نت
عواصم العربية ال
ارسل من اجلها ؟
يقول سترابون
لاحتلال العربية ال
والصومال وعقد
وبعد فشل ه
على منافسة العرب
اكسوم ومصر الع
اوغزوا اليهم حم
الاحمر . ومنذ القر
الذي انهكتهم الحر
مضيق باب المندب
قبيلة (سهرتن)

قبل وفاة بلييني بحوالي قرن ونصف ، هذا الى انه لم يعثر على كتابة بالسند
تتحدث عن هذه الحملة . وهناك نقش سجل تحت رقم (Halevy 535) ،
يذكر حريا وقعت بين (نشامت) و (ذيمتات) حسب البعض ان المقصود من
(نشامت) الروم وان (ذيمتات) وهم اليمينيون . والحقيقة ان اليمينيين حتى
يومنا هذا يقصدون بالشام الجبهة الشمالية وباليمين الجهة الجنوبية . قال
الشاعر اليمني عبدالله بن يعلى ، يمدح مدينة (جيلة) ، من مخلاف جعفر ،
بعد ان بنى فيها المكرم بن علي الصليحي ، زوج الملكة أروى ، (دار العز) وانتقل
اليها من صنعاء :

هب التسيم فبت كالحيوان

شوقا الى الاهلين والجيران

ما مصر ما بغداد ما طبرية

كمدينة قد خفها نهران

خدد لها شام وحب مشرق

والتعكر السامي الرفيع يمان (١٨)

وترى . ج . بيرين ان Marsiaba أصلها (مارب سبأ) حرفها اليونان
الى (Marsiaba) . واستدلت على ذلك بورود اسم (مارب سبأ) في
بعض المصادر العربية . ولو ان بيرين اتت بنص واحد فقط من نصوص السند
وردت فيه مثل هذه التسمية ، بدلا من الاستدلال بالمصادر العربية ، لسلطنا
برأيها (١٩)

وبعد فاننا نتساءل : اذا كان حقا - كما زعموا - ان الجيش قد دخل
عواصم العربية السعيدة وخربها ، فلماذا عاد مسرعا دون ان ينجز المهمة التي
ارسل من اجلها ؟

يقول سترابون « ان اغسطس قيصر قد ارسل ايليوس غاليس ، قائد الحملة
لاحتلال العربية السعيدة ، والبحث عن حدود بلاد الحبشة وأرض ارتيريا
والصومال وعقد معاهدات صداقة معها او احتلالها (٢٠) .

وبعد فشل هذه الحملة راح الرومانيون يصادقون الاكسوميين ويشجعونهم
على منافسة العرب الجنوبيين في التجارة ، واحياء الطريق البرية القديمة بين
أكسوم ومصر العليا ، لتعبر عليها التجارة القادمة من موانئ عدول . كما
اوعدوا اليهم حماية السفن اليونانية والرومانية في الجزء الجنوبي من البحر
الاحمر . ومنذ القرن الاول للميلاد بدأ الاكسوميون يتحرشون بالعرب الجنوبيين ،
الذي انهكتهم الحروب الداخلية ، ويهاجمون سواحلهم الغربية القريبة من
مضيق باب المندب . وفي عهد (ال شرح يحضب) ملك سباوذوريدان ، ظهرت
قبيلة (سهرتن) او (سحرت) كحليفة للوك أكسوم على ساحل تهامة ، وهي

من القبائل التي حاربها (الشرح يحضب) . ويبدو ان هذه القبيلة قد تناسلت من الاحباش الذين هاجروا الى تهامة . وبقيت محافظة على اسمها حتى بعد ظهور الاسلام . فاليها ارجع عبارة في تاريخه نسب ملوك بني نجاش عسي اليمن (٢١)

وقد اختلف الباحثون في تحديد زمن (الشرح يحضب) . ويرى بعضهم ان عهده كان قبل نهاية القرن الاول قبل الميلاد . ويتبين من بعض نقوش المستند من عهد (شعر وتر) ملك سبا ونوريديان ، ان الاحباش كانوا مسيطرين على جزء كبير من تهامة وانهم هاجموا تحت قيادة (بيجت) ولد النجاشي (ينجش) ، ظفار واحتلوا اثناء انهماك جيش (شعر وتر) قائده في مقاتلة الحضرموتيين والرومانيين ، فكلف (شعر وتر) (قطبن اوكن) بالسير الى ظفار ومحاربة الاحباش . وقد باغت (قطبن اوكن) الاحباش ليلا ، وتمكن بمساعدة قوات وصلت من (عززم يهنف يهصدق) من طرد الاحباش من ظفار بعد قتل اكثر من اربعمائة نفر ، وتعقب قلوبهم الى (معهرتن) . ثم توجه الى ارض (حبشت) وهاجم (جذرت ملك حبشت واكسمن) . وعاد منها منتصرا (٢٢) .

وقد اختلف الباحثون ايضا في تحديد زمن (شعر وتر) ، الا ان بعضهم يرى ان من المحتمل ان (العزيط) ملك حضرموت الذي حاربه (شعرم اوتر) هو (العزيط) الذي جاء ذكره في رحلة (الطواف حول البحر الارتيري) فهو (العزيط الثاني) .

مما تقدم نرى ان تدخل الاحباش في اليمن قد بدا في القرن الاخير قبل الميلاد . وفي النصف الاخير من القرن الثالث للميلاد كانت اكسوم في اوج قوتها ، بينما كانت بلاد العرب الجنوبية ضعيفة ممزقة . وحوالي عام ٢٨١ ارسل ملك اكسوم والحبشة ، بايعاز من اصدقائه الرومانيين ، جيشا من موانئ عدول الى الساحل العربي الغربي ، فيما بين بلاد النبط وحدود العربية السعيدة الشمالية ، لقاديب القبائل التي كانت تتعرض للقوافل التجارية بين اليمن واعالي الحجاز ، وتسطر على السفن التي ترسو ليلا على الساحل ، بعد ان اصبحت لعربية الجنوبية ضعيفة غير قادرة على حماية وصيانة الطريق التجارية في الحجاز (٢٣) .

بعد هذا التاريخ امر ملك اكسوم بتجهيز جيش من الجزء التابع له من حل تهامة باليمن وارسل جيشا اخر عن طريق البحر الى سواحل اليمن

الغربية والجنوبية ، ووة سيطرة الاحباش ، ولقت وسلحان وحبشت) . وقام بتوسيع الطويل ، جنوب بلاد النوبيين عند بالعبور على اراضيهم (

في عام ٣٣٠ م ا الشرق الادنى ، لتكون وبهذا التاريخ ، كما هو شغلوا بالصراع القديم الديانة المسيحية عن الا من السلع الشرقية من البشر فرومنتيوس ius لاقناع الملك عزانا باعثة المسيحية ، بعد اعتناق التابعة لها (٢٥) .

وفي عام ٣٥٤ م في عدن . وكانت عدن سوقا للسلع من الشرق من مصر ويعتقد انه كان لهم فيها . (٢٦)

وقام ثيوفيلس بـ وغيرهما ، ونجح هو لأكسوم .

وكان هدف البيزن افريقية هدفا سياسيا تغفل النفوذ الساساني من جانبهم على تشجيع الرومانيين ، كما ساند

أفريقية والجنوبية ، ووقعت اليمن الضعيفة ، فيما عدا حضرموت ، تحت
سيطرة الأحباش ، ولقب ملك أكسوم بلقب (ملك أكسوم وحيروريدان وسيا
سلحان وحيش) . وخلفه الملك (عزانا) المشهور ، ولقب أيضا بهذا اللقب
لطويل . أقام بتوسيع حدود مملكة أكسوم في أفريقية . وفي عام ٣٢٥ م احتل
أوب بلاد النوبيين عندما رفضوا السماح للتجار بين أكسوم ومصر العليا
بعبور على أراضيهم (٢٤) .

في عام ٣٣٠ م اختيرت القسطنطينية ، لقربها من مسرح الأحداث في
شرق الأدنى ، لتكون عاصمة للإمبراطورية الرومانية بدلا من روما البعيدة .
بهذا التاريخ ، كما هو معروف ، يبدأ العهد البيزنطي . غير أن البيزنطيين
غلبوا بالصراع القديم الموروث ، منذ أيام (الفرث) ، مع الساسانيين ونشر
الديانة المسيحية عن الاهتمام بشؤون التجارة ، واكتفوا بشراء ما يحتاجونه
من السلع الشرقية من عدول والعربية الجنوبية وأكسوم . ففي عام ٣٥٠ م أوفد
مبشر فرومنتئوس Frumentius ، وهو سوري الأصل ، إلى بلاط أكسوم ،
قناع الملك عزانا باعتراف المسيحية ، ونجح فرومنتئوس في مهمته ، وغدت
مسيحية ، بعد اعتناق الملك عزانا لها ، الديانة الرسمية لأكسوم والبلدان
تابعة لها (٢٥) .

وفي عام ٣٥٤ م أنشأ مبشر آخر يدعى ثيوفيلس Theophilus كنيسة
في عدن . وكانت عدن وقتئذ قد استعادت مركزها التجاري السابق ، وأصبحت
نقطة للسلع من الشرق والغرب ، يتردد إليها التجار اليونانيون والرومانيون
من مصر ويعتقد أنه كان بها طائفة من المسيحيين فدعت الحاجة إلى بناء كنيسة
فيها . (٢٦)

وقام ثيوفيلس ببناء كنائس في ظفار عاصمة الدولة الحميرية ونجران
غيرهما ، ونجح هو الآخر في تنصير الملك الحميري الذي كان خاضعا
لأكسوم .

وكان هدف البيزنطيين في نشر المسيحية في الشرق الأدنى والهند وشرق
أفريقية هدفا سياسيا هو كسب صداقة شعوب هذه المناطق ، وسد الطريق أمام
لغل النفوذ الساساني بينها . ومع أن الساسانيين كانوا مجوسا ، فقد عملوا
على جانبهم على تشجيع ونشر المذهب النسطوري ، وهو مذهب يعارض مذهب
الرومانيين ، كما ساندوا اليهودية . (٢٧)

من القبائل التي حاربها (الشرح يحضب) . ويبدو ان هذه القبيلة قد تناسلت من الاحباش الذين هاجروا الى تهامة . وبقيت محافظة على اسمها حتى بعد ظهور الاسلام . قالها ارجع عمارة في تاريخه نسب ملوك بني نجاش فسي اليمن (٢١)

وقد اختلف الباحثون في تحديد زمن (الشرح يحضب) . ويرى بعضهم ان عهده كان قبل نهاية القرن الاول قبل الميلاد . ويقبين من بعض نقوش المستند من عهد (شعر وتر) ملك سبا وتوريدان . ان الاحباش كانوا مسيطرين على جزء كبير من تهامة وانهم هاجموا تحت قيادة (بيجت) ولد النجاشي (ينجش) ، ظفار واحتلوها اثناء انهماك جيش (شعر وتر) قائده في مقاتلة الحضرموتيين ظفار والرومانيين ، فكلف (شعر وتر) قائده (قطبن اوكن) بالسير الى ظفار ومحاربة الاحباش . وقد باغت (قطبن اوكن) الاحباش ليلا ، وتمكن بمساعدة قوات الاحباش من (عززم يهنف يهصدق) من طرد الاحباش من ظفار بعد قتل اكثر من اربعمائه نفر ، وتعقب فلولهم الى (معهرتن) . تم توجه الى ارض (حبشت) وهاجم (جذرت ملك حبشت واكسمن) . وعاد منها منتصرا (٢٢) .

وقد اختلف الباحثون ايضا في تحديد زمن (شعر وتر) ، الا ان بعضهم يرى ان من المحتمل ان (العزيط) ملك حضرموت الذي حارب (شعرم اوتر) هو (العزيط) الذي جاء ذكره في رحلة (الطواف حول البحر الارتييري) فهو (العزيط الثاني) .

مما تقدم نرى ان تدخل الاحباش في اليمن قد بدا في القرن الاخير قبل الميلاد . وفي النصف الاخير من القرن الثالث للميلاد كانت اكسوم غي اوج قوتها ، بينما كانت بلاد العرب الجنوبية ضعيفة ممزقة . وحوالي عام ٢٨١ ارسل ملك اكسوم والحبشة ، بايعاز من اصدقائه الرومانيين ، جيشا من موانئ عدول الى الساحل العربي الغربي ، فيما بين بلاد النبط وحدود العربية السعيدة الشمالية ، لتاديب القبائل التي كانت تتعرض للقوافل التجارية بين اليمن واعالي الحجاز ، وتسطر على السفن التي ترسو ليلا على الساحل ، بعد ان اصبحت العربية الجنوبية ضعيفة غير قادرة على حماية وصيانة الطريق التجارية في الحجاز (٢٣) .

بعد هذا التاريخ امر ملك اكسوم بتجهيز جيش من الجزء التابع له من ساحل تهامة باليمن وارسل جيشا اخر عن طريق البحر الى سواحل اليمن

الغربية والجنوبية ، ووقعت اليمن الضعيفة ، فيما عدا حضرموت ، تحت سيطرة الاحباش ، ولقب ملك اكسوم بلقب (ملك اكسوم وحميروريدان وسبا وسلحان وحبشت) . وخلفه الملك (عزانا) المشهور ، ولقب ايضا بهذا اللقب الطويل ، فقام بتوسيع حدود مملكة اكسوم في افريقية . وفي عام ٣٢٥ م احتل جنوب بلاد النوبيين عندما رفضوا السماح للتجار بين اكسوم ومصر العليا بالعبور على اراضيهم (٢٤) .

في عام ٣٣٠ م اختيرت القسطنطينية ، لقربها من مسرح الاحداث في الشرق الادنى ، لتكون عاصمة للامبراطورية الرومانية بدلا من روما البعيدة . وبهذا التاريخ ، كما هو معروف ، يبدأ العهد البيزنطي . غير ان البيزنطيين شغلوا بالصراع القديم الموروث ، منذ ايام (الفرث) ، مع الساسانيين ونشر الديانة المسيحية عن الاهتمام بشؤون التجارة ، واكتفوا بشراء ما يحتاجونه من السلع الشرقية من عدول والعربية الجنوبية واكسوم . ففي عام ٣٥٠ م اوفد المبشر فرومنتيوس Frumentius ، وهو سوري الاصل ، الى بلاط اكسوم ، لاقتناع الملك عزانا باعتناق المسيحية ، ونجح فرومنتيوس في مهمته ، وغدت المسيحية ، بعد اعتناق الملك عزانا لها ، الديانة الرسمية لأكسوم والبلدان التابعة لها (٢٥) .

وفي عام ٣٥٤ م انشأ مبشر آخر يدعى ثيوفيلس Theophilus كنيسة في عدن . وكانت عدن وقتئذ قد استعادت مركزها التجاري السابق ، واصبحت سوقا للسلع من الشرق والغرب ، يتردد اليها التجار اليونانيون والرومانيون من مصر ويعتقد انه كان بها طائفة من المسيحيين فدعت الحاجة الى بناء كنيسة لهم فيها . (٢٦)

وقام ثيوفيلس ببناء كنائس في ظفار عاصمة الدولة الحميرية ونجران وغيرها ، ونجح هو الآخر في تنصير الملك الحميري الذي كان خاضعا لأكسوم .

وكان هدف البيزنطيين في نشر المسيحية في الشرق الادنى والهند وشرق افريقية هدفا سياسيا هو كسب صداقة شعوب هذه المناطق ، وسد الطريق أمام تغفل النفوذ الساساني بينها . ومع ان الساسانيين كانوا مجوسا ، فقد عملوا من جانبهم على تشجيع ونشر المذهب النسطوري ، وهو مذهب يعارض مذهب الرومانيين ، كما ساندوا اليهودية . (٢٧)

الا ان احتلال الاكسوميين لليمن والساحل الحجازي لم يدم طويلا ، فبعد منتصف القرن الرابع للميلاد استطاع اليمينيون وقبائل الحجاز ان يستعيدوا حريتهم واستقلالهم ويطردوا الاحباش من بلاد العرب . واستمرت اليمن ، لا سيما ، في عهد (اب كرب اسعد) شيئا من مجدها الغابر فنشطت حركة التجارة البرية بعد ان تحولت طريق القوافل الرئيسية بين اليمن والشام من اطراف الصحراء الى المرتفعات الغربية واستعادت نفوذها على جزء كبير من بلاد العرب * (٢٨)

وبعد اكثر من قرن وربع من هذا التاريخ ، اي في اوائل القرن السادس استعرت الفتن والقتل في اليمن من جديد ، وكانت هذه المرة ، فتنا وصراعات طائفية بين المسيحيين منهم واليهود ، بعد ان دخلت اليهودية الى اليمن على يد احد ملوكها الذين سبقوا (ذونواس) . فتعشرت او توقفت تماما القوافل التجارية بين اليمن والشام ، فبادر اهالي مكة ، الذين كانوا يعيشون على مرور هذه القوافل ببلادهم ، الى التقاط الزمام وشغل الفراغ الذي تركه اشقاؤهم اليمينيون .

وعاد الاحباش الى التدخل في اليمن من جديد ، وما جاءت حادثة اصحاب الاخذود والغزو الحبشي الشامل والاخير لليمن ، الا بعد ان سيطر الاحباش على جزء كبير من ساحل تهامة .

(٤)

سيطرة العرب الجنوبيين * على الملاحة والتجارة
البحرية في غربي المحيط الهندي

هناك من
برية كتجار قر
الشعوب المتطو
الشرقية الى
الابيض المتوس
لبناء السفن
الى آخر تلك
المزاعم كحقائ
اليمين

والحقيقة
وقوارب بدائية
عليها الا اولئك
والتجار المغامر

لقد كان
على وجه البحر

* نقصد بالعرب
البحرين والغر

في احوالهم قد كمالوا اولادهم في جميعها بربها في احوالهم
وغيرها احوالهم في هذا هو في احوالهم

هناك من يزعم أن العرب الجنوبيين لم يكونوا إلا أصحاب قوافل وتجارة برية كتجار قريش فقط ، أما الملاحة والتجارة البحرية فكانتا بيد غيرهم من الشعوب المتطورة كالهنود والفرس وغيرهم ، وأن سفن هؤلاء كانت تنقل السلع الشرقية إلى موانئ بلاد العرب الجنوبية ، وتعود منها بسلع اقطار حوض البحر الابيض المتوسط . وأن بلاد العرب لم تنتج في يوم من الايام الاخشاب الصالحة لبناء السفن . وانها كانت تستورد من الهند ما تحتاجه من السفن والاخشاب . . . إلى آخر تلك المزاعم الباطلة . والمؤسف أن بعض الكتاب اليمنيين قد تقبلوا هذه المزاعم كحقائق لا تقبل الجدل والنقاش ، وأدخلوها في ما كتبوه عن تاريخ اليمن .

والحقيقة أن ركوب البحار الخطرة كالبحر الاحمر وخليج عدن ، على سفن وقوارب بدائية ، مخيطة بخيوط من الليف ، يعتبر مجازفة عظيمة لم يكن يقدم عليها الا أولئك الذين سددت امامهم ابواب العيش ، على وجه البر ، والعبيد ، والتجار المغامرون .

لقد كان الناس ، حتى زمن قريب ، يكتبون وصاياهم حين يقدمون على السفر على وجه البحر ، ويودعون اهلهم الوداع الاخير ، ويعتبرون في عداد المفقودين

* نقصد بالعرب الجنوبيين سكان ساحل بلاد العرب الجنوبي والساحلين الشرقي حتى جزر البحرين والغربي حتى ميناء جيزان .

ما داموا في البحر ، ومن خرج منه سالما بعد كمن بعث من قبره . قال ابن مجاور :
« وخروج الانسان من البحر كخروجه من القبر » .

انما اذا نظرنا الى سواحل بلاد العرب الجنوبية سواء منها القريبة او
الجنوبية نجدها ، جميعا ، سواحل فقيرة جرداء الا من الشياطات الشوكية التي
تنصير على الجذب والعطش ، فكان من الطبيعي ان يلجأ سكانها الى ركوب البحر
لاصطياد ارزاقهم منه ، والى الهجرة الى السواحل الاريقية المجاورة لهم . ومن
الطبيعي ان تؤدي هجرتهم المستمرة الى السواحل الاريقية الى تطوير بناء سفنهم ،
والوصول الى الاماكن البعيدة منها ، وزيادة معرفتهم بالمواضع الخطرة والمسالك
الاسينة في البحار الفاصلة بينهم وبين هذه السواحل .

وخطورة الملاحة في البحر الاحمر تصوره لنا بعض الرحلات المشهورة
كرحلتي ابن جبير وابن بطوطة . سافر ابن جبير في عام ١١٨٢ م من ميناء
عذاب على الساحل المصري الغربي الى جدة . وفي مساء اليوم الثالث - كما
قال - ما كادوا يستبشرون برؤية الطير من بر الحجاز حتى لمع برق من جهة
الحجاز ، ثم نشأ نوء اظلم له الى ان كسا الافاق كلها ، وهبت ريح شديدة ،
صرفت المركب عن طريقه راجعا وراة ، وتمادى عصف الرياح واشتدت حلقة
الظلمة وعمت الافاق ، فلم ندر الجهة المقصودة منها ، الى ان ظهر بعض النجوم
فاستدل بها بعض الاستدلال ، وحط القلع الى اسفل العقول ، وهو الصاري . واقمنا
ليلتنا تلك في هول يؤذن باليأس واراننا بحر فرعون بعض أهواله الموصوفة الى
ان اتى الله بالفرج مقترنا مع الصباح ، فهدأ قياد الرياح ، واقتشع الغيم واصبحت
السماء

« ثم أرسينا عشية (الجمعة) في جزيرة صغيرة في البحر بعد ان
لقينا شعابا كثيرة يكسر فيها الماء ويضحك علينا . فتخللنا اثناءها على حذر ،
وكان الريان بصيرا بصنفته حاذقا فيها فخلصنا الله منها حتى أرسينا بالجزيرة
المذكورة ، ونزلنا اليها وبتنا بها ليلة الجمعة . وأصبح الهواء راكدا والريح
غير متنفسة الا من الجهة التي لا توافقنا فأقمنا بها يوم الجمعة » .

وحالت الريح صبيحة يوم الثلاثاء بينهم وبين دخول مرسى جده . قال :
« ودخل هذه المراسي صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها . وابصرنا
من صنعة هؤلاء الرؤساء والنواتية في التصرف بالجلبة اثناءها أمرا ضخما .
يدخلونها على مضايق ، ويصرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب

العنان السلس القياد ، ويأتون في ذلك بحجب يضيق الوصف عنه . وفي ظهر يوم الثلاثاء . . . كان نزولنا بجدة حامدين الله عز وجل . . . وكان سفره من عيذاب يوم الاثنين ، أي أن الرحلة استغرقت بسبب سوء الأحوال الجوية ثمانية أيام .

وإذا كانت الريح التي صرفت مركب ابن جبير عن وجهته قد جاءت من الشرق فإن الريح التي واجهت المركب الذي سافر عليه ابن بطوطة من جده إلى سواكن قد جاءت من ناحية الغرب . قال ابن بطوطة : « ثم ركبنا البحر من جده في مركب يسمونه (الجليلة) ، وكان لرشيد الألفي اليمني الحبشي الأصل وركب الشريف منصور بن أبي نمي قبي جليلة أخرى ، ورغب مني أن أكون معه فلم أفعل ، لكونه كان معه في جليلة الجمال ، فخفضت من ذلك ، ولم أكن ركبنا البحر قبلها . وكان هنالك جملة من أهل اليمن قد جعلوا زوادهم وامتعتهم في الجلب وهم متأهبون للسفر . »

« ثم سافرنا في هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح بعد ذلك وصعدتنا عن السبيل التي قصدنا ، ودخلت الأمواج معنا في المركب ، واشتد الميذ بالناس ، ولم نزل في أهوال حتى خرجنا إلى مرسى يعرف بـ (رأس دواثر) فيما بين عيذاب وسواكن . »

« وبعد مسيرة يومين في بر قبائل (البجاه) وصلنا إلى سواكن . وهي جزيرة على نحو ستة أميال من البر . ثم سافرنا من سواكن إلى اليمن . »

وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وإنما يسافرون فيه من طلوع الشمس إلى غروبها ويرسون ، فينزلون إلى البر ، فإذا كان الصباح صعدوا إلى المركب . وهم يسمون رئيس المركب الربان . ولا يزال الربان ، أبداً ، في مقدم المركب ينبه صاحب السكان على الأحجار ، وهم يسمونها النباتات ، وبعد ستة أيام من خروجنا من جزيرة سواكن وصلنا إلى مدينة (حلي) . »

هذا هو البحر الأحمر . . بحر فرعون . . بحر الأهوال والعواصف الهوجاء وشعاب المرجان الرهيبة . . البحر الذي لقي فيه كثير من الملاحين الدخلاء مصرعهم ، وتمزقت على أسنان شعابه مراكبهم . . البحر الذي تحطمت على صخوره آمال الطامعين الأجانب في انتزاع تجارته من يد ابنائه الذين خلقوا على سواحله وتربوا بين أحضانه ، وعرفوا كل صخرة من صخوره وكل شعابه ومسالكه الخطرة .

ومن سلم من الملاحين الدخلاء من أهوال بحر قرعون واستطاع عبور باب
المنذب أو المنذب فلن يسلم من الوقوع في شرك (الجزر السوابغ) فسي خليج
عدن . يقول عيسى القطامي الملاح الكويتي المشهور في الدليل البحري السذي
كتبه باللهجة الكويتية وأسماء (دليل الحمار في علم البحار) :

من لم يبات سهير العين منتظر
يفارق النوم من شمسان (*) إلى الباب
لا يركب البحر أرى في ركبته خطرا
(جزر السوابغ) تشابه روس أنياب
كالطير لا يستطيع أن حل في شرك

« نعم يا أخي .. لحيث هذه الأماكن فيها ضيق والمجاري تتفرق على
خمس نجوم من شمسان إلى الباب في ليلة واحدة . وينبغي لصاحب السرك
التحفظ والاجتهاد في تلك الليلة ، وخصوصا أيام الغمام ، لأجل معالم البرما
تنكشف زين . ولا تكلف على السفينة كثير مع كثرة الريح خوفا من مداركة
الأماكن الضيقة ، لأن هناك (جزر السوابغ) وبحرهن غزير وجنوبهن أوساخ
(شعاب) غبية . والثاني هناك تصطب الرياح ويصير المجري اعتراضه ، كيف
إذا كان المركب شاحن كثير وحماله ، ما يتعب المركب وما حواه من الأوامر وغيره
وكم قد جرب هذا الأمر . والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » .
واشتهر بحر (بربره) و (سقطرى) و (حافون) بعظم أمواجه ،
وخطورة السفر فيه حتى قيل « بين سقطرى وحافون ليت السفر لا يكون » ، وفي
أيام السعودي ** كان البحارة يرتجزون أثناء سفرهم فيه :

وموجها الجنوني

وموجها كما ترى

بربرا وحافوني

حافوني وبربرا

ولا بد قبل الاقتراب من جبل كدمل بسقطرى من عمل (الفولة) للمارد
الذي يسكن فيه . ويقال ان المركب كان بعد هذه (الفولة) يصل سالما إلى
لحف الجبل (١) .

ومع ان الرحلات البحرية التي كانت السفن المصرية تقوم بها إلى بلاد
(بنت) منذ ما قبل عهد (ساحورع) تدل على مهارة الملاح المصري في ذلك

* شمسان : جبل عدن .

** قام السعودي صاحب (مروج الذهب) برحلات إلى شرق افريقية في القرن
العاشر الميلادي .

التاريخ المبكر ، ودرايته بشعاب البحر الأحمر ومسالكه الخطرة ، إلا أن أسطورة الملاح المصري ، الذي تحطمت سفينته عند الطرف الجنوبي للبحر الأحمر ، ونجا بعد أن قذفت به الأمواج إلى جزيرة تبعد عن (طيبة) مسيرة شهرين ، تدل على أن السفن المصرية كانت تتعرض للغرق في هذا البحر الخطر .

أما من ينكر على الأرض اليمنية إنتاج الأخشاب الصالحة لبناء السفن فيكفي أن نرد عليه بقول ابن جبير : « أن خشب بناء السفن في عيذاب كان يجلب من النهد واليمن » . وقول نزيه مؤيد العظم في كتابه (رحلة في بلاد العرب السعيدة) : « وعلى شاطئ البحر رأيت النجارين يعملون طيلة النهار في بناء المراكب الشراعية . ويجلبون الخشب لبناء هذه المراكب في (أنس) وغيرها من الأصقاع اليمنية المشهورة بأحراجها الكبيرة » . وبذلك الصورة (شكل ١١) التي نرى فيها اثنين من النجارين يشقان جذع شجرة إلى الواح ، بينما انهمك آخرون في بناء قارب صغير من هذه الألواح .

لننتقل الآن إلى الساحلين : ساحل الهند الغربي والساحل الفارسي لنرى مدى دورهما في التجارة البحرية في غربي المحيط الهندي .

يعتبر ساحل الهند الغربي الممتد من جنوب مصب نهر السند شمالا حتى رأس كومورين جنوبا من أخصب بقاع العالم وأعظمها غزارة في الأمطار وكثافة في الغابات ، واتساعا في المراعي والحقول الفنية .

يقول طاغور ، فيلسوف الهند : « عندما قدم أوائل الغزاة الآريين إلى الهند ، كانت الهند أرضا تغطيها الغابات الفسيحة ، فاستفاد القادمون الجدد منها سريعا . لقد قدمت لهم هذه الغابات الملجأ من الحر الشديد والشمس ، ومن ضرر الزوابع الاستوائية ، والمراعي للمواشي ، والوقود للنار القرمانية ، والمواد لبناء الأكواخ . واستقرت مختلف القبائل الآرية مع رؤسائهم الكهنوتيين في مختلف أرجاء الغابات ، حيث يتوفر الطعام والماء والوقاية من الطبيعة .

وهكذا . . في الهند كان مولد حضارتنا في الغابات ، ومن هذا المنبع والوسط أخذت طابعها المميز لها » (٢) .

ومن المحتمل جدا أن البدو الآريين بعد أن استقروا في الهند في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ظلوا ردحا طويلا من الزمن ، ينعمون بالعيش الرخي



The sumbuka, the Arab sailing boats, are built in small shipyards. The planks for them are laboriously sawed from the trunks of trees.

بناء سنبوق على ساحل تهامة .



شق جذع شجرة الى ألواح لبناء المراكب في تهامة .

في غابات الهند الغنية قبل أن يبدأوا صلاتهم بالعالم الخارجي .

أما أولئك الذين كانت لهم حضارة في وادي السند وكانت لهم صلات تجارية بالسومريين في العراق في الألف الثالثة قبل الميلاد - كما مر بنا من قبل - فلا يزال العلماء يجهلون أصلهم وكتابتهم وأسباب سقوط حضارتهم واختفائهم قبيل الألف الأولى قبل الميلاد . كما يرجح بعض العلماء - ولم تعقب حضارتهم حضارة أخرى قديمة في وادي السند - ويرى بعض الباحثين أنهم هاجروا إلى الاقطار المجاورة . بينما رأى آخرون أنهم بقوا على ساحل الهند الغربي وأن شأنهم قد خمل بعد سقوط دولتهم .

لكن الصلات التجارية البحرية بين ساحل الهند الغربي وسواحل بلاد العرب الشرقية والجنوبية لم تنقطع بعد زوال دولة سكان وادي السند ، غير أنه من المحتمل أن هذه الصلات أصبحت أشبه بتلك الصلات التي كانت بين سواحل البلاد العربية وامارات سواحل شرق افريقية ، إذ لم تظهر دولة كبيرة على ساحل الهند الغربي وبقي مجزءا إلى امارات ودويلات صغيرة حتى الغزو الاستعماري للهند .

أما سكان تلك الممالك العديدة التي قامت فيما وراء الشريط الساحلي الغربي فقد عزلتهم الغابات الغنية عن البحر وأهواله . ففي ملحمة Pamayana التي تعتبر من أقدم الملحمات المقدسة لدى الهندوكيين ، نجد (راما) Rama وشقيقه (لکشمانا) Lakshmana وصديقه (سغريقا) ملك القردة ومن معهم من قادة وجيش القردة ، قد وقفوا حائرين على ساحل البحر الفاصل بينهم وبين جزيرة (لنكا) Lanka التي اتخذ منها ملك الجن والارواح الشريرة عاصمة له . وكان ملك الجن قد اختطف (صيتا) Seeta زوجة (راما) من الغابة وحملها إلى جزيرته ، حيث وضعها في أحد قصوره ، على أمل أن (راما) لن يصل إليها ، وأنها مع مرور الأيام ستخضع لحبه . والغريب أن جميع الآراء التي عرضت لعبور البحر لم يكن من بينها اقتراح واحد ببناء قوارب وسفن لعبوره . وأخيرا ، بعد أن رمى (راما) البحر بنباله التي وصلت إلى قاع البحر وقتلت الكائنات الحية فيه ، ظهر له البحر وأخبر راما بأن يعرض المشكلة على صديق له سماه . وحتى هذا لم يشر عليهم ببناء قوارب وإنما أشار عليهم ببناء جسر طويل من الصخور والأشجار ، وكان السفن لم تكن معروفة لديهم .

ولا يعلم على وجه التحديد متى بدأت صلة سواحل بلاد العرب الجنوبية والشرقية بساحل الهند الغربي ، إلا أنه من المحتمل جدا أنها بدأت في الوقت الذي بدأت فيه العلاقة التجارية بين السومريين وسكان وادي السند .

يقول السيد Guillaing : قبض العرب منذ أقدم العصور على زمام التجارة البحرية ، وخاصة في الشرق . فكانت سفنهم تجري في المحيط الهندي ، لا سيما فيما بين بلادهم والهند ، التي كان لهم جالية كبيرة على سواحلها ، قرب نهر السند ، هي التي سماها الهنود Arbata ولا أرسل الاسكندر المقدوني نيارك Mearque قائد أسطوله لاستكشاف بحر الهند ، وجد بسواحل (جدروزيا) ، الواقعة بين جبل (كريلا) ومصب نهر السند ، آثارا دالة على نفوذ العرب ، من مدن عربية واساطيل عربية ، (٣) .

ويقول (بودلي) R.V.C. Bodly في كتابه (الرسول) The Messenger : « كان أهل حضرموت رحالة وتجارا عظاما . وان اعتناقهم الاسلام سيكون من نتيجته - كما قدر محمد - انتشاره خارج جزيرة العرب . لقد نشر هؤلاء النازلين في الدور الشامخة ، الاسلام في الملايو وجاوا والفلبين ، (٤) .

« وعندما اسلم سكان اليمن وحضرموت كانت تجارتهم قد وصلت حينذاك الى قمة الرقي والازدهار . وكانوا يشحنون البضائع الى الخليج العربي ومصر والسند وكونكنام وملابار ومعبر وسيلان وجاوا والصين وغيرها من البلدان النائية . وفي كل بلد نزلوا فيه قاموا بالدعوة الى الاسلام ، ونشروا تعاليمه بطريقة سلمية وودية . وبهذه الطريقة وصل صوت الاسلام الى الهند وسيلان عقب انبثاق فجره في جزيرة العرب ، (٥) .

وعندما زار ابن بطوطة ساحل الهند الغربي وجد للعرب فيه نفوذا ونشاطا تجاريا كبيرين . ففي (كاليكوت) ، وهي من اعظم موانئ الملايو او اكبرها كان امير التجار (شاه بتدر) ابراهيم وهو من البحرين . ووجد فيها (الفاخوذة مثقال) « الشهير صاحب الاموال الطائفة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس » .

وقال : « بعد عشرة أيام من ركوبنا البر من كاليكوت وصلنا الى جزائر (ذبية المهل) (مالديف حاليا) واهل جزائر ذبية المهل مسلمون وفي كل جزيرة من جزائهم المساجد الحسنة . واكثر عمارتهم بالخشب واحكامهم كلها راجعة الى القاضي ، وهو عندهم اعظم من الناس اجمعين وأمره كأمر السلطان واشد وكان قاضيهم ، اذ ذاك ، القاضي عيسى اليماني » .

« وفي جزيرة المهل الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي . وكان من عادة الناس ، صغارا وكبارا ، في هذه الجزيرة ، ان يخدموا له (يسلموا عليه) كما

يخدمون للسلطان . وخدمتهم هي أن يوصلوا السياة الى الارض ثم يقبلونها
ويضعونها على رؤوسهم .

« وصرف اهل جزائر ذبية المهل الودع يبتاعه منهم اهل البنجال بالارز .
وهو ايضا صرف اهل بلاد البنجال . يبيعونه لاهل اليمن فيجعلونه عوض الرمل
في مراكبهم . والودع صرف السودان يباع بمالي وجوجو بحساب الف وخمسين
(ودعة) للدينار الذهبي »

واذا كانت المراكب اليمنية تصل ايام ابن بطوطه الى بلاد البنجال غسان
رحلاتها الى البنجال . وربما الى ما وراء البنجال من موانئ الشرق الاقصى .
قد بدأت . لا شك . قبل ابن بطوطه بفترة ليست بالقصيرة .

ومن المعروف ان المسلمين على طول ساحل الهند الغربي ينحدر اغلبهم
من أب عربي وأم هندية . ومن هؤلاء تلك الطائفة التي عرفت هناك باسم
Mappilaas وكان عددها يقدر بحوالي مليون نسمة . وكان المابلاس
(المبلاس) شوكة في جنب الانكليز عند بداية استعمارهم للهند « فشنوا عليهم حرب إبادة ،
واضطر الاحياء منهم الى الهجرة من جنوب الهند الى اماكن عديدة من شبه
القارة الهندية » (٦) .

وقبل احتلال الغرب للهند كان لكثير من المناطق والجزر على ساحل الهند
المغربي اسماء عربية . عرفت بها لدى العرب ، كجزر الفاو (كالديف) ، جزائر
ذبية المهل (مالديف) معبر (الى الجنوب من الملبار) .

A history of Indian Skipping and Maritime Activity
وفي كتاب R. Mookerji اسماء سفن عربية كالجلبة والغراب في قائمة
أورد مؤلفه
اسماء المراكب الهندية « (*) »

وفي (ابناء السندباد) يقول الان غاليلارس البحار والرحالة الشهير الذي
قام برحلة على ظهر مركب عربي في عام ١٩٣٩ الى شرق افريقية (السواحل)
انه وجد في مكتب ممباسا « مذكرات دونت فيها وقائع غرق المراكب » . واتضح
له ان اكثر المراكب عرضة للغرق هي الهندية « وان المراكب العربية هي اقلها
تعرضاً له » .

R. B. Serjeant, the Portuguese off South Arabian Coast, p. 133

وكان التجار واصحاب السفن العرب ، في الخليج العربي ، يستاجرون ،
أحيانا ، بناء السفن العرب لبناء سفن لهم على ساحل الهند الغربي (٧) .

وبعد قاننا لا ننكر النشاط الهندي البحري في غربي المحيط الهندي ، الا
ان هذا النشاط جاء متأخرا ، ولا توجد ادلة قاطعة على ان هذا النشاط قد بدأ
قبل الميلاد او حتى قبل ظهور الاسلام .

هذا عن ساحل الهند الغربي اما عن الساحل الفارسي فاليك اولا مقتطفات
مما كتبه عنه (كارسطن نيبور) العالم الجغرافي الدنماركي ، الذي قام برحلة
الى الخليج العربي في عام ١٧٦١ م :

« لقد اخطأ جغرافيونا ، على ما اعتقد ، حين صوروا لنا جزءا من الجزيرة
العربية خاضعا لحكم الفرس ، لان العرب ، خلافا لذلك ، هم الذين يمتلكون
جميع السواحل البحرية للإمبراطورية الفارسية ، من مصب الفرات الى مصب
نهر الاندوس على وجه التقريب » .

« صحيح ان المستعمرات الواقعة على السواحل الفارسية لا تخص الجزيرة
العربية ذاتها ، ولكن بالنظر الى انها مستقلة عن بلاد الفرس ، وان لاهلها لسان
العرب وعاداتهم فقد عنيت بايراد نبذة موجزة عنهم » .

« يستحيل تحديد الوقت الذي انشأ فيه العرب هذه المستعمرات على هذا
الساحل . وقد جاء في السير القديمة انهم انشأوها منذ عدة عصور سلفت .
واذا استعنا باللمحات القليلة التي وردت في التاريخ القديم ، أمكن التخمين بأن
هذه المستعمرات العربية نشأت في عهد أول ملوك الفرس ، فهناك تشابه بين
عادات الايشتوفاجيين القدماء وعادات هؤلاء العرب » .

« انهم يعيشون جميعا على نمط واحد ، مقيدين ، منصرفين الى الحروب
والمنازعات ، يصطادون اللؤلؤ ، ولا يأكلون سوى التمر والسّمك ، ويطعمون
ماشيتهم بدورها سمكا » .

« وهم يتعشقون الحرية الى درجة قصوى ، شأن اخوانهم في البادية .
ويكاد يكون لكل بلدة شيخها ، وهو لا يتقاضى شيئا من رعاياه . واذا كان لا يملك
ثروة توجب عليه ان يكسب رزقه بجده ، كما يفعل رعاياه ، اما بنقل البضائع

او بالصيد . واذا حدث ولم يرض القوم عن الشيخ الحاكم خلعوه وانتخبوا من اسرته من يحل محله .

« اما مساكنهم فمقواضة الى درجة ان العدو لا يكثر يهدمها . وهكذا لا يملك هؤلاء القوم شيئا يخسروه على اليابسة . فتراهم يلجأون الى متسون مراكيهم عند اقتراب العدو . ويختبئون في بعض جزر الخليج حتى يتسحب . وهم على يقين ان الدرس لا يمكن ان ينكروا في الاستقرار على الساحل المجذب ، والتعرض لغزوات العرب الذين يرتادون البحار المجاورة . »

« واكبر العشائر العربية هناك عشيرة (الهولة) ، وتمتد الاراضي التي تملكها من بندر عباس الى رأس بردستان . وتملك جميع الموانئ الواقعة في هذا القسم من الساحل الفارسي . »

« وأفراد الاسرة الحاكمة في (بندرريك) الى الشمال من (بوشهر) من عشيرة بني كعب العربية . وعرب هذه الامارات يقضون حياتهم في البحار . »

اما الفرس فقد وجدهم نيبور « لا يملكون سفنا ويعيشون على الزراعة في المنطقة الواقعة بين (بوشهر) و (رأس بردستان) » (٨) .

وقال المؤرخ الكبير ج . هـ . برستد ان دارا الاكبر كان يطمح الى « ان يجعل من بلاد فارس دولة ذات قوة بحرية عظيمة » وان يجعل الشاطئ الفارسي « يساهم في النشاط التجاري المطرد بين الهند وعالم البحر الابيض المتوسط ، ولكن الاحداث خيبت أمله اذ « لم يكن يسيرا على أمة تقطن قلب اليابسة ومكونة من جماعات من الرعاة والفلاحين ، وتفصلها عن البحر شواطئ صحراوية ، ان تسيطر على البحر وتسوده » (٩) .

وقال هيرودتس « ان سكان الجزر اليونانية لم يكونوا يخافون من (قورش) ملك الفرس ، ذلك لان فارس نفسها لم تكن لها قوة بحرية ، ولان الفينيقيين لم يخضعوا له بعد » (١٠) .

وحتى اواخر الدولة الساسانية كانت لطائم كسرى تنقل برا الى عامله على اليمن ، كما كان هذا يبعث باللطائم الى المدائن عن طريق البر ايضا . ولو كان للفرس قوة بحرية ونشاطا تجاريا بحريا لما اضطر كسرى الى دفع الجعالات

للقبائل العربية التي تمر بأراضيها لطيمته ، ولكانت السفن الفارسية تنقلها مباشرة من عدن أو غيرها من الموانئ اليمنية الى الموانئ الفارسية .

وإذا صحت حكاية الثمان السفن التي ارسلها كسرى ، وعلى ظهرها ثمانمائة من كبار مجرمي فارس لنصرة سيف بن ذي يزن في قتاله مع الاحباش في اليمن ، فانها تثبت ان الفرس كانوا يتخوفون من ركوب البحر ، وان كسرى لم يقصد من ارسال قطاع الطرق الى اليمن عن طريق البحر ، الا ان يتخلص منهم بالموت غرقا او بابعادهم ان نجوا من الغرق . ويقال ان سفينتين قد تحطمتا وغرق كل من عليهما .

ولا يستبعد ان الملاحين الذين قادوا هذه الثمان السفن هم من ابناء اولئك العرب الذين قال عنهم نيبور انهم استوطنوا الساحل الفارسي منذ عهد بعيد جدا .

وأخيرا لو كان للهنود او الفرس سيطرة على الملاحة في غربي المحيط الهندي ، لما تركوا العرب يسيطرون على سواحل شرق افريقية ، ويقيمون عليها مستوطنات ومراكز تجارية من ارتيريا شمالا حتى موزمبيق جنوبا .

ولقد حاول اليونانيون والرومانيون وغيرهم انتزاع تجارة المحيط الهندي من يد العرب ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل . ففي القرن الخامس قبل الميلاد أمر دارا الاول ، ملك فارس ، باعادة حفر قناة سنوسرت ، التي تربط النيل بخليج السويس ، وارسل سفنا من مصر الى الساحل الفارسي . وكان يطمح في ان يعيد لمصر وساطتها في التجارة بين المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط وان يجعل الساحل الفارسي يساهم في هذه الوساطة غير ان حلمه لم يتحقق لافتقار فارس - كما قال برستد - الى التجار المغامرين والملاحين الكفاء .

وجاء بعد دارا الاول الاسكندر الاكبر ، فأسس بعد احتلاله لمصر عام ٣٣٢ ق.م . مدينة الاسكندرية ، وكان يأمل ، هو الآخر ، بعد السيطرة على شبه الجزيرة العربية ، ان تصبح الاسكندرية ميناء تلتقي فيه تجارة الشرق بتجارة الغرب ، فأرسل سفنا في البحر والخليج العربي ، لاستكشاف السواحل العربية ، واستخدم فيها ملاحين فينيقيين ، غير ان هذه السفن - كما مر بنا من قبل - فشلت في اجتياز باب المندب في البحر الاحمر ورأس مسندم في الخليج العربي . ومات الاسكندر قبل ان يتحقق حلمه هذا .

وسعى البطالمة الى تحقيق هدف الاسكندر ، فظهرت قناة سنوسرت الثالث ،

أيام بطليموس الثاني ، المتوفي حوالي عام ٢٤٦ ق م . وزاد النشاط التجاري
المصري بين مصر وعدول وبلاد العرب الجنوبية . وقد رأينا من قبل سفينة
زيدال بن زيد) التاجر المعيني . تتردد في أيام هذا البطليموس أو (قيلادلفوس)
على مصر حاملة الر والطوب من العربية الجنوبية والاقمشة النفيسة من مصر .

ورغم نجاح اليونانيين في القيام برحلات بحرية مباشرة بين مصر الهند ،
الا انها كانت رحلات قليلة ، محققة بالاحطار ، (١١) . اذ كانت تبدأ من مصر
في شهر يوليه ، الشهر الذي تهب فيه بعنف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية .
فكانت السفن اليونانية تواجه في هذه الرياح العنيفة خطر التحطم على الصخور
وشعاب المرجان التي تملأ البحر الاحمر وخليج عدن . والمعروف ان السفن
العربية لا تسافر ، حتى يومنا هذا ، اثناء موسم هذه الرياح او كما يسمى عندهم
موسم (تغليق البحر) . ولا نعلم كيف كانت السفن اليونانية تسافر فيه وتطوي
الرحلة في اربعين يوما . وهناك الكثير من الادلة على ان السفن البرتغالية
والتركية ، وهي ، لا شك ، اكبر وامتن من السفن اليونانية ، كانت تتوقف عن
السفر في الاشهر التي يشتد فيها هبوب هذه الرياح .

وبعد اخفاق الحملة البرية التي وجهها اغسطس امبراطور روما ، لاحتلال
العربية الجنوبية ، وجه قيصر روما اهتمامه الى تشجيع الملاحة في المحيط
الهندي ، والاتصال التجاري المباشر بالهند وشرق افريقية ، فزاد عدد السفن
اليونانية والرومانية التي كانت تقوم برحلات مباشرة الى الهند في العام الواحد .
وبلغ هذا العدد أيام اغسطس - كما قال استرابو - مائة وعشرين سفينة ، اما
من قبل فلم يكن عددها يتجاوز عشرين سفينة في العام . ويقال ان هذه الرحلات
ظلت مزدهرة حتى مطلع القرن الثالث للميلاد ، ثم اخذت في التقلص نتيجة
للضعف والتفكك الذي اعترى كيان الامبراطورية الرومانية . وغدت هذه الرحلات
لا تتجاوز موانئ العربية الجنوبية والموانئ المجاورة لها من شرق افريقية .

ومهما قيل عن نجاح اليونانيين والرومانيين في مزاحمة العرب في تجارة
المحيط الهندي ، فان هذه التجارة ظلت ، في الغالب ، بيد العرب ، وظلت الموانئ
العربية تستقبل سلع الهند وافريقية والشرق الاقصى ، حتى بعد انتقال زمام
التجارة البرية الى يد قریش . بل ان الضرائب الجمركية التي كان يحصل عليها
من هذه الموانئ ظلت تشكل اهم الموارد المالية للدول التي حكمت اليمن عقب
ظهور الاسلام .

بعد ظهور الاسلام

رأينا من قبل ان تجارة الرومانيين البحرية قد تقلصت في العهد البيزنطي،
وانها لم تعد تمتد الى ابعد من الموانئ اليمنية ، والموانئ المجاورة لها على
الجانب الافريقي . وان السفن الرومانية لم تعد تسافر الى الهند وشرق افريقية
(السواحل) ، وتزاحم السفن العربية في نقل تجارة هذه الاقطار . وانما كانت
تكتفي بنقل التجارة بين الموانئ العربية والافريقية وبين الموانئ المصرية على
البحر الاحمر .

كما رأينا ان تجار قريش كانوا ، بعد ان تحولت التجارة البرية بين اليمن
والشام من ايدي اليمنيين الى ايديهم ، يرحلون في الشتاء الى اليمن . والشتاء
هو موسم قدوم المراكب الى اليمن من الهند والسند وشرق افريقية والخليج
العربي وسفرها من اليمن الى هذه الاقطار . اما في الصيف ، ولا سيما اثناء
هبوب الرياح التجارية الغربية ، حين تتوقف المراكب الشراعية عن السفر في
المحيط الهندي ، ويتوقف بالتالي ورود البضائع الشرقية الى اليمن ، فكان تجار
قريش يرحلون الى الشام .

وعند ظهور الاسلام رأينا المسلمين يهاجرون الى الحبشة عن طريق اليمن .
ولما عادوا منها كانت عودتهم عن طريق اليمن ايضا . مما يدل على ان نشاط
اليمن الملاحي لم يتأثر لا بالاحتلال الحبشي ولا بالحكم الفارسي لليمن .

وكان من الطبيعي ، بعد اضمحلال الدولة البيزنطية ، ان تحل السفن
اليمنية والمصرية والارتيرية (عدول) محل السفن الرومانية في البحر الاحمر ،
وان تقوم بالدور الذي كانت تقوم به من قبل وهو نقل السلع التجارية فيما بين

ميناء عدن وعدل (ادولس في خريطة بطليموس - على الساحل الارتييري) وبين
موانئ مصر الغربية .

لكن ميناء عدول هذا لم تعد له أهمية في الاسلام ، بعد ان استعادت عدن
مركزها التجاري القديم ، وتحولت طرق التجارة البحرية اليها . قال المرزوقي
المتوفي عام ٤٢١ هـ في كتابه «الازمنة والامكنة» انه لما جاء الاسلام ازدهت تجارة
عدن حتى « أصبحت قرصة اليمن ومقر كل فضل مستحسن » .

ورغم ان التجارة البحرية التي كانت تسلك الطريق الثانية للتجارة بسين
الشرق والغرب ، وهي طريق الخليج العربي قد اتسعت في العصر العباسي ،
واتسع فيه النشاط الملاحي لعرب الخليج العربي حتى وصلت رحلاتهم البحرية
الى الصين ، الا ان ذلك لم يؤثر على التجارة البحرية فيما بين الموانئ اليمنية
والموانئ المصرية . بل ان حجم هذه التجارة قد ازداد في القرن السادس الهجري
زيادة ابهرت الرحالة العربي ابن جبير . ففي الطريق الصحراوية بين مدينة
قوص على النيل بصعيد مصر وبين ميناء عيذاب اراد ابن جبير ورفاقه ان
يحصوا القوافل الواردة والصادرة على هذه الطريق فما استطاعوا ذلك ، لاسيما
القوافل القادمة من عيذاب الى قوص « المتحملة لسلع الهند الواصلة الى
اليمن ، ثم من اليمن الى عيذاب » . وقال : « واكثر ما شاهدناه من ذلك احمال
الفلل ، فلقد خيل لي ان كثرت انه يوازي التراب قيمة » . ومن عجيب ما شاهدناه
بهذه الصحراء انك تلقى بقارعة الطريق احمال الفلذل والقرفة وغيرها من السلع
مطروحة لا حارس لها . . . تترك بهذه السبيل اما لاعياء الابل الحاملة لها ، او
غير ذلك من الاعذار ، وتبقى بموضعها الى ان ينقلها اصحابها مصونة من
الآفات .

وقال عن مدينة قوص : « وهذه المدينة حفيلة الاسواق متسعة المرافق
كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود وتجار
ارض الحبشة . . لانها محط للجميع ومحط للرحال وملتقى الجميع » .

اما عيذاب فمدينة « على ساحل بحر جده ، غير مسورة ، اكثر بيوتها
الاخصاص ، وفيها الآن بناء مستحدث بالجص » . وهي من احفل مراسي الدنيا
بسبب ان مراكب اليمن والهند تحط فيها وتقلع منها . . . بالاضافة الى مراكب
الحجاج الصادرة والواردة . وهي في صحراء لا نبات فيها ، ولا يؤكل فيها شيء
الا مجلوب ، (١) .

وهذه التجارة التي كانت تنقل من عيذاب الى النيل على ظهور القوافل التي عجز ابن جبير عن احصائها . كانت تنقلها القوارب عبر النيل الى الوجه البحري . ومن ثم الى ميناء الاسكندرية حيث تباع لتجار اوروبية .

وبقيت التجارة البحرية بين الموانئ اليمنية وبين ميناء عيذاب مزدهرة في عهد دولة بني رسول في اليمن ، قال الشاعر عبد الله بن جعفر بن علي السعاط في قصيدة يمدح بها المؤيد داود بن يوسف ، احد ملوك بني رسول عند قدومه الى عدن في ٦٨٧ هـ (٢) :

وافى الى عدن كمقدم جده
سيف بن ذي يزن الكريم اصولا
بحر الى بحر يسير بمثله
والملاح احقر ان يكون مثيلا
فتطايرت أمواج لجته الى
عيذاب بنذر جده والنيلا

لكن ابن المجاور قال في « المستبصر » انه كان يرسو تحت جبل صيره ما بين سبعين الى ثمانين مركبا كل عام ، وانه كان يرفع من عدن الى تعز خزانة عند قدوم المراكب من الهند وشرق افريقية ، وخزانة عند سفرها من عدن ، وان مقدار كل خزانة يبلغ نحو مائة وخمسين الف دينار . ثم قال ان ذلك قد انقطع في أيامه ٠٠ أيام نور الدين عمر بن علي بن رسول ، اول ملوك دولة بني رسول ، بسبب ظلمه والضرائب الجائرة التي فرضها على السلع التجارية ، واستباحة اموال التجار في عدن سنة ٦٢٥ هـ ، مما ادى الى هروب التجار الى جده والهند وغيرهما .

والجدير بالذكر هنا انه بينما نجد ابن المجاور يذم نور الدين هذا ، نجد مؤرخا آخر هو تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، وكان موظفا بديوان الانشاء في الدولة الرسولية ، يصف نور الدين بأنه كان « حازما كريما سريع النهضة حسن السياسة » (٣) .

وسواء كان هذا صادقا او ذاك فانه يمكن القول ، بوجه عام ، ان التجارة البحرية قد اتسعت في عهد الدولة الرسولية ، الذي استمر اكثر من قرنين ، وبلغ من اهميتها ان دول الاقطار الشرقية ، القريبة منها والبعيدة ، كانت تتسابق

الى ارسال سفرائها بالهدايا الثمينة الى اليمن . . رغبة منها في تقوية
علاقاتها التجارية معها واواصر الصداقة مع ملوكها .

وفي سنة ٧٦٨ هـ وصل وفد من ملك السند الى الملك الافضل الرسولي
وكان من بين ما حمله من الهدايا غروس وفسائل اشجار غير موجودة في
اليمن .

وارسل ملك كليكوت ، اشهر موانئ المليبار - بلاد الفلفل - الى الملك
الافضل هذا وفدا حمل من جملة ما حمله من الهدايا طيوراً نادرة وفسائل
اشجار وزهور . أمر الملك الافضل بفرسها في حديقة الديباج بتعز .

وفي سنة ٨٠٠ هـ وصل وفد ملك سيلان وكان من ضمن الهدية التي حملها
الى الملك الناصر الاول اربعة افيال واشجار المانجو وغيرها . وكان كتاب
ملك سيلان مسطوراً على رقيقة من الذهب .

وفي عام ٨٢٢ هـ قدم الى اليمن وفد من الصين تقله ثلاث سفن تحمل
هدايا نفيسة تبلغ قيمتها مئات الآلاف من العملة الذهبية . وقد استقبل الملك
الناصر اعضاء الوفد واحتفى بهم وأمر بانزالهم في قصر الضيافة . وكتب
الناصر كتاباً الى ملك الصين ، واعاد الوفد مكرماً وارفقه بالهدايا والتحف
النادرة ومن بينها وحوش برية وثياب ملوكية من منسوجات اليمن وأمر
بتشييعهم الى عدن (٤) .

وفي أيام الملك المظفر ابو المنصور ، ثاني ملوك بني رسول ، اغار اسطول
سالم بن ادريس الحبوذي صاحب ظفار ، على عدن . وكان سبب هذا الهجوم
ان اهالي حضرموت اصبوا بمجاعة وقحط فاقبلوا على سالم بن ادريس
وطلبوا منه ما يدفعون به تلك الشدة ، على ان يسلموا له مصانع حضرموت
فاجابهم الى ذلك ، وخرج معهم الى حضرموت وتسلم منهم الحصون وسلم
اليهم المال . . . فلما رجع سالم الى ظفار مال اهالي حضرموت الى حصونهم
ميلة واحدة واخذوها طوعاً وكرهاً . ولما ارسل الملك المظفر هدية عظيمة عن
طريق البحر ، قبض سالم بن ادريس على السفينة التي تحمل الهدية ، بعد ان
رمت بها الريح الى ساحل ظفار ، وكان بصحبة الهدية جماعة من التجار ،
فكاتبه المظفر في اطلاق سراح السفينة والتجار ، ولكن سالم رأى فيما قبض
عليه من الاموال تعويضاً لما خسره في حضرموت ، فرد على المظفر برسالة
فيها شدة وغلظة . فأمر المظفر والي عدن ، وهو الشهاب غازي المعمار

بمهاجمة ظفار ، فجهز هذا سفنا وعسكرا والقمع الى ظفار . وبعد ان قاتل
اعلمها اياما عاد خائبا الى عدن ، فلقق به سالم على رأس قوة بحرية الى ساحل
عدن . وكان المظفر آنذاك بمدينة الجند ، فاستشاط غضبا عندما بلغه هجوم
المظفر على ساحل عدن ، واسرع الى عدن ، « وجهاز الجيوش في البر
والبحر ، وسارت ثلاث قطع : قطعة في البحر ، وهم معظم الرجال ومعهم
الارواح ، والقطعة الثالثة فيها اربعمئة فارس ، وطريقهم على الساحل معارضين
لسفنتهم . فالتقت العساكر الثلاثة قريبا من ظفار (*) » . ونشبت بينها وبين
عساكر سالم معركة عنيفة قتل فيها سالم وانهزمت عساكره ، واستولى المظفر
على ظفار . قال اخو كندة في قصيدة يهنئ فيها المظفر بانتصاره على صاحب
الظفار :

وعاين الناس هامات مغلقة
جاءت من البحر تسري بين أمواج
تؤمها هامة كانت متوجة
أودى بها الملك الصنديد ذو التاج
ساق المظفر جيش النصر من عدن
يأتهم في البحر أفواج بأفواج

ويبدو ان القرصنة على الطرق الملاحية القريبة من ساحل الهند الغربي قد
انتشرت في القرنين السابع والثامن للهجرة ، فقد جاء في (تاريخ ثغر عدن) ان
مركبا وصل من الهند الى عدن ، أيام المظفر الرسولي ، وان ربان المركب
غير كافور البالسي ، احد تجار عدن ، انه شاهد لصوص البحر قد احاطوا
بمركبيه ، وركابهما في قتال شديد معهم وقال ابو مخرمة ان المركبين عادا الى
عدن بعد ايام ، وان ركابهما قد تغلبوا على اللصوص .
ويخبرنا ابن بطوطة في رحلته « تحفة النظار في غرائب الامصار » انه
وجد في ميناء (فتن) ثمانية مراكب تزمع السفر الى اليمن ، فسافر في واحد
منها ، وفي الطريق اعترضهم لصوص البحر في اربع جفان (جمع جفنة ..
نوع من السفن) فقاتلتهم يسيرا ثم انصرفوا .
ومن كولم سافر في مركب فخرج عليهم القراصنة فيما بين مينائي :
(انور) و (فاكنور) في اثني عشر مركبا وقتلوهم قتالا شديدا وتغلبوا على

مركب ابن بطوطة وتجهوا ما فيه ، وانزلوا ابن بطوطة ومن بقي من ركاب المركب على قيد الحياة الى الساحل

وقال ان سلطان (فاكنتور) كان لديه نحو ثلاثين مركبا حربية قائدهما احد المسلمين يدعى (لولا) ، وكان من المفسدين يقطع طرق المراكب ويسلب التجار

والمراكب اليمنية شاهدها ابن بطوطة على طول ساحل الهند الغربي . . . في (لاهري) بالسند ، وفي منجور ، وهيلي وقتن ، وبدفتن ، وكليكوت ، وكولم ، بيلاد المليبار . وفي جزائر (ذبية المهل) ، وسيلان ، والبنغال . كما شاهدها في موانئ شرق افريقية انني رارها .

ويمكن الاستدلال بحوادث غرق السفن وتحطمها بسبب العواصف فسي اواخر القرن التاسع واولئ القرن العاشر للهجرة على ان نشاط اليمن البحري لم يتغير في دولة بني طاهر .

ومن هذه الكوارث ما حدث في ذي القعدة من عام ٨٩٢ هـ فقد غرقت فيه (جلبة) القحطاني وسفن كثيرة في البحر الاحمر فيما بين الحديدية وقمران ، وهلك فيها من الاتفس والاموال ما لا يحصى . وفي هذه السنة كثر الفرق فيما بين الطور (بطورسيناء) والهند .

وفي سنة ٨٩٢ هـ هبت ريح هوجاء « انكسر بسببها في بندر عدن ثلاثة عشر مركبا » (٥) .

وفي ٩٠٠ هـ حدث طوفان عظيم في بحر بربره حطم ستة وعشرين مركبا في بندر بربره ، فيها من « الطعام ما ينيف على الف (طنم) ومن الدقيق جملة مستكثرة » (٦) .

وجاء في « اللطائف السنية » ل محمد بن اسماعيل الكبسي ، ان سفن الملك عامر بن عبد الوهاب الطاهري فقدت في عام ٩١٥ هـ ولم يبق منها غير سفينة وطليعتان .

لكن عدن وعيذاب فقدتا في عهد الاحلال العثماني الاول لليمن مركزيهما التجاريين ، وحلت محلها فيه المخا وجده .

(5)

التدخل البرتغالي ونهاية زعامة
العرب الملاحية في المحيط الهندي

بسقوط القس
للمسيحيين للعودة
منها جيوش صلاح

ومهما كان
البحر الأبيض المتوسط
احتلالهم لفلسطين
الشرق الأوسط
باراضيتها .

لذلك راحت
اليه عن طريق البحر
وأرسلت الجواسيس
ساحل افريقية الغرب
الى الشرق . وهذا
في اتجاه الغرب
١٤٩٢ م ، حتى
الرجاء الصالح ،

وكم كانت
التجار السواحليين
وانهم باتوا على

قد ادعوا لاهلها واغنيها
ومنها اغنيها واغنيها

بسقوط القسطنطينية بأيدي الأتراك عام ١٤٥٣م انتهت آخر محاولة للصليبيين للعودة الى سواحل بلاد الشام ، واسترجاع الاراضي التي طردتهم منها جيوش صلاح الدين الايوبي بعد معركة (حطين) المشهورة ، في ١١٨٧م .

ومهما كان الدافع للحملات الصليبية على الاراضي العربية حول سواحل البحر الابيض المتوسط ، فان مما لا ريب فيه ان الاوروبيين قد ادركوا انشاء احتلالهم لفلسطين ولبنان والجزء الشمالي الغربي من سوريا سر قوة دول الشرق الاوسط الاسلامية ، ومدى اعتمادها على خير الشرق وتجارته التي تمر باراضيها .

لذلك راحت دول اوروبية الطامعة في ثروات الشرق تضع الخطط للوصول اليه عن طريق البحر ، فنشطت وطلورت صناعة السفن ، وآلات الحرب والدمار ، وأرسلت الجواسيس الى الاقطار الشرقية ، والبعثات الاستكشافية البحرية حول ساحل افريقية الغربي . وكانت البرتغال اولى دول اوروبية التي اهتمت بالوصول الى الشرق . وهكذا . . ما ان اقلع كريستوفر كولبس ، عبر المحيط الاطلنطي ، في اتجاه الغرب ، بقصد الوصول الى الهند ، واكتشف امريكا مصادفة في ١٤٩٢م ، حتى تمكن فاسكودا غاما في عام ١٤٩٧م من الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، والوصول الى المياه الشرقية .

وكم كانت فرحة داغاما ورفاقه عندما تبين لهم من كلام من قابلوهم من التجار السواحليين في (كويليمان) ، انهم اصبحوا على ساحل شرق افريقية ، وانهم باتوا على مقربة من الهند . . هدف رحلتهم ! (١) .

ولما وصلوا الى موزمبيق حسبهم الاهالي اتركا او غيرهم من المسلمين
غير العرب ، فرحبوا بهم ، وقام سلطانها بزيارة سفينة داغاما . وعندما قدم
له احد قادة البعثة قلنسوة حمراء . اهداه السلطان ، مقابل ذلك ، سبيحة
سوداء ، وطلب منهم ان يري ما لديهم من كتب الشريعة . وعندما عرف اهالي
موزمبيق انهم مسيحيون ، دبروا حيلة للقبض عليهم وقتلهم . غير ان واحدا من
الملاحين العربيين اللذين استأجرهما داغاما ، ليرشدها في مياه سواحل شرق
افريقية ، افشى سر المؤامرة للبرتغاليين فهربوا من موزمبيق ، بعد ان قصفوا
بمدافعهم قاربين فيهما حشد من الاهالي (٢) .

وكانت اخبار قدوم المتطفلين الغريباء الى موزمبيق قد سبقتهم الى مدينة
كلوه ، المسيطرة على موزمبيق ، والى ممباسا حليفاتها ، فشاع فيهما القلق
والانزعاج ولكن ماليندي ، بسبب المنافسة المريرة بينها وبين ممباسا ، حليفة
كلوه ، استقبلت داغاما ، عدو موزمبيق وبالتالي عدو كلوه ، استقبالا وديا ،
وزوده سلطانها بالملاح العربي المشهور ، أحمد بن ماجد ، ليرشده في سفره
الى الهند .

ومن ماليندي سافر داغاما مباشرة الى الهند ، ووصل الى (كليكوت)
في ١٧ مايو ١٤٩٨ م .
وفي كليكوت اثار وصول داغاما الشك والارتياح في نفس (السامري) ،
سلطان كليكوت ، فاستقبله بفتور ولم يبد اي استعداد للدخول معه في اية
معاهدة حتى في رحلته الثانية .

قرر البرتغاليون في رحلة داغاما الثانية الى الهند في ١٥٠٢ م قفل
البحر الاحمر في وجه الملاحة العربية ، وتصيد المراكب التي تقصده ، فبشوا
مراكبهم الحربية في الطرق فيما بين سواحل شرق افريقية والهند من جهة
وسواحل بلاد العرب الجنوبية من جهة اخرى . وفي هذه السنة قبضوا على
نحو سبعة من المراكب العربية في بحر العرب وقتلوا عددا من ركابها واسروا
الباقين . وهذا كان اول حادث لهم . وفي هذه السنة ايضا ارغمت (كلوه)
الغنية ، على دفع ضريبة سنوية للبرتغال .

وفي ١٥٠٣ لحقت زنجبار بكلوه . وتوالت بعد ذلك الكوارث على المدن
التجارية الساحلية بشرق افريقية . ففي ١٥٠٥ ابحر (الميدا) من لشبونه ،
على رأس اسطول كبير ، يقل نحو الف وخمسمائة جندي ، بقصد اقامة مراكز

عسكرية على نحو ست نقاط استراتيجية وشيائية بين افريقية والهند . وقد
سقطت في هذه الحملة كل من سفالة وكلوه ومباسا ونهبت نهبا ذريعا واحرق
بعضها .

ولما رأى السلطان محمود ، سلطان (الفجرات) ، والسامري صاحب
(كليكوت) ، وعدد من الحكام المسلمين على ساحل الهند الغربي ، الخطر
البرتغالي يتهددهم ، اتفقوا مع السلطان قانصوه الغوري ، سلطان مصر ، على
ان ترسل مصر اسطولا الى الهند ، حيث ستقضم اليه قطع من السفن المحلية ،
ويقوم الجميع بهاجمة البرتغاليين ، كما طلب سلطان (الفجرات) في نفس
الوقت ، من مصر مدافع ليرد بها على قصف مدافع البرتغاليين .

وكان دخل مصر من تجارة البحر الاحمر ، التي تمر بها ، قد تأثر نتيجة
لاعمال القرصنة البرتغالية في بحر العرب ، لذلك ارسل ممالك مصر تجريدة
من ست سفن حربية ، بقيادة حسين الكردي ، ثلاث منها من نوع (القراب)
والثلاث الاخرى من (القليوت) .

وفي عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧ - ٨ م) ، وهو العام الذي استولى فيه البوقريق
الذي عين فيما بعد حاكما للقواعد البرتغالية في غربي الهند ، على جزيرة
سقطرى ، وصل حسين الكردي من جدة الى الشحر ثم توجه الى الهند (★) .

وفي السنة التالية استولى البرتغاليون على (دابول) (دبيل) واحرقوها
وجهبوا حملة ضد (الفجرات) وهاجموا (ديو) . وكان حسين الكردي
قد وصل الى (ديو) فاشتبك مع البرتغاليين في معركة في عرض
البحر ، أمام الميناء وسقط صرعى في هذه المعركة كثير من البرتغاليين الا
ان عددهم كان كبيرا ، فاستطاعوا ، اخيرا ، ان يتغلبوا على المسلمين . وقد
قتل من جنود حسين الكردي ، حوالي خمسمائة جندي ، وفر من بقي على قيد
الحياة الى (ديو) .

وفي هذه السنة ايضا جهز السامري حملة ارسلها الى قلعة البرتغاليين
في (كوشين) ، فاحتلتها ، وقتل من فيها من البرتغاليين وسلب كل ما كان
لديهم من الذهب والاشياء الثمينة .

وكانت (كوشين) الجاورة لامارة السامري صاحب (كليكوت) . قد تحالفت . بسبب عدائها لكليكوت . مع البرتغاليين . وسمح لهم حاكمها بتشييد قلعة فيها .

الا ان البرتغاليين ارسلوا في ٩١٥ هـ (١٥٠٩ - ١٠) تجريدة ضمت عددا كبيرا من السفن . الى كليكوت . وعندما اقتربت منها . ورأى الاهالي ضخامتها فروا الى (داير) . فنزل البرتغاليون الى المدينة ونهبوها ثم احرقوها . ولكن السامري . عاد بعد ايام قلائل وهاجم البرتغاليين بقتة . فحدثت مجزرة رهيبه بين صفوفهم .

وفي هذه السنة ايضا حاصر البرتغاليون جزيرة هرمز (قيس) بست سفن . ولم يفكوا الحصار عنها الا بعد ان تعهد صاحبها ان يدفع عشرة الاف اشرفيا كل عام .

واحتل البرتغاليون في هذه السنة جزيرة (جوا) . او (قوه) - كما كان العرب يسمونها - وكان عدد كبير من المسلمين في الجامع . يوم الجمعة . فقتل كثير منهم في المسجد .

وفي ٩١٦ هـ (١٥١٠ - ١١) . قام خميس وعامر ولدا سعيد بن زويدي . بحملة بحرية الى سقطرى . وكانت بيد البرتغاليين . وتمكنوا من دخولها .

وجاءت الاوامر . من (دوم منويل) . ملك البرتغال . الى (البوقريق) . بالاستيلاء على عدن . ودخول البحر الاحمر . وكان (البوقريق) قد عين في ١٥٠٩م حاكما للقواعد والمراكز البرتغالية - كما ذكرنا سابقا - في غربي الهند . فابحر في ١٥١٢م من (جوا) الى عدن . وكانت عدن آنذاك قوية محصنة تحصينا قويا . فلم ينجح (البوقريق) لا في احتلالها ولا في ضرب مدينة جدة وعاد الى الهند .

لقد ادرك البرتغاليون ان عدن . وليست سقطرى . هي بوابة البحر الاحمر . وبالسيطرة عليها . يمكن شل حركة تجار البحر الاحمر . الذين ما زالوا يروغون . بأعداد كبيرة . من الحصار الذي أقاموه على طرق الملاحة الى الهند .

في هذه الاثناء التي كانت الاضطرابات فيها تشتعل في الاقطار العربية حول البحر الابيض المتوسط ، بسبب تهديد الزحف التركي لها وتزايد قوته ، رأى ممالك مصر ، ضرورة احتلال اليمن ، اما لتكون ملجأ لهم - كما يرى البعض - في حالة تغلب قوة الاثراك المتعاطمة عليهم ، واما ليتخذوا منها قاعدة انطلاق منها لليمن تحت قيادة سلمان الرومي وحسين التركي . ولما وصلت الحملة الى جيزان ارسل المصريون رسولا الى عامر بن عبد الوهاب الطاهري ، آخر ملوك بني طاهر في اليمن ليبلغه بوصول الحملة وانها ما جاءت الا من اجل اخذ ملوك بني طاهر في اليمن ليبلغه بوصول الحملة وانها ما جاءت الا من اجل مقاتلة المسيحيين ، وأنهم يطلبون منه مساعدته بالمواد الغذائية والمال ، ولما رفض عامر عبد الوهاب تقديم الطعام لهم قرر حسين مهاجمته بمساعدة امام الزيديين ، الذي وعد بتوفير الطعام والخيول للمالك . وسقطت زبيد بيد القوات المصرية في السنة التالية ، وفر عامر بن عبد الوهاب الى تعز . وبعد ذلك ابحر حسين التركي الى عدن ، بعد ان ترك جزءا من قواته في زبيد ، ولكن عدن صمدت في وجه الغزاة المصريين وقصف مدافعهم ، فاضطر حسين الى الانسحاب عنها .

وفي ١٥١٧م جاءت الاوامر من (لشبونه) الى (لوبو سواريز) ، خليفة (البوقريق) باحتلال عدن ، فوصل الى ميناء عدن في حوالي ثلاثين سفينة من نوع (الغراب) و (القليوت) ، وابلغ اهلها انه جاء لمساعدتهم ضد المصريين . ورسا قسم من سفنه في الميناء ، وقابله حاكمها مرجان الظافري على الساحل ، وارسلت له مائدة فخمة الى سفينته .

وكان بإمكان (لوبو سواريز) ان يستولي على عدن بكل سهولة ويسر ، في تلك الآونة ، لان تحصيناتها كانت ضعيفة بعد ان خربتها مدافع المصريين ، غير انه رأى تأجيل ذلك الى حين رجوعه من البحر الاحمر . ومن عدن توجه الى جدة ، ورست سفنه في الميناء ، فخرج سلمان الرومي ، قائد جيش الممالك في جدة ، لمقاتلتهم ، وكان قد علم بتوجههم الى جدة من قبل ، فلم يتمكن البرتغاليون من انزال جنودهم الى البر . وقامت سفينة مصرية من نوع (الغراب) بضرب السفن البرتغالية فحطمت اثنتين او ثلاثا منها . واثناء عودة البرتغاليين الى السواحل اليمنية تعقبته (غراب) كان عليها عدد من رجال سلمان الى جوار (اللحية) ، وهناك تمكنت من القبض على احدي السفن البرتغالية وعادت بها الى جدة .

وعند عودة (لويو)
في البحر الاحمر ،
مرجان الطافري بالماء وال

بعد ان اكتسحت ال
اعلى سليم الاول ، سلطان
وادعى الخلافة على المس
اسمه في خطبة الجمعة ،
الى اليمن والالتحاق بأخو
بعد ان فقدت كل عون وس
اليمن ، باستثناء عدن و
عامر بن داود بن طاهر

في سنة ٩٢٦ هـ (٠)
(الغراب) و (الغليون)
الداغ والمونة . وكانت
ينهبون الى (رأس العارة)
يتكفون من العودة الى
الراكب ما خف حمله ثم
ان فيها جيشا من الاتراك
الرياح الجنوبية الغربية
الصادقة لاهلها ، وزوده
منهم بعض الاسرى . ثم

في عام ٩٢٩ هـ (٢٢)
نبح سفن ، ونزلوا الى
بين الاهالي . الا ان
كبير من أهل الشحر ونهب
ملك .

في ٩٣٥ هـ (١٥٢٨)
بنفالية . وكان من بين
في السنة التقت (غراب)



عدن في ١٥١٣-١٤ : الاسطول المصري يضرب المدينة .

وعند عودة (لوبو سواريز) الى عدن ، كانت تحصيناتها قد رمت اثناء
جابه في البحر الاحمر ، واصبحت مستعدة لمقاومتها ، فغادرها بعد ان زودهم
الطافري بالماء والطعام .

بعد ان اكتسحت الجيوش التركية قوات الماليك في بلاد الشام ومصر ،
فلن سليم الاول ، سلطان العثمانيين ، ان الحجاز جزء من امبراطوريته ،
ادعى الخلافة على المسلمين ، فبادر اشراف مكة الى اعلان ولائهم له ، وذكر
الجمعة في خطبة الجمعة ، فلم يجد الماليك الذين كانوا في جدة مقرا من الهرب
اليمن والالتحاق بأخوتهم في زبيد وتعز . ولكن قوات الماليك في اليمن ،
ان فقدت كل عون وسند ، اعلنت خضوعها واعترفت بالسيادة التركية على
اليمن ، باستثناء عدن والشريط الساحلي حتى الشحر الذي بقي تحت حكم
مر بن داود بن طاهر .

في سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ - ١) م) جهز البرتغاليون اكثر من سفينة منها
الغراب (و) الغليون (و) القليوت (، وكان من ضمنها (قليوت) كبير يحمل
الوقود والمونة . وكانت نيتهم الوصول الى عدن ، غير انه حدث ما جعلهم
يهربون الى (رأس العارة) بجوار باب المندب ، وكانت رياح الازيب قوية ، فلم
يكنوا من العودة الى عدن . وجنح القليوت الكبير فنقلوا منه الى بقية
الركب ما خف حمله ثم تركوه ، وابتحروا الى جده ، وعند اقترابهم منها علموا
فيها جيشا من الاتراك فعادوا الى جزيرة دهلك ، حيث مكثوا حتى موسم
رياح الجنوبية الغربية فرجعوا الى خليج عدن . ولما وصلوا الى عدن اظهروا
مداقة لاهلها ، وزودهم حاكمها بما يحتاجونه من الماء والطعام ، واقتدى
بعض الاسرى . ثم توجهوا الى جزيرة هرمز .

في عام ٩٢٩ هـ (١٥٢٢ - ٢) م قدم البرتغاليون الى ميناء الشحر في حوالى
م سفن ، ونزلوا الى المدينة ، فجر يوم الجمعة ، فنشب قتال شديد بينهم
من الاهالي . الا ان البرتغاليين تغلبوا في النهاية عليهم ، واستشهد عدد
من اهل الشحر ونهبت المدينة نهبا فظيعا . وبعد اربعة ايام غادورها الى
ك .

في ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ - ٩) م) حطم الطوفان اكثر من اربع عشرة سفينة
مالية . وكان من بين الذين نجوا من الغرق عدد من الاسرى المسلمين . وفي
السنة التقت (غراب) برتغالية بمركب عليه شحنة من الفوه ، كان في طريقه

الى الهند . بالقرب من الشحر فاستولت عليه . لكن سلطان الشحر استعادته
مقابل الف وثمانمائة اشرفيا .

في ١١ شعبان من عام ٩٢٦ هـ (١٥٢٩ - ٣٠ م) وصل البرتغاليون الى
عدن في سبع سفن . وعقدوا مع واليها اتفاقية تنص على عدم التعرض للمراكب
التجارية المسافرة من والي عدن . باستثناء تلك التي تقصد او تغادر (الداير)
و (جوغو) . على ساحل الهند الغربي . ثم غادروا عدن . بعد ان تركوا فيها
عددا منهم . وقد سمح الوالي لهؤلاء بالاشتراك مع عسكره في الموكب يوم
الجمعة . فخرجوا حاملين البنادق والسيف . في كامل زينتهم . فثار سخط
الاهالي . وقد حاول فقهاء المدينة . من قبل . اقناع الوالي بالعدول عن ذلك
الا انه لم يصغ لهم . وكان سبب اصراره على اشتراك الجنود البرتغاليين في
الموكب هو خوفه من دخول الاتراك الى عدن . وفي هذه السنة نقل البرتغاليون
مركز قيادتهم من (كوشين) الى (جوا) .

كان البرتغاليون ينظرون الى (ديو) منذ وصولهم الى الهند . بعيين
جشعة . وينتظرون . بفارغ الصبر . اليوم الذي تتاح لهم فيه الفرصة للانقضاض
عليها . وفي سبيل هدفهم هذا غرضوا عليها في ٩٢٧ هـ (١٥٣٠ - ١ م) حصارا
بحريا .

وفي هذه السنة ارسل الاتراك اسطولا بقيادة مصطفى بييرم وظفر لمساعدة
السلطان محمود سلطان الفجرات . وفقد الاتراك بجوار باب المندب مركبا كبيرا
كان يحمل المدافع والموتة .

وعند وصول الحملة التركية الى الشحر قدم مصطفى بييرم للسلطان بدر
برطوبيرق خلعة الولاية وحل الشرف لامراتها .

ولم يستطع الاتراك المضي الى الهند . لان رياح الازيب كانت قوية .
فعادوا الى الشحر . وأعاروا السلطان مائة من رجالهم ليساعدوه في حروبه في
وادي حضرموت الاعلى .

وقبيل عودة الاسطول التركي الى الشحر وصلت (غراب) برتغالية الى
الشحر . كان عليها بعض البرتغاليين المقيمين في عدن فصادفت بالقرب من
ميناء الشحر مركبا عربيا قام البرتغاليون بنهب ما فيه من الاشياء الثمينة .
وبالقرب من الحامي قابلوا صدفة مركبا كبيرا من نوع (الجلبه) فاشتبكوا مع

والموتى من ذوات الأرواح
والذين هم في الآخرة



الاسطول التركي في طريقه الى عدن في ١٥٣٨ م

ركابه في معركة ضارية ، وقتل ثلاثة من ركاب (الجلبه) . غير أن البرتغاليين لم يحصلوا من (الجلبه) على شيء . وكان مهم الاستراع في الوصول الى الهند ليتذروا زملاءهم بوصول الاسطول التركي .

ومكث مصطفى بيرم في الشحر نحو شهرين ثم سافر الى الهند ، وبقي الذين أرسلوا مع السلطان بدر ومعهم ظفر في معسكر السلطان بسواي حضرموت .

وعندما كان ظفر ومن معه من الأتراك في الشجر ، بعد عودتهم من وادي حضر موت ، دخلت ميناء الشحر (غراب) برتغالية واشتبكت في معركة مع عدد من المراكب القادمة من الهند ، وكان هدف البرتغاليين النهب ، فنزل ظفر وعدد من الأتراك الى البحر واتجهوا الى (الغراب) . فلما رأهم البرتغاليون لاندوا بالفرار . وعلى مقربة من الحامي صادف القراصنة البرتغاليون مركبا قادما من الهند فقبضوا عليه ، فأرسل السلطان بدر ، عندما بلغه النبا ، ظفر ومن معه من الأتراك على ظهر (غراب) . يصحبهم عدد من المهرة في سفينة مكشوفة (طراد) . فترك القراصنة المركب بعد ان اخذوا منه الريان ووكيله (المعلم) ، فتعقبهم الأتراك والمهرة غير انهم لم يدركوهم فعادوا بالمركب سالما دون ان ينهب شيء من حمولته .

وامام ساحل (المشقاص) من بلاد المهرة ، أخذت هذه (الغراب) تقوم بالقرصنة ضد مراكب أهالي المشقاص ، فنزل جماعة من سكان (حصويل) ، بالمشقاص ، ليلا في (سنبري) وتمكنوا من القبض على (الغراب) وقتلوا كل من عليها من البرتغاليين .

وعند نهاية شعبان من هذه السنة وصلت الانباء الى الشحر من المناطق المجاورة (لديو) بان مصطفى بيرم قد دخلها بسلام ، وان البرتغاليين وصلوا بعد سبعة ايام من وصول مصطفى في حوالي ثلاثمائة سفينة بعضها يحمل الجبس ، بقصد بناء قلعة في (بيت سلجوح) Siyalbet ، بالقرب من (ديو) ، في حالة عدم تمكنهم من احتلال (ديو) . وفي (بيت سلجوح) وجد البرتغاليون الفين من الجنود المسلحين ، فنزلوا واشتبكوا معهم في قتال مرير ، قتل فيه نحو خمسمائة من البرتغاليين ثم لجأوا الى سفنهم واقلعوا الى (ديو) ، وهناك دارت بينهم وبين المسلمين معركة عنيفة انهزموا في نهايتها بعد ان قتل منهم المسلمون اكثر من الف وخمسمائة جندي وأسروا عددا كبيرا منهم ،

واغرقوا من سفنهم حوالى
وفي هذه السنة
الاسرى المسلمين . وك
عدن . لان حاكم عدن ق
تقد البرتغاليون كل امل
الحرب من عدن فلم ينح
بعد ان اعتنق معظمهم

وفي ٢٦ جمادي
للقراصنة البرتغاليين
تطارد مركبا كان في
فدارت بين المركبين
من مدفعيتهم اصاب
بانفسهم في البحر وقتل

وفي ٢١ شعبان
فقبضت على مركب
والرجان والجوخ وغ
المراكب الراسية في
الآخر مقابل مبلغ من
واخذه معهم .

في ١٢ رمضان
فقبضت على ما في
مركب يوسف التركي
البرتغاليين ، خشية
امر السلطان بسجن
واظهار الخضوع و
في اليوم الثالث مر

وفي شهر رمضان
(بير علي) ، ورج

واغرقوا من سفنهم حوالي أربعين سفينة وقبضوا على عشرين منها .

وفي هذه السنة أيضا وصلت الى الشحر سفينة برتغالية عليها عدد من الاسرى المسلمين . وكان البرتغاليون يحاولون انقاذ من تبقى من زملائهم في عدن ، لان حاكم عدن قد اعترف بالسيادة للعثمانيين في خطبة الجمعة . وهكذا فقد البرتغاليون كل امل في مساعدة وصداقة حاكم عدن . وقد حاول البرتغاليون الهرب من عدن فلم ينجحوا وزج بهم حاكم عدن في السجن ، ثم اطلق سراحهم بعد ان اعتنق معظمهم الاسلام ووزعوا على حصون اليمن في خدمة البندقية .

وفي ٢٦ جمادي الثانية من عام ٩٢٨ هـ (١٥٢١ - ٢٢ م) ظهرت (غراب) للقراصنة البرتغاليين امام ميناء الشحر ، وفي صباح اليوم التالي انطلقت تطارد مركبا كان في طريقه الى الشحر من المليبار ، بساحل الهند الغربي ، فدارت بين المركبين معركة بالمدافع والبنادق ، غير ان القراصنة اطلقوا طلقتين من مدفعيتهن اصابت صارى مركب المسلمين فحطمته فرمى عدد من ركبائه بالبحر وقتل عدد آخر ووقع الباقون في الاسر .

وفي ٢١ شعبان من السنة المذكورة وصلت الى الشحر سبع سفن برتغالية فقبضت على مركب يوسف التركي وكان عليه حمولة من الرصاص والزئبق والرجان والجوخ وغيره ، جلبها التجار من جدة ليبيعوها في الهند . اما بقية المراكب الراسية في الميناء فبعضها اغرقه ملاحوها ، وأطلق سراح البعض الآخر مقابل مبلغ من المال . ولم يقبل البرتغاليون فدية لمركب يوسف التركي واخذوه معهم .

في ١٢ رمضان وصلت الى الشحر اربع سفن برتغالية من نوع (قليوت) فقبضت على ما في الميناء من المراكب ، وعندما اشتبك معهم فاخذوا (ريان) مركب يوسف التركي وعدد من الاتراك ، بالمدافع ، منعتهن السلطات من مقاتلة البرتغاليين ، خشية ان يستولي هؤلاء على الميناء ، ولما لم ينصع الاتراك للأمر امر السلطان بسجنهم ، فهاجت المدينة ضد هذا التصرف من قبل السلطان ، وظهر الخضوع والمذلة للبرتغاليين ، وغادرت السفن البرتغالية ميناء الشحر في اليوم الثالث من وصولها .

وفي شهر رمضان ايضا مرت اربع عشرة سفينة برتغالية بميناء ميفعة (بير علي) ، ورجعت ثلاث منها الى الشحر ، وكان سبب رجوعها هو منعها

من أخذ الماء في ميقع حجر ، وبروم ، والمكلا ، ووصلت في أعقاب الثلاث سبع
سفن ثم لحقت بها ست سفن أربع منها (غراب) واثنان (قليوت) ، فبلغ عدد
السفن ١٦ سفينة ، وكان البرتغاليون يتوون النزول إلى المدينة غير أنهم تخلوا
عن هذه الفكرة عندما علموا أنها فارغة من البضائع والسكان ، وأن بها قوة
من القرصان والجنود المشاة والبدو ورماة الاسهم ، ثم جرت بينهم وبين
السلطان مقاروضات من أجل عقد معاهدة صلح وطلبوا منه أن يرسل مبعوثا إلى
الحاكم البرتغالي بالهند مع هدية لأجل التصديق على المعاهدة ، بعد هذا
أخذوا مبلغا من المال من أصحاب المراكب وغادروا الميناء .

ودخلت ثمانى سفن برتغالية إلى (بروم) ففر أهلها ، لكن البرتغاليين
اكتشفوا أحد ناسي الناسي ، فقتلوه ، ونهبوا أموالهم وأحرقوا ما
تبقى منها .

ومرت السفن البرتغالية بقرية (باغشوه) فقام البرتغاليون بحرقها .
واختبأت جماعة من البرتغاليين بين الأشجار على الساحل حتى مر بها صيادان
فقبضت عليهما .

وجاءت الأخبار من (بروم) بأن (غراب) برتغالية ظهرت بالقرب من
(بروم) ثم غادرتها في اتجاه عدن . ويبدو أنها جاءت للحصول على معلومات
عن التجريدة التركية ، والتأكد من صحة الأخبار التي شاعت في تلك الأيام
عن وصول (غرابين) تركيتين إلى سواكن .

وفي ٢٢ رمضان ظهرت (الغراب) البرتغالية ، في ميناء الشحر ، بعد
قدومها من (خاليف) (بالقرب من المكلا شرقا) حيث صادفت سفينة مفتوحة
(طراد) ، قادمة من زيلع ، فنهب البرتغاليون ما فيها ، وهرب بحارتها إلى
الساحل مع حاجاتهم الضرورية ، فتبعهم القراصنة وأخذوا ما معهم . وفي
صباح اليوم التالي عاد القراصنة إلى الساحل معتقدين أن بحارة (الطراد)
قد دفنوا فيه ما كان معهم من الذهب ، ففاجأهم جماعة من آل بامحمد وقتلوا
سبعة منهم وجرحوا اثنين وهرب الباقون إلى السفينة .

وفي سنة ٩٤٠ هـ (١٥٢٣ - ٤ م) وصل البرتغاليون في اثنى عشر
(غراب) ، وقاموا كعادتهم بنهب الميناء ، وأرسلوا سفينتين ، في الطليعة ، في
اتجاه عدن وباب المندب . وكانوا قبل وصولهم إلى الشحر قد استولوا على
أربعة مراكب كانت قادمة من (غجرات) ، وواحد من (منقوش) (بين سيحوت

والقيظة) وعليه ركاب
مزمز .

وفي هذه السنة
نوع (الغراب) ، قد
منها ، ووصلت الرابع
قادم من الهند ، في
مفاوضة لإطلاقه ،
الركب المسلوب .

واثناء بقاء هذه
(شرق أفريقية) ،
الساحل وحجبرهما

والتقت واحدة
بالقرب من (رقاب)
حملة ثم أطلقوه .
لاهل الشحر بالقرب
البحر ، ونهب البرت
الاسود والقرنفل

وفي ٩٤١ هـ
وفي طريقها إلى (ق)
فقبضوا على عدد
ساحل تهامة) ،
تمكنوا من القبض
من بينهم نسوة وأ
معظم الاسرى ،
مغادرتهم للميناء
زملائه . وكان الس

حاكم (جوا) البر
هدية للحاكم .

وجاءت الان

والقيظة) وعليه ركاب من العرب . وبعد شجر أسبوق اقلعوا من الشجر الى
مرمز .

وفي هذه السنة جاءت الاخبار الى الشجر من عدن بان اربع سفن من
نوع (الغراب) . قد مرت بعدن في طريقها الى باب المندب . ثم عادت ثلاث
منها . ووصلت الرابعة بعد ايام الى ميناء الشجر . وكانت قد التقت بمركب
قادم من الهند . في الطريق بين الشجر وعدن . فقادته الى الشجر حيث جرت
مفاوضة لاطلاقه . الا ان هذه المفاوضة انتهت بالقتل فابحرت (الغراب) مع
الركب المسلوب .

واثناء بقاء هذه (الغراب) في الميناء وصل مركبان عربيان من السواحل
(شرق افريقية) . فلما رأى بحارة المركبين (الغراب) توجهوا بهما الى
الساحل وحجبهما .

والتقت واحدة اخرى من السفن البرتغالية الاربع بسنبوق لاهالي الشجر
بالقرب من (رقاب) فقبضت عليه ونهب منه البرتغاليون من السلع الثمينة ما خف
حمله ثم اطلقوه . وقبل هذه الحادثة كانت (الغراب) قد التقت بسنبوق اخر
لاهل الشجر بالقرب من (عين بامعبد) . فرمى بحارته وركابه بانفسهم فسي
البحر . ونهب البرتغاليون معظم حمولة السنبوق . وكانت من القماش الحضرمي
الاسود والقرنفل .

وفي ٩٤١ هـ (١٥٢٤ - ٥) دخلت البحر الاحمر اربع (غراب) برتغالية .
وفي طريقها الى (قمران) التقت بمراكب يمنية من نوع (الجلبة) و (السنبوق) .
فقبضوا على عدد من ركبها . ثم وصلوا بعد ذلك الى (الزهاوي) (على
ساحل تهامة) . ونزلوا فجأة الى البر . ففر الاهالي . غير ان البرتغاليين
تمكنوا من القبض على عدد منهم . كانوا مختبئين بين الاشجار .
من بينهم نسوة واطفال . وعندما وصلوا الى الشجر اقتدى السلطان والاهالي
معظم الاسرى . وعامل البرتغاليين معاملة حسنة ليتجنب شرهم . وعند
مغادرتهم للميناء قدم لقائدهم فرسا هدية . كما اهدى فرسين آخرين لاثنيين من
زملائه . وكان السلطان بدر قد ارسل رسالة مع (الخواجا ابن الزمان) الى
حاكم (جوا) البرتغالي تاكيدها للهدنة وارسل بصحبته خمسة رؤوس من الخيل
هدية للحاكم .

وجاءت الانباء بعد ذلك ان (الغراب) التي كانت قد غادرت الشجر .

توجهت الى (أحور) حيث قامت بنهب أهلها وأسرت بعضهم . وكان من بين من نهبت أموالهم جماعة من بيت زياد . ثم توجهت (الغراب) الى (خيريج) حيث باعت ما نهبت .

وفي هذه السنة سافر ثلاثة من التجار البرتغاليين في مركب هندي ، فاقتنى أثره جماعة من المهرة كان البرتغاليون قد سلبوا أموالهم عندما كانوا في طريقهم الى (المشقاص) فقتلوا التجار البرتغاليين الثلاثة ونهبوا كل ما في المركب .

وفي ٩٤٢ هـ (١٥٣٥ - ١٥٣٦ م) وصلت الى الشحر (غراب) غير ان البرتغاليين عندما عاينوا المراكب القادمة من شرق افريقية الى المشقاص ، وراحوا يقطعون الطريق على المراكب القادمة من شرق افريقية الى المشقاص .

وعندما وصل البرتغاليون الى (قشن) وجدوا جنودا كان الشريف عبدالله بن شيخ العيدروس يريد نقلهم الى عدن ، ليشتبكوا في الجهاد المقدس ضد المسيحيين ، فبادلوا معهم اطلاق النار . ولما اقترب جنود العيدروس من السفن البرتغالية ، اطلقت عليهم علب البارود (شراب النار) فاحترق عدد منهم وغرق بعضهم ، وكان معظمهم من بدو المهرة .

وفي هذه السنة ايضا وصلت الى الشحر سبع سفن (قليوت) و (غراب) من (ديو) عليها أم السلطان بهادرشاه وزوجته واطفالهما . وذكروا انهم في طريقهم الى المحرم الشريف ، وان المغول قد هزموا بها درشاه وانهلجوا الى (ديو) .

وبعد أيام قبضت (غراب) برتغالية على مركب ابن جوح في ميناء قشن ، فاقتنكه أصحابه بسبعة الاف اشرفيا . ثم ابحرت الغراب الى غراب الجزر (حصن الغراب) و (عين بامعبد) وهناك التقت بأكثر من ثلاثة عشر مركبا ، أكثرها سنابيق عدن ، كانت تنتظر توقف رياح الازيب ، التي صدها عن السفر الى الهند ، فحطم البرتغاليون عددا منها ونهبوا منها الاشياء الثمينة كالنقود والاقمشة .

وفي هذه السنة هاجم السلطان بدربوطيرق البرتغاليين ، الذين وصلوا الى الشحر في أربعة عشر سفينة ، وتغلب عليهم . وقد قتل منهم حوالي ثلاثين وأسر قائدهم مع زهاء سبعين من رجاله ، واستولى على سفنهم

وأموالهم . وعندما طلب على مختلف قواته ، وأمر المشائي

وفي ٩٤٣ هـ (١٥٣٦) حدث ذلك عندما وصل البرتغاليون وبصحبته عشرة من وزراء والصفوة البالغة ، ولما استولوا على بلاده منذ لتحرير الاقراك عليهم حجاجا من وزرائه وأهل

واثناء عودته الى السلطان قاتل ببسالة الذي استبقاه

وفي هذه السنة عودتهم من باب المندي وعرضوا عليه مبلغا م بعقد معاهدة صلح ب كرمائن ، وبعد عام بدلا من الاسرى ، وان السفارة من الشحر فيما بين الهند والشحر

وفي ٩٤٤ هـ (١٥٣٧) اشتبك مع (غراب) ولكن طلقة من مدفع الغراب بالفرار .

وفي هذه السنة و (غراب) للبرتغاليين بوطويرق .

اموالهم . وعندما طلب الاسرى الامان اعطاهم السلطان بدر مساكن ووزعهم
الى مختلف قواته ، وأرسل منهم خمسة وثلاثين في (قليوت) الى السلطان
ثماني .

٩٤٣ هـ (١٥٣٦ - ٧ م) قتل البرتغاليون السلطان بهادر شاه .
وفي ذلك عندما وصل اسطول البرتغاليين امام (ديو) من الناحية الجنوبية
عندما دخل البرتغاليون الميناء نزل السلطان في (غراب) لمقابلة قائدهم ،
وبصحبته عشرة من وزرائه والخوارجا ظفر ، فقابلهم البرتغاليون بالترحاب
والحفاوة البالغة ، ولما طلب منهم السلطان المساعدة ضد اعدائه المغول ، الذين
استولوا على بلاده منذ سبع سنوات ، عاتبوه على ارساله السفن الى جنة
لتحريض الاتراك عليهم . ولم يصدقوه عندما أخبرهم ان السفن كانت تحمل
حجاجا من وزرائه واهله .

واثناء عودته الى البر ارسل البرتغاليون وراءه (غرابين) ، الا ان
السلطان قاتل ببسالة حتى استشهد هو وجميع وزرائه فيما عدا الخوارجا
ظفر ، الذي استبقاه البرتغاليون ، وأستولوا على (ديو) .

وفي هذه السنة قدم البرتغاليون في ثلاث (غراب) الى الشحر بعد
عودتهم من باب المندب ، وفاوضوا السلطان بدر في امر رفاقهم الاسرى ،
وعرضوا عليه مبلغا من المال مقابل اطلاق سراحهم . لكن المفاوضات انتهت
ب عقد معاهدة صلح بين الطرفين ، يبقى بموجبها الاسرى لدى السلطان
كرهائن ، وبعد عام يرسل البرتغاليون اربعة من قادتهم ليقيموا لدى السلطان
بدلا من الاسرى ، وان يقوم هؤلاء بكتابة الوثائق اللازمة لركاب السفن التجارية
المسافرة من الشحر الى الهند . كما تنص على عدم التعرض للتجارة البحرية
فيما بين الهند والشحر .

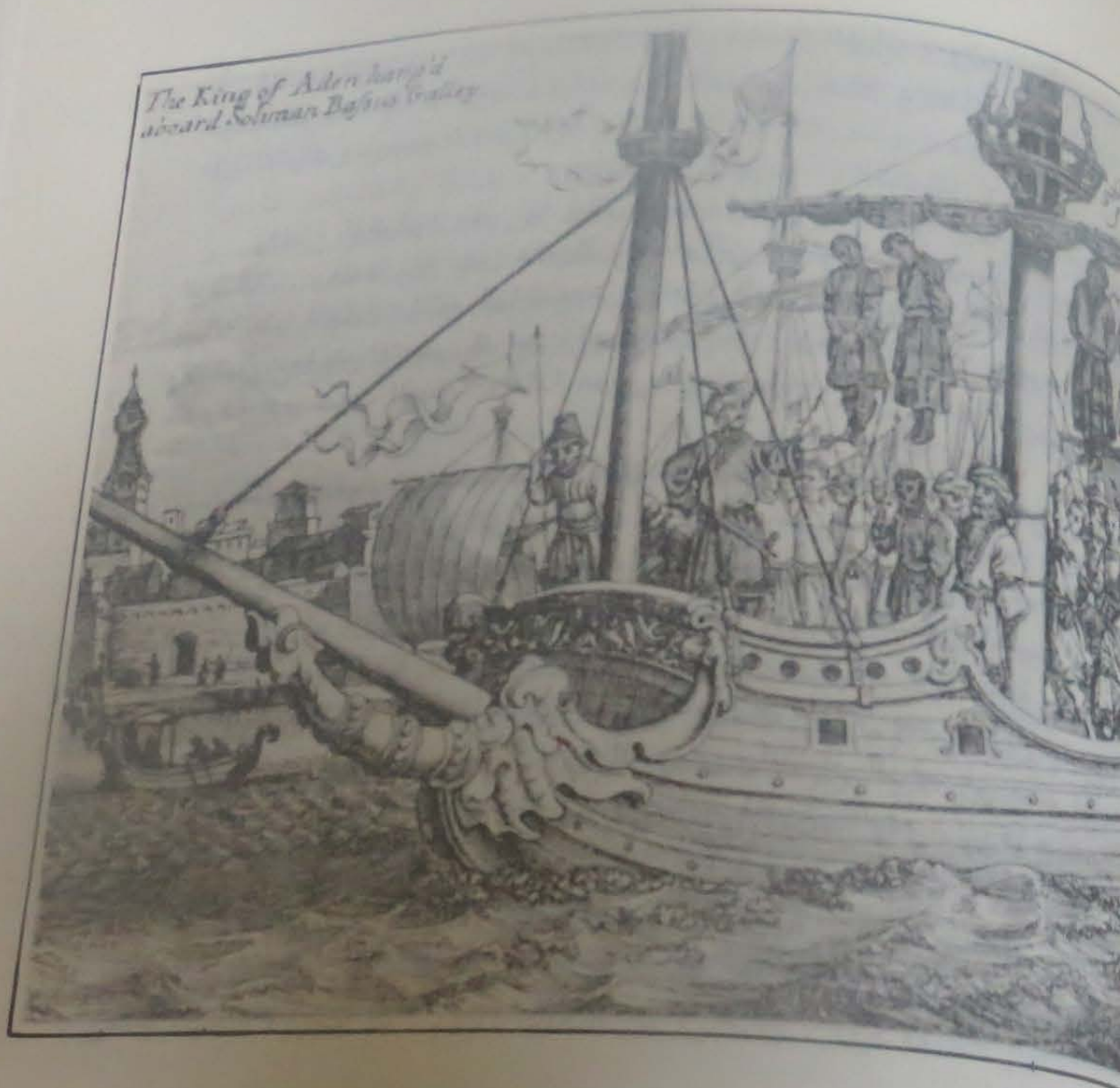
٩٤٤ هـ (١٥٣٧ - ٨ م) وصلت الانباء بأن سعد بن عمر المهري قد
اشتبك مع (غراب) برتغالية بالمدافع والزيرتانا . وقتل اثنان من رجال سعد ،
ولكن طلقة من مدفع سعد وقعت على ظلة (عرش) الغراب فأحرقتها ، فلان
الغراب بالفرار .

وفي هذه السنة ايضا عاد الخوارجا عبدالله بن زمان من الهند مع (قليوت)
و (غراب) للبرتغاليين ، حاملا اتفاقية الصلح بين البرتغاليين والسلطان بدر
بوطيرق .

وفي ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ - ١٥٣٩ م) أرسل الاتراك اسطولا كبيرا من حوالى ثمانين سفينة . بقيادة سليمان باشا والي مصر لقاتلة البرتغاليين في الهند . وعندما وصل الاسطول التركي الى عدن فتح له حاكمها عامر بن داود الطاهري ابوابها . وجمع له المواد الغذائية وغيرها . ولكن سليمان باشا لم يكسر ابواب المدينة تفتح له حتى امر جنوده بدخولها ونهبها . ولما وصل عامر ووزيره الى سفينة القيادة للترحيب به . امر باعدامهما شنقا . ونهب ممتلكاتهما . ثم غادر عدن بعد ان عين بهرام التركي حاكما لها .

ووصل سليمان باشا الى الهند في الوقت الذي كان فيه الخواجا ظفر قد استعاد جزيرة (ديو) من البرتغاليين بقوة من المسلمين الهنود والعرب والافريقيين . وكان المنهزمون من البرتغاليين قد لجأوا الى قلعة (غوجولا) الساحلية . وهناك ضرب عليهم المسلمون الحصار . وأمدهم سليمان باشا بأربعمئة من جنوده . بينما اقلعت سنته بسبب هيجان البحر الى (مظفر آباد) . وأنزل الاتراك من سفنهم ثلاثة من المدافع الكبيرة . ونقلوها الى مسافة قريبة من القلعة . وكان بها نحو مائة من البرتغاليين . واستمر المسلمون في ضرب القلعة بالمدفعية حتى استسلم من فيها . وبعد هدوء البحر عاد الاتراك في سفنهم الى ميناء (ديو) بقصد مهاجمة قلعة البرتغاليين البحرية . آخر قلعة لهم في (ديو) . بينما راح ظفر وجنوده يهاجمون القلعة من جانب جزيرة (ديو) . وكان بها حوالى اربعمئة من الجنود البرتغاليين . وشرع المسلمون في حفر نفق تحت قاع البحر . وشدوا الحصار عليها . وعندما كانت القلعة في حفر نفق تحت قاع البحر اقلع سليمان باشا فجأة من (ديو) . ويقال ان وشيكة الوقوع بأيدي المسلمين اقلع خلف بهادر شاه . أرسل الى سليمان باشا سبب هروبه ان السلطان محمود شاه خلف رسالة تتضمن استعداد له لمساعدة عند وصوله الى (مظفر آباد) احد وزرائه مع رسالة تتضمن استعداد له لمساعدة سليمان باشا في الحرب المقدسة ضد المسيحيين . غير ان هذا عامل الوزير بازدراف ورفض ان يسمح له بالجلوس معه . فعاد الوزير غاضبا واخبر السلطان محمود بما حدث . ولما بعث سليمان باشا خلعة وسيفا الى السلطان محمود قال هذا للرسول : « اخبر مولاك ان كان هذا من حضرة السلطان سليمان (سلطان القسطنطينية) فسوف البسه . اما اذا كان منه فان مركزه لا يخوله ان يرسل لنا حلة شرف » . فاغتاظ سليمان باشا عندما بلغه هذا . وتأسف كثيرا لسماحه بعودة الوزير واضمر للسلطان حقدا مريرا .

وأمر السلطان محمود الخواجا ظفر ان يستنبط حيلة لانسحاب سليمان باشا من الهند . فقام ظفر بتزوير رسالة على لسان البرتغاليين في (جوا)



شفق الشيخ عامر بن داؤد الطاهري ، حاكم عدن ، ووزيره الامير
عبد الصمد الخالي ، على يد سليمان الطواشي ، عام ١٥٢٨ م .

الى قائدهم في (دير) ، مضمونها : « قد حشدنا القوات ، ونحن متاهيون
لمساعدتكم بثلاثمائة (غراب) وخمسين (قليوت) » وعند وصولنا اليكم سنهجم
على الاتراك وتذبحهم دونما رحمة » .

واشاع الخواجا ظفر انه قبض على رسول البرتغاليين ومعه هذه
الرسالة . وعندما بلغ خبر هذه الرسالة والي الباشا ارسل رسالة الى ظفر
يسأله عنها فأجابه « الامر كما سمعت » فامتلا قلب الباشا رعبا ، لانه كان جبانا
ولا يظهر شجاعته الا على كل من وقع في قبضته . وكانت جنوده مذمومة
مكروهة لدى شعب الهند . وهكذا هرب سليمان باشا من الهند .

ويقال ان سليمان باشا عندما مثل امام السلطان سليمان العثماني في
اسطنبول ، قدم بين يديه وثائق ورسائل من أهالي مكة وعدن وزبيد والشحر
وغررها تؤكد استيلاءه على الهند وطرد البرتغاليين منها واستيلاءه على
قلاعهم . وانه لم يبق منهم الا حفنة ضعيفة ذليلة . كما قدم تفاصيل عن
الموانئ التي جلب منها الخراجات للباب العالي ، وعرض عليه كمية من
النقود والتحف الثمينة . غارتاح السلطان بذلك وزال قلقه . بيد ان كلام سليمان
باشا هذا اعقبه وصول البرتغاليين الى السويس وانتشار الرعب في مصر فقال
السلطان له : « اين كلماتك الجميلة . . قلت انك قضيت عليهم . . وها هم الان
في مصر » .

ويقال ان سليمان باشا فر عندما تأكد ان السلطان سيعدمه . وقال
آخرون انه اعدم .

وفي ربيع الاول من عام ٩٤٦ هـ (١٥٣٩ - ٤٠ م) وصلت (غراب) تركية
الى عدن ، عليها رسول من السلطان سليمان العثماني ، معه مرسوم الى الامير
بهرام حاكم عدن ، وقاضيهما عبد الرحمن بامخرمة باحالة شؤون عدن الى الامام
حاكم صنعاء ، وعودة القوافل التجارية فيما بين عدن وتعز وغيرها .

وفي شهر صفر من عام ٩٤٧ هـ (١٥٤٠ - ٤١ م) مرت (غراب) برتغالية
بعدن وضربتها بالمدافع ثم استأنفت سفرها في اتجاه باب المندب الى سواكن
ودهلك حيث التقت بعدد من المراكب الشراعية فاشتبكت معها . وقبض
البرتغاليون على بعض منها وقتلوا عددا من ركابها كما نهبوا كميات كبيرة من
البضائع وبلغ عدد الاسرى من المسلمين حوالي ثلاثمائة أسير .

وفي هذه السنة ارسل
البرتغاليون في اتجاه خليج السن
(غراب) بالليل للاستطلاع
مخرجت . وارتحل البرتغاليين
الخارجوا عددا من (الجلاب)
جنودهم للمساعدة (الحتي)
الماخدي واحتل جزءا كبيرا
عاد الاسطول البرتغالي من

وفي محرم من سنة
من سرت (على ساحل البحر)
كانت تجتاز في ذي الحجة
برتغالية كانت ضمن الاسطول
البرتغاليون ثم ابحروا بعد
قابلوا (سنبوقا) لرجل
السنبوق قادمين من (بربر)
على ظهر (الغراب) الذي
نزلوا للتزود بالماء ، و
وضعوا تسعة منهم على
شفتهم ، واصبحت الغراب
البرتغاليين التسعة فيها
عدن .

وفي هذه السنة
لمساعدة ملك الحبشة ،
انها انزلت على الساحل
المجاهد احمد بن ابراهيم
المجاهد ، مع كامل معه
فاسكودا غاما . ولم يبق

وعند دخول
الاتراك في عدن . و

وفي هذه السنة ارسل البرتغاليون اسطولا من (جوا) مكونا من سبعين
في اتجاه خليج السويس بقصد احراق الاسطول التركي الذي كان
تحت البناء . وعند اقتراب البرتغاليين من ميناء السويس ارسلوا ثمان
بالليل للاستطلاع ، فوجدت هذه الميناء متيقظا والعساكر كثيرة
وارتحل البرتغاليون بعد ذلك ، وعند مرورهم بالطور والقصور
من (الجلاب) ثم توجهوا الى دهك وانزلوا فيها خمسمائة من
للساعدة (الحتي) ملك الحبشة ، بعد ان هزمه مجاهد احمد بن ابراهيم
واحتل جزءا كبيرا من الحبشة وقبض على احد ابناء (الحتي) . ثم
الاسطول البرتغالي من دهك الى الهند .

وفي محرم من سنة ٩٤٨ هـ (١٥٤١ - ٢) دخلت ميناء عدن (غراب)
سرت (على ساحل الهند الغربي) ، ومعها قصة تتحدث بها هي انها عندما
تجتاح في ذي الحجة مضيق باب المندب صادفت اثنتين او ثلاث (غراب)
تغالية كانت ضمن الاسطول الذي ارسل الى السويس ، فقبض عليها
برتغاليون ثم ابحروا بصحبته الى (المشقاص) ، وعند توقعهم خارج عدن
بلوا (سنبوقا) لرجل من الشحر يدعى محمد بن طاهر وكان هو وابنه في
سنبوق قادمين من (بربرا) فأخذهم البرتغاليون واغرقوا السنبوق ووضعوه
على ظهر (الغراب) الهندية واستأنفوا سفرهم . وعند وصولهم الى (بروم)
زلوا للتزود بالماء ، وبقيت غراب برتغالية تحرس الغراب الهندية ، بعد ان
ضعوا تسعة منهم على ظهرها . وبالقرب من (المكلا) حدث اعصار شديد
سقطتهم ، واصبحت الغراب الهندية بدون حراسة فانقض المسلمون على
البرتغاليين التسعة فيها ، وتمكنوا من التغلب عليهم ، ثم ابحروا عائدين الى
عدن .

وفي هذه السنة ارسل البرتغاليون خمس (غراب) مشحونة بالجنود ،
للساعدة ملك الحبشة ، بعد ان ابدت التجريدة البرتغالية التي سبق ان ذكرنا
انها انزلت على الساحل الارتيري ، في معارك طاحنة اشترك فيها الى جانب
المجاهد احمد بن ابراهيم خمسمائة من الاتراك ارسلوا من زبيد ، بناء على طلب
المجاهد ، مع كامل معداتهم . وقد اعدم في هذه المعارك دون كريستوفاس ابن
فاسكوداغاما . ولم يبق مع ملك الحبشة من البرتغاليين سوى خمسين جنديا .

وعند دخول الخمس الغراب هذه مضيق باب المندب بلغ خبرها مسامع
الاتراك في عدن . وكان للاتراك في ميناء عدن تسع غراب ، ارسلت من

السويس كتجريدة مستقلة . بناء على نصيحة السلطان بدر بوطويق ، لهاجمة المشقاص التي تحالفت مع البرتغاليين . فاقلعت السفن التركية في اثر السفن البرتغالية . وخارج باب المنب رأى كل من الجائيين الجانب الآخر ، غير ان الليل اسدل ستاره فقتلتوا . وعندما اجتمع شمل الاتراك في الصباح توجهوا الى الخا . اما السفن البرتغالية فقد عادت اربع منها الى الهند ، وتوغلت الخامسة في البحر الاحمر . وفي الطريق الى جده صادفت غرابا عليها بضائع وركاب من بينهم نفر من الاتراك ، فنشبت معركة بين السفينتين قتل فيها احد خدم السلطان سليمان ، ثم عادت الغراب البرتغالية الى الهند .

ولم يتمكن البرتغاليون من انزال الامدادات من الخمس (الغراب) الى الساحل الارتيري مقابل اربيل دهلك .

وبعد أيام من هذه الحادثة وصلت الى الشحر غراب برتغالية تستطلع اخبار المعارك في الحبشة . وفي الميناء الدت بثلاثة مراكب قدمت من الهند ، واحد منها لديه مستندات الى الشحر ، واثنان الى المشقاص فغرم ركاب واحد من المركبين مبلغ (٢٠٠٠) اشرفيا . واستولت الغراب على طرادين من الميناء ولم تطلقهما الا مقابل مبلغ من المال .

وظلت الغراب تقوم باعمال القرصنة ، خارج الميناء ، ثم توجهت الى الجزر (غراب الجزر او حصن الغراب) (*) فوجدت طرادا قادما من زيلع بشحنة من قشر البن والسمن ، فقادته الى الشحر ولما لم يفتكه السلطان ذهبت به الى المشقاص .

وفي ٩٥١ هـ (١٥٤٤ - ٥٥ م) وصلت الى الشحر ثلاث غراب برتغالية ، وقابل قائدها السلطان بدر ، ثم اقلعت في اليوم التالي ، وكان معها طراد لحمد بن عبدالله بن عفرار ، حاكم سقطرى ، عليه نفر كان البرتغاليون قد اسروه .

وفي ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ - ٧ م) قتل الخواجا ظفر التركي في معركة بسين المسلمين والبرتغاليين في (ديو) . وكان البرتغاليون قد فكوا الحصار الذي اقامه المسلمون حول قلعتهم الساحلية . واستشهد في هذه المعركة ايضا محرم

* (بير علي) في الوقت الحاضر .

الخواجه ظفر ، وحوالي الفين من المسلمين . ومن الجانب البرتغالي حوالي
وسبعمائة قتيل . وكانت هذه المعركة هي المعركة الاخيرة بين البرتغاليين
المسلمين في (ديو) . وكان الخواجه ظفر مشهورا بالشجاعة وطيب القلب
والخير والاحسان .

في عام ٩٥٤ هـ (١٥٤٧ - ٨ م) وفي الوقت الذي كان فيه علي بن سليمان
الطولقي يقاتل الحامية التركية بعدن ، في سبيل انتزاع عدن من يد الاتراك ،
كانت سفينتان برتغاليتان تلقيان مراسيهما في ميناء عدن ، وعليهما جنود
برتغاليون .

وبعد أيام من استيلاء الطولقي على عدن وصلت الى الشحر سفينتان
برتغاليتان تحملان هدايا ورسالة الى حاكم عدن الجديد محمد بن علي بن
سليمان الطولقي .

وفي محرم من عام ٩٥٥ هـ (١٥٤٨ - ٩ م) استعاد الاتراك عدن واعدوا
محمد بن علي الطولقي .

وفي شهر صفر وصلت تجريدة برتغالية الى (بروم) مؤلفة من اثنتين
وعشرين (غراب) و (قليوت) . وكانت نية البرتغاليين احتلال عدن تحت
ستار مساعدة حاكمها الطولقي . ومن بروم بعثوا ست (غراب) في الطليعة ،
فوصلت ثلاث منها الى عدن ، فوجدتها قد اصبحت بيد الاتراك من جديد ،
فانقض عليها الاتراك بقيادة الاميرال بيرى ، واستولوا على اثنتين منها
وتمكنوا الثالثة من الفرار .

وفي شهر صفر ايضا ظهرت أمام (بروم) ثلاثون (غراب) واثنان
(قليوت) ونزل عدد من البرتغاليين منها الى بروم للتزود بالماء ، ثم توجهت
السفن الى الجزر ، ومعهما سعيد بن عيسى بن عفرار سلطان المهرة . وكان
السلطان بدر بوطويرق قد استولى على بلاد المهرة (قشن والولايات التابعة
لها) ، فذهب شقيق سعيد بن عيسى الى هرمز يطلب العون من البرتغاليين
لاسترجاع بلاده . وتوجهت التجريدة البرتغالية من (بروم) ، (لعلها نفس
التجريدة المذكورة قبل هذا) الى قشن ، بعد ان علمت ان الاتراك استعادوا
عدن من يد الطولقي ، وحاصر البرتغاليون قلعة قشن ، وبعد مقتل اكثر من
اربعين من البرتغاليين استطاع هؤلاء الاستيلاء على القلعة .

في ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ - ١٥٦١ م) غادرت عدن ثلاث غراب تركية بقيادة الاميرال
بيري ، ومرت بالشحر وقشن وظفار ووصلت الى قلعات يمان ، حيث قبض
الأتراك على قليوت برتغالية كانت قادمة من الهند وأسروا قبطانها وعشرة من
رجالها .

وفي هذه السنة التقت خمس غراب برتغالية بثلاث قليوت تركية واحسدة
منها كبيرة ، في خليج عدن ، فاشتبك الجانبان في قتال ضار استمر ثلاثة ايام
الى ان كاد المسلمون والبرتغاليون يهلكون جميعا . واحترقت سفن الفريقين
وقتل عدد كبير منهم . ولم يسلم من المسلمين سوى نحو عشرين دخلوا عدن ،
بينما وصل واحد الى احور .

وفي ٩٧٦ هـ (١٥٦٤ - ١٥٦٥ م) غادر القبطان التركي ظفر السويس على
رأس تجريدة من عشر غراب كبيرة ، تحمل كمية من المعدات والجنود . وعند
وصول التجريدة الى المخا وعدن انزلت فيهما عددا من المدافع ، ثم اقلعت الى
سواحل شرق افريقية بحثا عن الاسطول البرتغالي الذي كان منتظرا خارج
فيلاك (على الساحل الصومالي) قدوم اسطول جده التجاري الى شرق افريقية
(السواحل) . وهناك علم الأتراك ان الاسطول البرتغالي قد عاد الى هرمز ،
فعاد ظفر الى (بروم) غير ان مرضا اصابه هناك جعله يقرر العودة الى عدن .

وفي رجب من عام ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ - ١٥٧٧ م) وصلت غراب تركية الى ميناء
الشحر ، تحت قيادة سنان التركي ، وعليهما مائتان من الجنود الأتراك ومثلهم
من البحارة والهنود ، وكانت وجهتهم رأس الحد لمقاتلة البرتغاليين . ولما
وصلوا الى مسقط احرقوا كنائسها وقتلوا عددا من البرتغاليين ونهبوا المدينة
وقبضوا على قليوت كبير محملا بالسلع وجليون ، ثم شحنوا ما نهبوه من
البضائع في سفنهم والسفن البرتغالية وعادوا من مسقط الى الشحر ومنها الى
الكل حيث تقاسموا الغنائم ثم ابجروا الى عدن .

(٦)

الصراع الغربي على تجارة المحيط الهندي

بعد تدخل البرتغاليين
الملاحه فيه من يد العرب
البرتغال ، مستودعا ضخم
رأس الرجاء الصالح .

ومن لشبونه كانت
الى موانئ شمال وغرب
البلجيكي اشهر هذه الموانئ

ولقد ظل البرتغاليون
اوروبه والشرق ، عن
التي لم يهن عليها ان
امريكا الجنوبية ، راح
للادخول في صراع مع

ولم يكد القرن
سفينة هولندية في عام
التي بقيت من اسطوا
الشرق ، فجابه اهوا
رأس الرجاء الصالح
هذه السفينة الى هو

ولم تفت هذه

ومن هنا انشأ في سنة ١٤٨٢

بعد تدخل البرتغاليين في المحيط الهندي ، وانتزاعهم بقوة المدفع زعامة
اللاحة فيه من يد العرب العزل من اسلحة البارود ، غدت لشبونة ، عاصمة
برتغال ، مستودعا ضخما للسلع الشرقية ، التي كانت تنقل بحرا عن طريق
رأس الرجاء الصالح .

ومن لشبونة كانت هذه السلع تنقل في المراكب الهولندية والبرتغالية
الى موانئ شمال وغرب اوروبية ، والموانئ البريطانية . وكان ميناء (انقورب)
بلجيكي اشهر هذه الموانئ .

ولقد ظل البرتغاليون ، نحو مائة عام ، محكرين للتجارة البحرية بين
اوروبا والشرق ، عن طريق رأس الرجاء الصالح . الا ان بقية الدول الغربية،
التي لم يهن عليها ان تستأثر البرتغال بتجارة الشرق ، واسبانيا . بثروات
امريكا الجنوبية ، راحت في هذه الفترة تبني الاساطيل وتعد العدة والعتاد
للدخول في صراع مع هاتين الدولتين من اجل مقاسمتها هذه المغام .

ولم يكد القرن السادس عشر الميلادي يدنو من نهايته حتى نجحت اول
سفينة هولندية في عبور ممر رأس الرجاء الصالح . وهي السفينة الوحيدة
التي بقيت من اسطول كانت هولندا قد ارسلته بقيادة (ك . هوتمان) الى
الشرق ، فجابته احوالا واطارا حطمت معظمه ، قبل ان يتمكن من الدوران حول
رأس الرجاء الصالح . وبعد عام ، او على وجه التحديد ، في ١٥٩٧ م عادت
هذه السفينة الى هولندا ، وعلى متنها قائد الحملة هوتمان .

ولم تفت هذه الكارثة في عضد الهولنديين وتضعف من عزيمتهم واصرارهم

على منافسة البرتغاليين في تجارة الشرق . وخاصة بعد أن منعت مراكزهم من دخول ميناء لشبونة وموانئ شمال غربي افريقية التي تسيطر عليها اسبانيا . بل على العكس ، فقد زادت المعلومات التي عاد بها هورتمان من الشرق حماسا . وادت الى تكوين « جمعية التجارة مع الاقطار البعيدة » من المؤسسات التجارية الهولندية .

ومن عام ١٥٩٩ حتى ١٦٠٦ م أرسلت هولندا اساطيل كثيرة الى المياه الشرقية ، واستطاعت في فترة قصيرة ، ان تتمركز في الهند وجزر الهند الشرقية ، وان تهزم البرتغاليين في معارك بحرية كثيرة ، وتحل عدا من مراكزهم هناك .

وفي ١٦٠١ م اسس الهولنديون « شركة الهند الشرقية الهولندية » وهي شركة استعمارية كانت تتعاطى التجارة تحت ظل المدفع ، على غرار شركات الهند الشرقية البريطانية والفرنسية .

وكان الانكليز قد سبقوا الهولنديين في المتاجرة مع الشرق ، الا ان تجارتهم معه كانت في بادئ الامر ، تجارة برية ، عبر اوروبا . ففي ١٥٧٨ م سافر اول سفير لبريطانيا لدى تركيا برا الى القسطنطينية ، ونجح ، رغم معارضة السفير الفرنسي هناك ، في الحصول على رد من السلطان مراد الى الملكة اليزابيث ، يتضمن السماح للتجار الانكليز بالاتجار في البلدان التي تقع تحت السيادة التركية ، والدخول والخروج منها بحرية تامة كالتجار الفرنسيين والبندقين والالمانيين .

ونتيجة لذلك تأسست في ١٥٨١ م (شركة الشرق الادنى) ، وبقيت هذه الشركة تزاوّل نشاطها التجاري في الشام والعراق وايران ، حتى حلت سنة ١٨٢٥ ، بعد ان توقف نشاطها في السنوات الاخيرات من عمرها .

وبعد تغلب الانكليز على الاسبانيين في معركة (الارمادا) البحرية ، سنة ١٥٨٨ م ، راحوا يستعدون لمنازلة البرتغاليين ومزاحمتهم في تجارة الشرق ، فأسسوا في اليوم الاخير من سنة ١٦٠٠ م « شركة الهند الشرقية البريطانية » للتجارة المباشرة مع الشرق . وراحت اساطيلهم تحارب ، الى جانب الاساطيل الهولندية ، البرتغاليين في المياه الشرقية .

وكانت اول محاولة بها سفينتان انكليزيتان عام ١٦٠٩ م وصلت هاتا كاملة ، وعليهما شحنة قيادة (الكسندر شاربييه

لكن عدن لم تعد الاول لليمن ، لذلك ابج وهناك سمح لغورداين كان لديه اذن من القس

ولما وجد الانكليز وان بضائعهم المصدرة ميزان المدفوعات نقل مصر وغيرهم بأسعار ١٦١٠ م الاميرال (هنر سفن ، ثم توجه الى ائلة من الجنود الاتراك وثلاثين من بحارته بمهاجمة سفن مدليطور الاتراك .

وبعد ستة اسابيع الى اليمن . وفي تمكن من الهرب ، الشاطئ واخيرا و

لقد كان الاتر البحر الاحمر الى عليه ، وبالتالي على السفن الغربية من جده يشكل خط

وكانت اول محاولة للانكليز للاقتجار مع البحر الاحمر هي تلك التي قامت بها سفينتان انكليزيتان هما (الصعود) و (الرجاء الصالح) . ففي ابريل من عام ١٦٠٩م وصلت هاتان السفينتان الى عدن ، بعد رحلة شاقة استغرقت سنة واحدة ، وعليهما شحنة من الحديد والرصاص والصفيح والجوخ . وكانتا تعدان بقيادة (الكسندر شاربيه) . والوكيل التجاري فيهما هو (جون غورداين) .

لكن عدن لم تعد لها اهمية تجارية في تلك الفترة من الاحتلال التركي الاول لليمن ، لذلك ابحر شاربيه الى المخا ، التي كانت الميناء الرئيسي لليمن . وهناك سمح لغورداين ببيع بضائعه ، كما امر بعدم العودة الى اليمن الا اذا كان لديه اذن من القسطنطينية .

ولما وجد الانكليز ان اسعار صادراتهم ، تقل كثيرا عن اسعار وارداتهم ، وان بضائعهم المصدرة لم تكن لها سوق رائجة في الهند ، رأوا تغطية للعجز في ميزان المدفوعات نقل تجارتهم الشرقية والغربية الى المخا لبيعها على تجار مصر وغيرهم بأسعار مجزية . لذلك عادت شركة الهند الشرقية فأرسلت في ١٦١٠م الاميرال (هنري مدليتون) الى اليمن ، فوصل الى عدن على رأس ثلاث سفن ، ثم توجه الى المخا . وهناك هاجمته ورفاقه ، عند نزولهم الى الشاطئ ، ثلثة من الجنود الاتراك ، وقتلوا ثمانية منهم ، واخذوا مدليتون اسيرا مع أربعة وثلاثين من بحارته الى الباشا في صنعاء . وقام مائة وخمسون من العسكر بمهاجمة سفن مدليتون غير ان الهجوم صد بعد مجزرة رهينة بين الجنود الاتراك .

وبعد ستة اسابيع اطلق الباشا سراح مدليتون ورفاقه وأنذرهم بعدم العودة الى اليمن . وفي مدينة المخا وضع مدليتون تحت المراقبة ، غير انه تمكن من الهرب ، واللاحاق بسفينته ، ونجح بعد ذلك في اختطاف زملائه من الشاطئ واخيرا ودع المدينة بتحية حارة من قنابل مدافعه .

لقد كان الاتراك يخشون ان يؤدي تدخل الشركات الغربية في تجارة البحر الاحمر الى تحول التجارة فيه من ميناء جده الى ميناء آخر لا يسيطرون عليه ، وبالتالي يحرمون من دخل هذه التجارة . لذلك منعوا الملاحه على السفن الغربية الى الشمال من الموانئ اليمنية بحجة ان اقتراب المسيحيين من جده يشكل خطرا على الاماكن المقدسة في الحجاز .

وفي ١٦١٣ م وصلت أول سفينة هولندية الى عدن ، وهي السفينة (ناسو) التي ارسلها الحاكم الهولندي في (بننام) بالهند ، تحت قيادة (جان دون بروكه) ، ليستطلع مدى امكانيات التجارة مع الموانئ اليمنية . ولان الهولنديين كانوا حلفاء سلطان القسطنطينية ، فقد استقبل (بروكه) في عدن استقبالاً ودياً ، الا ان الباشا في صنعاء لم يسمح له بالاقامة في عدن ، فتوجه الى الشحر ، ميناء حضرموت الرئيسي آنذاك ، فاستقبله سلطانها ، الخاضع للاتراك ، استقبالاً يليق بحليف القسطنطينية .

وفي ميناء الشحر شاهد (بروكه) نحو اربعة عشر مركباً ، كما وصلت اثناء اقامته فيها سفن كثيرة من الهند وشرق افريقية والخليج العربي . وقد حصل (بروكه) من السلطان على اذن بالتجارة في الشحر . كما سمح له بترك اثنين او ثلاثة من رجاله ليتعلموا العربية الى حين عودته في الموسم التالي .

وفي ١٦١٦ م عاد (بروكه) الى الشحر على رأس سفن تحمل شحنة من المواد الغذائية للبيع . وفي هذه المرة توجه الى المخا ، فوجد في مرفئها حوالي ثلاثين مركباً . وشاهد في اسواقها : السلع العربية كالزجاج والصبر والصمغ والعنبر واللبان والفوه والبن وغيره . كما شاهد من السلع الشرقية : الزباد وخشب الصندل ، وجوز الطيب ، والقرنفل ، والدارصين ، والعاج ، والسكر ، والارز ، والخزف ، والحريز الصيني ، والانسجة القطنية ، والقنبار . ومن السلع التي كانت القواغل تجلبها من الشام : اقمشة دمشق (دامسكو) واقمشة البروكار التركي الموشى بالذهب ، والجوخ ، وسلع نورمبرغ . وشاهد القصدير والفضة الخام والجلد الموسكوفي . ودخلت الميناء اثناء اقامته اربعون سفينة من مختلف الجنسيات . وفي قصر حاكم المخا استقبل (بروكه) بالطبل والمزمار . وخلع عليه الحاكم حلة من الحرير الموشى بالذهب . وأخلي له ولرفاقه منزل خاص بهم . وخففت له الرسوم الجمركية الى ثلاثة في المائة مقابل خمسة عشر الى ستة عشر في المائة كانت تؤخذ من جميع التجار . العرب وغيرهم .

وبعد مضي شهر وصل كتاب من باشا صنعاء يأمر فيه رعاياه وحكامه ان يستقبلوا الهولنديين كما يستقبلونه هو ، وأمر قبطانه ان يرافق (بروكه) مع عشرين جندياً الى صنعاء .

ورغم الحفاوة التي استقبل بها الباشا (بروكه) الا انه لم يوافق على

(بروكه) بترك بعض رجاله في المخا . لأنه لم يأت بكتاب من القسطنطينية .
له أن المسلمين يخشون اقتراب المسيحيين من مكة .

وفي سنة ١٦١٨م حصلت شركة الهند الشرقية الهولندية على إذن من
قسطنطينية بالتجارة في الموانئ اليمنية فقط ، وعدم الاقتراب من جده .
وب على الانكليز أن يحصل منافسهم على هذا الإذن ، فاصطدموا
ولنديين في معركة بحرية في المياه اليمنية ، قتل فيها الوكيل التجاري
كليري (غورداين) .

ورغم المنافسة المبررة بين الانكليز والهولنديين إلا أن قواتهم كانت تتحد
وجه القوات البرتغالية وقد تم للانكليز والهولنديين وضع حد للسيطرة
برتغالية على البحار حين استولى الهولنديون في ١٦٢٢م على عدد كبير من
سفن البرتغالية .

وكان الهولنديون قد تعهدوا للاتراك في اليمن بعدم الاعتداء على المراكب
عربية وغيرها ، التي تسير في الخط الملاحي بين الهند والموانئ اليمنية .
لكن قيام بعض سفن (الديبل) الهندية بنقل السلع البرتغالية الى اليمن جعلت
لهولنديين يذقون عهدهم ، وينقضون على سفن (الديبل) ، مما اثار السخط
عندهم في اليمن ، فسجن حاكم المخا عددا منهم ، وتوقفت اعمال وكالتهم
لتجارية ذبها ، وهرب (بروكه) بعدما اذن له الحاكم بركوب البحر . واعدام
باشا صنعاء لتساهله مع الهولنديين .

ومن سنة ١٦٢٣ الى ١٦٢٨م قام الهولنديون بمحاولات ، لم يكتب لها
النجاح ، للأفراج عن اخوتهم المسجونين في المخا . وكانت آخر محاولة هي
تلك التي قام بها قبطان هولندي ، رأى على سبيل المجاملة ان يبتاع اربعين بالة
من البن اليمني . وكان البن السلعة الرئيسية الرائجة وقتئذ في المخا . إلا ان
محاويلته باءت ، كالمحاولات السابقة ، بالفشل .

وفي ١٦٢٣م وصل البن اليمني الى هولندا ، ومنذ هذا التاريخ بدأ
استعماله ينتشر في اوروبا . الى حد ان بلاد العرب اصبحت في نظر الغربيين
في القرن الثامن عشر ، بلاد البن ، واخذت المنافسة في تجارته تزداد حدة بين
شركات الهند الشرقية الاوروبية .

في ١٦٢٨م كان الحكم التركي يلفظ أنفاسه الأخيرة تحت ضربات الثورة
اليمنية . وما وافق سنة ١٦٣٠ حتى طرد الاتراك من اليمن شرطردة . وتولى
الحكم بعدهم الآثمة . وكان سلطان هؤلاء . كسلطان الاتراك ضعيفا في المناطق
البعيدة عن العاصمة صنعاء .

وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي امتلا المحيط الهندي بقراصنة
جاءوا من اوروبا يحدوهم الطمع في السلب والنهب . فراحوا يتعرضون
للمراكب العربية وغيرها ويقتلون وينهبون دونما رحمة . ففي سنة ١٠٦٠هـ
(١٦٥٠م) هاجمت سفينة غربية من نوع (قليوت) مركبا لاحد اهالي جيزان .
اسمه احمد نامس . يحمل حجاجا يبلغ عددهم مع البحارة حوالي مائة وتسعة
اشخاص . فقتل عدد كبير منهم واعطب المركب وجرح ربابه . ونهب ما فيه من
النقود والمواد الغذائية .

وتوجه القراصنة بعد ذلك الى جزيرة (جبل الصبايا) . فيما بين ذهبان
وحلي بن يعقوب . حيث مكثوا حوالي شهر ثم ابحروا الى (بيلول) . على
الساحل الارتيري .

ولما بلغ خبرهم حاكم المخا جهز سفنا وحشد فيها جنودا سرا . دون ان
يعلم بذلك احد من الاوروبيين الموجودين في المخا . فباغتوا القراصنة وهم
يجمعون الحطب على الساحل . فحالوا بينهم وبين الوصول الى سفينتهم .
وقتلوا عددا منهم واسروا الباقين .

وفي ١٠٧٠ او ١٠٧١هـ (١٦٥٩ - ١٦٦٠م) نشبت معركة بحرية بين
مسلمي المليبار وبين الهولنديين في الطريق بين الهند واليمن . انتصر فيها
المليباريون واخذوا كثيرا من الهولنديين اسرى . ثم اطلقوا سراحهم في المخا
بفدية قدرها اربعة الاف قطعة من الذهب الاحمر .

وفي السنة التالية هاجم الهولنديون سفينة مليبارية بجوار باب المندب .
واسروا عددا من المليباريين . ونزل الذين اطلق سراحهم الى ساحل ضباب
دونما طعام ولا ماء . وكان من بينهم نساء واطفال . ولما بلغ خبرهم حاكم
المخا ارسل جنودا وجمالا لنقلهم الى المخا . وقدم من كان في المخا من تجار
المليبار شكوى الى حاكم المخا . مطالبين بعدم السماح للسفن الهولندية
والانكليزية بالاقلع قبل سفن المسلمين . فأصدر الحاكم امرا بمنع المسيحيين



القليوت ، او البرشة .

b. A barshah or barca (bārchah) from the map of the Turkish admiral, Piri Ra'īs (cf. p. 134)

من بيع سلمهم قبل ان يبيع الملياريون وغيرهم من المسلمين ما لديهم من البضائع . ثم وضع حراسا على الهولنديين في المدينة . خشية ان يلحقوا بمركب لهم كبير من نوع (قليوت) او (البرشة) . وقدم الهولنديون التماسا بارسال وفد منهم الى الامام في صنعاء لشرح قضيتهم . فسمح لخمسة منهم بالسفر الى صنعاء . وعاد هؤلاء برسالة من الامير محمد بن الحسن يأمر فيها حاكم المخا باطلاق سراح الهولنديين . غير انهم تأخروا في طريق عودتهم الى المخا فانتشرت بين اهالي المخا اشاعة بانهم اغتيلوا او اعتنقوا الاسلام . وكان الحراس لا يسمحون الا لعشرة من الهولنديين بالخروج ، اما الباقون وعددهم اربعة وثلاثون شخصا فلم يكن يسمح لهم الا بالخروج الى السوق لشراء الطعام فقط . ولما يش هؤلاء من عودة زملائهم قذفوا بأنفسهم في البحر اثناء صلاة العشاء . وسبحوا الى سفينتهم . وكان الوالي قد أمر بأخذ الشراع والدفة والمرسة منه ، لكن الهولنديين تمكنوا من سرقة شراع ودفة وطعام من المراكب القريبة من (القليوت) ، وهربوا من الميناء . فأمر الوالي جنوده باللاحاق بهم ومنازلتهم في عرض البحر ، غير ان الريح كانت تهب ضد اتجاههم فلم يتمكنوا من اللحاق بهم .

وفي شعبان من عام ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ م) وصل الى المياه اليمنية ، القرصان (هوبرت هوجو) في (قليوت) اسمه (النسر الاسود) ، مجهزا بعدد كبير من المدافع ، فاستولى على عدد من المراكب العربية والهندية . وعندما ظهر امام المخا صالحه اهلها واصحاب المراكب الموجودة في الميناء بفدية قدرها الف وثمانمائة ريال . وكان والي المخا في صنعاء فأمر الامام ان يسرع بالعودة الى المخا ، ويستقرئ خبر القراصنة . ولما وصل الى المخا وجد الرعب والاضطراب منتشرا بين اهلها . وكان نائبه قد دخل مع القراصنة في مفاوضة مؤكدا لهم ان جميع مطالبهم ستجاب عند وصول الوالي . لكن القراصنة اشتطوا في مطالبهم عند وصول الوالي ، فرفض هذا ، حسب توجيهات الامام له الانعازن لاي شرط من شروطهم ، ولم يظهر لهم المذلة والخضوع ، حفاظا على كرامة الاسلام وهيئته .

ولما يش القراصنة من الحصول على ما يطلبون من نقود قبضوا على رسل الوالي ، واكلوهم بالحديد ، ثم مالوا الى سفينة للمسلمين خارج الميناء فنهبوا كل ما قدروا على حمله منها ثم احرقوها . فدعا الوالي اهالي المخا الى الجهاد المقدس ، ومنع الذين لبوا دعوته مكافأة سخية . وكانوا سبعين بحارا ونفرا من قبيلة المعازبة وخمسة وخمسين من الجنود . حشدتهم في مركب كبير وعدد

من السناييق . وجهاز المركب بمدفع وبارود وعدد من البنادق وكمية من الرصاص العربي ، بالإضافة الى كثير من الراد والماء .

ولما شاهدهم القراصنة تظاهروا بالخوف منهم وساروا امامهم الى جبل مضيق باب المندب ، حيث كمنوا بين جوانبه ، فمر بهم المسلمون ، معتقدين انهم لازالوا امامهم . وفوجئوا عندما نظروا فيما بعد الى خلفهم بالقراصنة يسيرون في اعقابهم بالقرب من الشاطئ ، ليحولوا بينه وبين مراكب المسلمين .

وأطلق القراصنة حوالى خمسين قذيفة من مدافعهم فلم تحدث ضررا بمراكب المسلمين . وأطلق المسلمون قذيفة من مدافعهم فأحدثت ثلثة في جانب (القليوت) فأسرع القراصنة الى سدها . ثم أطلق المسلمون قذيفة اخرى الا ان البارود - كما قال بعضهم - لم يحترق بالحجر (القذيفة) في الطرف الاسفل من أنبوبة المدفع بسبب حجم الحجر ، فانفجر المدفع وتحطم قطعا صغيرة ، فاستولى الفرع على البحارة فلادوا بالفرار . لكن الجنود وعددا قليلا من رجال القبائل صمدوا للقتال . واخذ رجل من الالهوم (زبرطانه) وأطلق منها قذيفة على القراصنة فحطمت جزءا من صاري المركب ، فتقهقروا حتى ظن كل من رآهم انهم قد ولوا الادبار . وبعد انسحابهم الى مسافة بعيدة عن مدى قذائف المسلمين اصلحوا التلف في الصاري ، ثم عادوا وأطلقوا عددا من مدافعهم دذعة واحدة فأحدثت ضررا بالغا بمراكب المسلمين فهرب منهم من استطاع الهرب الى الشاطئ وهلك الكثير منهم غرقا . واخذ القراصنة من المركب الكبير ما استطاعوا حمله ، ثم احرقوا ما تبقى منه ، كما احرقوا اثنين من المراكب الهندية واربعة سناييق .

وعند وصول خبر هذه المأساة الى والي المخا جهز حملة سارت على طريق الساحل ، فصادفت من سلم من المسلمين يكاد يهلك جوعا وعطشا . ثم حشد من تبقى لديه من الجنود وسار بهم صوب باب المندب ، حيث تمركز على الجبل ، ومكث هناك نحو عشرين يوما . الا ان القراصنة لم يظهروا مرة اخرى ، ولم يعلم الى اين اتجهوا * .

وفي منتصف القرن السابع عشر للميلاد ادى التنافس بين هولندا

وبريطانيا الى حرب بينهما في اوروبا . ففي ١٦٥٢م دمر الانكليز في معركة بحرية الاسطول الهولندي ، في بحر الشمال . ونشبت الحرب بينهما من جديد في ١٦٥٤ الا ان الانكليز هم المنتصرون فيها ايضا .

ورغم التنافس المرير والحروب الطاحنة بين الدول الغربية فانها سرعان ما تحالفت ضد العرب في اواخر القرن السابع عشر ، عندما ازدادت غارات العرب البحرية على السفن الغربية ، فاتفقت كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا على القيام بعمل موحد ضد العرب ، فأخذت فرنسا على عاتقها مهمة حراسة السفن الغربية في الخليج العربي ، وهولندا في البحر الاحمر ، وبريطانيا في بحار الهند الجنوبية .

وفي مطلع القرن الثامن عشر دخلت فرنسا مجال المنافسة التجارية في البحر الاحمر ، فعقدت معاهدة مع الامام المهدي ، في ١٧٠٦م . وكانت فرنسا قد أسست - أسوة بهولندا وبريطانيا - « شركة الهند الشرقية الفرنسية » ، في جزيرة مدغشقر ، وفتحت فرعاً لها في (بند شيري) باقليم مدراس بالهند . وقد أدى تدخل فرنسا في تجارة البحر الاحمر الى تصالح بريطانيا وهولندا وتحالفهما ضدها .

وفي عام ١٧٢٨م أعلن الشيخ فضل بن علي ، نائب امام صنعاء في لحج ، تمرده على التبعية لصنعاء ، واستطاع بمساعدة قبائل يافع ان يستولي على عدن . وتعهده بأن يكون ايراد ميناء عدن بالتناوب بينه وبين أهل يافع ، لكنه نقض هذا العهد في ١٧٣٥م وطرد من عدن زميليه : سيف اليافعي ، وفيصل بن علي السلامي . وبعد هذا التاريخ بسبع سنوات اغتال اهل يافع السلطان فضل بن علي ، فخلفه ابنه عبد الكريم فضل .

وفي ١٧٣٨م قصفت المدفعية الفرنسية مدينة المخا بسبب خلاف بين الامام الحسين بن القاسم وبين شركة الهند الشرقية الفرنسية .

ولم يدم طويلا مرور التجارة البحرية بين الشرق والغرب ، عن طريق رأس الرجاء الصالح . فبالإضافة الى الوقت الطويل ، الذي كان يستغرقه قطع هذه الطريق ، بواسطة السفن الشراعية . . هناك الكثير من المصاعب والاضطرابات التي كانت تواجه هذه السفن وتؤدي بالكثير منها . لذلك رأينا ، فيما تقدم ، الشركات الاحتكارية الغربية تلجأ الى مزاحمة التجار العرب والهنود وغيرهم ، في نقل السلع الشرقية وبيعها في ميناء المخا والبصرة حيث تباع لتجار مصر والشام ، الذين كانوا بدورهم يبيعونها الى البندقيين وغيرهم من تجار اقطار اوروبى الجنوبية .

وبقيت جدة محرمة على المسيحيين الغربيين ، للأسباب التي سبق ذكرها ، حتى عام ١٧٦٦ م ، حين أعلن علي بك ، أحد سلاطين الماليك ، استقلال مصر ، وخروجها عن التبعية للقسطنطينية ، وفتح السويس امام الملاحة الغربية . وكتب الى حاكم البنغال Warren Hasting رسالة يصف فيها مزايا التجارة المباشرة بين الهند ومصر فأرسل له حاكم البنغال هدية وردا يعده فيه بأن سفينة بريطانية سترسل في السنة التالية الى مصر . ودفعت المنافسة علي بك الى تخفيض الرسوم الجمركية للتجار الانكليز الى ثمانية في المائة مقابل اربعة عشر في المائة ، التي كانت تركيا تأخذها على التجارة في جدة . الا ان الانكليز لم يتحمسوا لهذا العرض خشية ان يغضب ذلك القسطنطينية ، وبالتالي يضر بمصالح بريطانيا التجارية في الشرق الادنى .

وكان جورج بالدوين ، الذي عين فيما بعد قنصلا لبريطانيا في مصر ، من اكبر انصار استعمال طريق مصر - البحر الاحمر في المواصلات بين الهند وأوروبى . وللتدليل على اهمية هذه الطريق راح يرسل البريد بين أوروبى والهند،

عبر مصر والبحر الأحمر . فاختصر الوقت الى حوالي النصف من الوقت الذي كانت تستغرقه طريق حلب - الخليج العربي .

وعارضت تركيا مرور البريد والبضائع عبر مصر فاضطر الانكليز الى الغاء الخدمة البريدية . واقفال تجارتهم مع مصر واستدعاء بالدوين .

في هذه الاثناء كان التنافس بين بريطانيا وفرنسا قد تطور الى مجابهة بالسلح في اوربية ونشوب حرب طويلة بينهما استمرت من ١٧٥٦ حتى ١٧٦٣ م . وهي الحرب التي عرفت بحرب السبع سنوات . وامكن لبالدوين ان يبرهن . عند نشوب هذه الحرب . على فائدة طريق مصر - البحر الاحمر - بان ارسل عليها خبر اشتعال الحرب الى الهند . بحيث استطاعت القوات البريطانية هناك مهاجمة (بند شيري) والاستيلاء على مقر « شركة الهند الشرقية الفرنسية » . وشل النشاط الفرنسي في الهند . قبل ان يعلم الفرنسيون في الهند وشرق افريقية بنشوب الحرب في اوربية .

وكان النشاط البريطاني في مصر آنذاك من اهم الاسباب التي أدت الى حدة الصراع والتنافس بين الدولتين . اذ رأى الفرنسيون في هذا النشاط محاولة من قبل الانكليز للحصول على موطىء قدم في مصر . ثم تحويل التجارة من جدة الى السويس . والسيطرة على طريق التجارة البحرية بين الهند ومصر . لذلك اخذوا يرسمون الخطط ويعدون العدة لطرد الانكليز من اقطار الشرق الاوسط . ولم يكن احتلال نابليون لمصر في ١٧٩٨ م . هو في حد ذاته الهدف الاساسي لفرنسا . ولكنه كان خطوة اولى في سبيل القضاء على النفوذ البريطاني في منطقة الشرق الاوسط . والسيطرة على طريق التجارة بين الهند والسويس .

ومن اجل هذا الهدف رأى نابليون شق قناة بين خليج السويس والبحر الابيض المتوسط . لربط البحر الاحمر بالبحر المتوسط . غير ان مهندسيه اخطأوا التقدير . فقالوا ان الفرق بين مستوى البحرين يزيد على ثلاثين قدما . فتخلى نابليون عن مشروع حفر القناة .

وعندما غزا نابليون مصر اسرع الانكليز الى احتلال جزيرة ميون (بريم) ليقفلوا البحر الاحمر في وجه الفرنسيين . ويسدوا الطريق البحرية بين مصر والهند . الا ان عدم وجود المياه العذبة في الجزيرة ورداءة الطقس جعلت القوات البريطانية المكونة من ثلاثمائة جندي تترك الجزيرة وتلجأ الى عدن .

ومنذ هذا التاريخ بدأت بريطانيا توجه انظارها الى عدن ، لما تتمتع به من موقع فريد يتحكم في مدخل البحر الاحمر وطريق الملاحة بين السويس والهند .

وفي سنة ١٨٠٢ م عقدت مع السلطان احمد عبد الكريم ، سلطان لحج وعدن ، معاهدة صداقة وتجارة ، تنص على فتح ميناء عدن لسلع شركة الهند الشرقية البريطانية وحددت فيها الرسوم الجمركية . ونعهد السلطان بعدم فرض رسوم اضافية على وقوف السفن في الميناء « والا تعرض للخسارة وضياع صداقة الامة البريطانية وقطع العلاقات التجارية معها » (١) .

غير ان هذه المعاهدة لم تؤد الى انتعاش ميناء عدن من جديد ، ومزاحمة ميناء المخا . بدليل نلمسه في منظومة الملاح اليمني المشهور سعيد بن سالم باطايح ، الذي عاصر السلطان احمد عبد الكريم : قال (٢) :

والعقرب الآن مجراك الى سيلان
تشوف شمسان بندر عدن سلطانيه

.....

والتير نجمك والبر يبقى بعلمك
باعطيك قسّمك من ما معي من هدية

فبعد ان اخذ نجم (العقرب) في مجراه الى (رأس سيلان) ، الى الغرب من قرية (شقرة) ، نجده قد اخذ نجمي (التير) و (الجوزاء) في مجراه راسا الى باب المندب . ونفهم من هذا ان المراكب العربية لم تكن في ايام باطايح تعرج على ميناء عدن .

في سنة ١٨٢٠م قصفت قطع من الاسطول البريطاني مدينة المخا ، انتقاما لما حدث في سنة ١٨١٧ من هجوم من قبل الجنود الامامية على دار المقيم البريطاني في المخا واهانة احد موظفيها الانكليز .

(١) ملوك شبه جزيرة العرب ، ه . يعقوب ، ترجمة احمد المضواحي ، ص ١٨ .

(٢) الرفيق النافع على دروب منظومتي باطايح ، محمد ع . قادر بامطرف ص ٨٧-٨٨ .

وبعد فشل أول رحلة لأول سفينة بخارية من بريطانيا إلى الهند ، عن طريق رأس الرجاء الصالح ، في ١٨٢٧ م - ونجاح الرحلة التي قامت بها سفينة بخارية ، بنيت في بمباي ، من الهند إلى السويس ، ازداد اهتمام بريطانيا بـ عدن .

لقد أدرك الإنكليز أن طريق البواخر ، بين أوروبا والشرق ستكون عبر البحر الأحمر وخليج السويس ، لذلك سعى اللورد بالمستون إلى عقد معاهدة تجارية مع السلطان عبد الحميد ، تنازل بموجبها لبريطانيا عن عدن ، التي لا سيطرة لتركيا عليها - ولما رفض سلطان لحج وعدن تسليم ميناء عدن وقلعة صيرة للانكليز في ١٨٢٧ م هدده المبعوث البريطاني ميتشيل ادوارد باغنولد قائلا أن بريطانيا سوف تبذل المئات من الجنود ومئات الآلاف من النقود للعودة إلى عدن - وأنها سوف تقدم التوسلات والتهديدات من أجل الشيء الذي قدم لها هديه بدون مقابل (٢) .

في ١٨٠٤ م أعلن الوهابيون ثورتهم المذهبية ، وسيطروا على نجد والحجاز وأجزاء من اليمن فأمرت تركيا واليهما في مصر محمد علي باشا بمحاربة الوهابيين . وبعد عدة معارك بين المصريين والوهابيين تغلبت القوات المصرية بقيادة إبراهيم بن محمد علي باشا على الوهابيين ، واستولت في عام ١٨١٢ م على الحجاز ، ثم زحفت إلى اليمن ، فخشي الإنكليز أن يتقدم المصريون جنوبا حتى يصلوا إلى عدن ، وبذلك يسيطرون على بابي البحر الأحمر الشمالي والجنوبي ، فأسرعوا إلى احتلال عدن بالقوة في سنة ١٨١٩ م .

وأخطر هينس محمد علي باشا باستيلائه على عدن فأجابه محمد علي باشا : « لقد أخذتم ما كنت أطمع وأسعى للحصول عليه منذ عدة سنين بدون جدوى . . وهي العين التي لليمن (٤) » .

وبطلب من بريطانيا أرغمت تركيا محمد علي على سحب قواته من اليمن ، وتسليم موانئ تهامة إلى الشريف حسين بن علي بن حيدر ، حاكم (أبو عريش) مقابل خراج سنوي مقداره تسعون ألف ريال .

وتدهور ميناء المخا في عهد شريف (أبو عريش) بسبب أساءته معاملته التجار . وكان يفكر في إغلاق مضيق باب المندب في وجه السفن الغربية . إلا أن

(٣) ملوك شبه جزيرة العرب ، هـ . يعقوب ترجمة أحمد المضواحي ، ص ١٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٦ .

حكمه لتهامة لم يدم طويلا ، ففي ١٨٨٩ أرسلت تركيا اسطولا وقوات برية ، فاستولت على الحديدية والمخا واتسحب شريف (ابو عريش) الى بلاده .

في هذه الاثناء راحت فرنسا توجه انظارها الى الساحل الافريقي المطل على مضيق باب المندب ، فجاءت الاوامر من بريطانيا الى هينس في عدن بان يتخذ كافة التدابير لضمان مصالح بريطانيا التجارية والسياسية في المنطقة . ولما ذهبت بعثة بريطانية استطلاعية الى ساحل زيلع ، ثار امام صنعاء ضد تدخل بريطانيا في هذا الساحل ، ذلك ان زيلع كانت اسميا تابعة لامام صنعاء (٥) .

وفي الوقت الذي بدأ فيه نجم ميناء المخا في الافول ، اخذ نجم ميناء عدن في الصعود ، من جديد . وعادت المراكب الى التردد عليها من مختلف الاقطار . وعادت قوافل الابل الطويلة الى نقل سلع الشرق والغرب بينها وبين اعماق اليمن .

وفي الحرب التركية - الادريسية قام اسطول ايطاليا ، حليفة الادريسي وعدوة تركيا ، بضرب الحديدية والمخا والشيخ سعيد وفرض حصارا على جميع الموانئ التهامية باستثناء تلك التي تقع تحت سيطرة الادريسي ، مما أدى الى شل حركة التجارة البحرية بينها وبين الموانئ الاخرى .

وفي ١٩١٢ م عرضت المانيا على تركيا شراء ميناء المخا لتقيم فيه مستودعا للفحم لبواخرها ، الا ان هذا العرض لم يكتب له النجاح .

ولما لم يستسلم الاتراك في الحديدية للانكليز الذين قاموا باسم الحلفاء بمهمة اخراج الاتراك من اليمن عند اعلان الهدنة التي انتهت الحرب العالمية الاولى ، تعرضت الحديدية لقصف شديد من مدافع الاسطول البريطاني ، دمر عددا كبيرا من منازلها وقتل الكثير من أهلها . وهرب من بقي على قيد الحياة الى الجبال . وظلت الحديدية بعد ذلك خاملة الذكر حتى نهاية العهد الامامي في اليمن .

المشراع اليمني في ايامه الاخيرة

بعد فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩ م ، وقيام بواخر الشركات الرأسمالية الاستعمارية الغربية ، بنقل تجارة الشرق الى الغرب مباشرة وبالعكس ، حرمت اليمن وغيرها من الاقطار العربية من الدخل الذي كانت تحصل عليه من مرور هذه التجارة فوق اراضيها ومياها . وحرم العرب وغيرهم من ريع الوساطة التجارية بين الشرق والغرب . تلك الوساطة التي ظلت بأيديهم منذ ما قبل التاريخ .

ونتيجة للتطور الصناعي في دول اوروبية تغيرت نوعية السلع الغربية ، وتضخم انتاجها ، فكان من الضروري لتسويقها واستمرار انتاجها من وجود اسواق كافية لها ، ووجود معين لا ينضب من المواد الخام . لذلك راحت هذه الدول تتسابق الى بسط سلطانها على اقطار آسية وافريقية وامريكا الشمالية والجنوبية من اجل استغلال ثرواتها الطبيعية واحتكار التجارة فيها .

ورغم ان تجارة العرب البحرية لم تعد تتجاوز حاجة الاسواق المحلية في بلاد العرب وشرق افريقية ، فان العرب ظلوا يمحرون الى زنجبار ، وممباسا ، ودار السلام ، وجزر القمر . ولو لم يحرم المستعمرون البرتغاليون على المراكب العربية دخول موانئ موزمبيق لرأيانهم يرحلون - كما كانوا من قبل - الى سفالة في موزمبيق . كما ظلوا يجرّون الى الملبار وغيرها من بلدان ساحل الهند الغربي .

وفي ١٩٢٩ م وجد الملاح والرحالة آلان فاليارس ، المراكب اليمنية لا زالت تقلع الى زنجبار وممباسا وجيزان . وحوالي هذا التاريخ - كما اخبرني احد الملاحين اليمنيين المسنين - جرى سباق للمراكب الشراعية ، من مختلف

الجنسيات ، في بمباي ، فاز فيه المركب الشعري (الجاب) بقصب السبق .

وبعد انتقال ميناء عدن من (صيرة) الى (التواهي) ، او (الطواحي) كما كانت تعرف من قبل ، خصص مرسى (معلا) او (مع الله) - الاسم القديم لها - لمرسى المراكب الشراعية . وقد وجد فاليارس في ١٩٢٩ ، المراكب العربية تملأ مرسى المعلا ، « والى جانبها بحارتها العرب الذين ما زالوا يبحرون على متنها » (١) .

وعلى امتداد الشاطئ شاهد اثني عشر مركبا ، يقوم بحارتها باصلاحها او يطلونها بالقار . اما المراكب التي اشرف العمال على الانتهاء من بنائها فكانت تنتصب بين اكوام الاخشاب المستوردة ، من شطر اليمن الشمالي

وفي حوض بناء السفن بالكلأ شاهد بناء السفن « يشغلون في بناء مركبين من طراز السنبوق » . وقال ان العامل الحضرمي يحب ان يزخرف المركب او القارب الذي يصنعه . وقد لاحظ ان مقدمات القوارب التي رآها في الميناء قد صبغت ورسمت عليها خطوط متوازية « وزوايا ونجوم وأهلة بألوان حمراء وخضراء وزرقاء » ونقشت عليها آيات قرآنية . كما لاحظ على جوانب كثير من القوارب نوافذ وهمية صبغت بمختلف الالوان .

وفي الميناء شاهد كثيرا من المراكب المختلفة الانواع ، من بينها عدد من المراكب الصغيرة القادمة من (سيحوت) وغيرها من موانئ شاطئ المهرة . وقد قال له (حامد) ، ربان المركب الكويتي الذي سافر عليه الى شرق افريقية ، ان مراكب المهرة الصغيرة تمتاز بالسرعة ، وانها رغم صغرها تبحر الى زنجبار .

لكن بعد نحو خمسة عشر عاما من رحلة فاليارس هذه ، حدث تطور جديد في المراكب العربية الشراعية ، ذلك انها بدأت تسير بمحركات الديزل الى جانب الشراع عندما يكون الهواء مناسباً ، وبالمحركات فقط عندما يتوقف الهواء او يكون معاكسا لاتجاهها .

وحتى قوارب الصيد اصبحت اليوم جميعها في اليمن الديمقراطية ، تسير بالمحركات بدلا من القلوع الصغيرة في الماضي .

(١) ابناء السندباد / آلان فاليارس ، ترجمة قدرى قلجى .

وفي صوماليا
صفائح الحديد . وه
قريباً .

ولا زالت صن
التوسع في مصايد
الصيد الكبيرة .

وفي اليمن ال
الموانئ . ولدى
الصفيرة .

وفي شطر
مبنى الحديد ليس



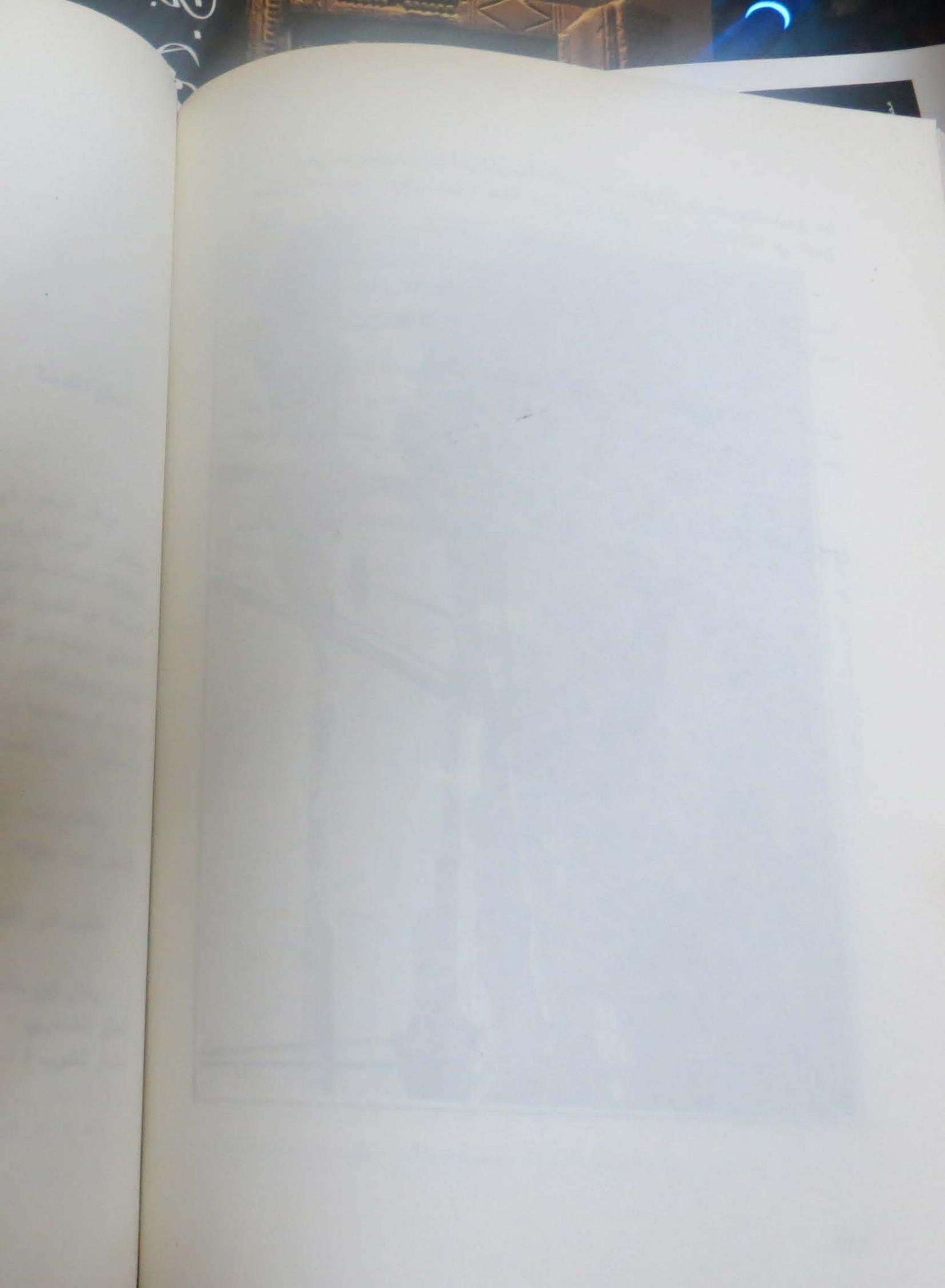
الراكب الشراعية في موسى المعلا .

وفي صوماليا بدأت أحواض بناء السفن تصنع قوارب في حجم السنبوق من صفائح الحديد . وهي خطوة طيبة نرجو لها التطور . وأن نرى مثلها في اليمن قريبا .

ولا زالت صناعة المراكب الشراعية قائمة في اليمن . وقد دعت حركة التوسع في مصايد الأسماك في اليمن الديمقراطية الى التوسع في بناء قوارب الصيد الكبيرة .

وفي اليمن الديمقراطية أيضا تبذل الجهود لتطوير أحواض السفن وخدمات الموانئ . ولدى شركة أحواض السفن الآن حوض عائِم لتزيم البواخر الصغيرة .

وفي شطر اليمن الشمالي دعا التوسع في تجارة الواردات الى توسيع ميناء الحديدة ليستقبل أكبر عدد ممكن من البواخر .



(٧)

السلع اليمنية

١ - السلع المقدسة :

موطن البخور في
سنحان ، الى الشرق
الحافظة السادسة من
البحر من الشرق الى
الاماكن ، يبلغ نحو ثلث
الخلي وديان تكسو
وتوجد في بعضها ين
الشمالية ، أما المنحد

وكانت هذه ال
الشجر غريا يعرفان

انهب الى الش

وقال ابن خلد

الغبر الشحري
(ثمار القلوب) :

.....

البخور (اللبان)

موطن البخور في بلاد العرب هو المنطقة التي تشمل الهضبة الممتدة من جبال سنحان ، الى الشرق من ظفار حتى جبال المهرة المطلّة على ساحل سيحوت ، في المحافظة السادسة من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . ويبلغ امتداد هذه الهضبة من الشرق الى الغرب نحو مائتين وخمسين ميلا ، وارتفاعها ، في بعض الأماكن ، يبلغ نحو ثلاثة آلاف قدما ، وتنحدر منها الى الساحل وصحراء الربع الخالي وديان تكسو معظمها ، لاسيما الجنوبية منها ، الاعشاب والاشجار البرية ، وتوجد في بعضها ينابيع صغيرة . وأجود اللبان هو ما يجمع من السفوح الشمالية ، أما المنحدرات الجنوبية فلبانها رديء .

وكانت هذه الهضبة والشريط الساحلي الممتد من مرباط شرقا الى ميناء الشحر غربا يعرفان من قبل بأرض الشحر . قال الشاعر :

الا تجد تمرا ولبانا

انهب الى الشحر ودع عمانا

وقال ابن خلدون في (العبر) : « وفي هذه البلاد يوجد اللبان وفي ساحله العنبر الشحري ... وببلاد الشحر مدينة مرباط وظفار » . وقال الثعالبي في (ثمار القلوب) : « عنبر الشحر يضرب به المثل » . قال الشاعر :

ولو كنت عطرا كنت من عنبر الشحر

واللبان الذي يحمل الى الافاق منها يجلب « . وقال صاحب (تساج
العروس) يصف شجرة البخور : « شجيرة شوكية لا تسو اكثر من ذراعين لها
ورق مثل ورق الآس . ولا يكون اللبان الا بالشجر من اليمن ومنابت شجرة
الجبال » . وقال الاصمعي : « اربعة قد حلات الدنيا ولا تكون الا في اليمن
« الورس » والكندر (اللبان) ، والخطر ، والعقيق » .

وعندما زار صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) قنا ، ميناء
مملكة حضرموت الرئيسي ، شاهد قواغل الايل والقوارب والارماث تنقل اللبان
من داخل حضرموت وسواحلها الى ميناء قنا . وسمى ملك حضرموت (ملك
بلاد اللبان) . وقال ان جزيرة سقطرى تابعة لحضرموت . وفي سقطرى توجد
ايضا اشجار اللبان .

ومع ان الجانب الافريقي ، حول مضيق باب المندب وخليج عدن كان ولا
يزال ينتج اللبان الا ان تجارته كانت بيد العرب الجنوبيين . ولأن هؤلاء كانوا
- كما يبدو - حريصين على كتمان اسرار تجارتهم ومصادرهم فقد اعتقد المصريون
والعبرانيون وغيرهم أن بلاد العرب هي وحدها التي تنتج البخور وغيره من السلع
المقدسة . فعندما زار هيرودس مصر وجد المصريين يشيرون الى جبال بلاد
العرب ، الى الشرق من مصر ، على انها موطن البخور . وقد رأينا من قبل ان
التوراة والكتب الكلاسيكية تذكر البخور كسلعة عربية تحملها قواغل سبأ ضمن
السلع العربية الثمينة الاخرى الى بلاد الشام .

واقدم اشارة الى البخور هي تلك التي جاءت في النقش الذي يتحدث عن
رحلة السفن التي أرسلها الملك (ساحورع) (حوالي منتصف الالف الثالثة قبل
الميلاد) الى بلاد (بنت) لجلب البخور وغيره من السلع الشرقية . ولا يعقل ان
تكون هذه الرحلة هي الرحلة الاولى للسفن المصرية الى (بنت) ، اذ لا بد ان
تسبقها رحلات يعرف المصريون خلالها السواحل الجنوبية للبحر الاحمر وسواحل
خليج عدن ، والطرق الامينة اليها .

وعلى السفوح الشمالية لجبال بلاد المهرة المطلة على الربع الخالي عثر على
فؤوس من حجر اليشب Jade ، يعتقد أنها ترجع الى العصر الحجري الحديث
(النيوليتي) (١) .

واذا صح هذا والرأي القائل ان حجر اليشب لا يوجد في بلاد العرب ،
فانهما يدلان على ان المنطقة التي يزرع فيها اللبان كانت أهلة بالسكان في العصر



• ورق زهر اللبان •

المجدي الحديث ، وانها
البلاد العربية يستورد من

كانت الشعوب في
الطوب نظرة تقديس ،
هذه المواد (الارض المقدسة

وكان معظم البخور
اقام رمسيس الثالث بن
وكثير من كتابات المسند
يقدمانها لآلهتهم . و
عام عشرات الاطنان ،
خارج المعابد . ومن ه
الرجل وامراته كانا ،
مبشرة يفوح منها الب
هذا ، في اليمن . قال
ان تتبخر . ولكن هير

كانت المواد المقدسة
بعضهم ما كان يشتري
الواحد بما قيمته ما
(نيرون) (٥٤ - ٨
ضخامة الاموال المقدسة
الامبراطورية الرومانية

وقد شارك في
البخور من بين الس

ورغم شهرة
يعقل ان بلاد الشام
او مئات الاطنان ،
بالغ حينما قال ان
البخور ، اي حوا
التي كانت تستهلك



اشجار البخور في سقطرى *

الحجري الحديث ، وانها كانت في هذا التاريخ المبكر على اتصال ببلد ما خارج
البلاد العربية يستورد منه مثل هذه القووس .

كانت الشعوب في عصور الوثنية تنظر الى البخور والمر والصبر ومختلف
الطيوب نظرة تقديس ، حتى ان قدماء المصريين كانوا يسمون الارض التي تنتج
هذه المواد (الارض المقدسة) او (ارض الاله) .

وكان معظم البخور يحرق قربانا للالهة ، ففي القرن الثاني عشر قبل الميلاد
اقام رمسيس الثالث بناية خاصة للبخور الذي كان يحرقه قربانا للاله (امون) .
وكثير من كتابات المسند يتحدث عن البخور والمر الذين كان قدماء المصريين
يقدمانها لآلهتهم . وكانت المعابد في العصور الوثنية تستغرق من البخور كل
عام عشرات الاطنان ، عدا ما كان يحرق منه في العادات والمناسبات الاخرى
خارج المعابد . ومن هذه العادات ، لدى الآشوريين ، ما ذكره هيرودتس من ان
الرجل وامراته كانا ، عقب الجماع ، يجلس كل منهما امام الآخر ، وتحت كل منهما
مبخرة يفوح منها البخور . والعجيب اننا نجد ما يشبه هذه العادة ، حتى يومنا
هذا ، في اليمن . فالزوجة لا تنام مع زوجها ، فيما عدا ايام الحيض ، الا بعد
ان تتبخر . ولكن هيرودتس قال ان الآشوريين أخذوا هذه العادة عن العرب .

كانت المواد المقدسة في العالم القديم تضارع الذهب في قيمتها . وقد قدر
بعضهم ما كان يشتريه العالم الروماني وحده من البخور والطيوب ، في العام
الواحد بما قيمته مائة مليون من الدراهم (٢) . وتدل شكوى بليني من اسراف
(نبرون) (٥٤ - ٦٨ ق م) في حرق البخور في جنازة زوجته (بوييا) على
ضخامة الاموال التي ستكلفها الكمية ، التي احرقها من البخور ، خزينة
الامبراطورية الرومانية .

وقد شارك في الاتجار بالبخور الملوك والكهنة . وفي عهد البطالمة كان
البخور من بين السلع الثمينة التي وضعت تحت رقابة الحكومة واشرفها (٣) .

ورغم شهرة بلاد العرب لدى شعوب العالم القديم بانتاج البخور ، الا انه لا
يقل ان بلاد الشحر هي وحدها البلاد التي كانت تزود العالم القديم بعشرات
او مئات الاطنان من البخور التي يحتاج اليها كل عام . واذا كان هيرودتس قد
بالغ حينما قال ان العرب كانوا يهدون الى دارا الاول ، كل عام ، ألف وزنة من
البخور ، اي حوالي خمسة وعشرين طنا ، الا ان هذا يشير الى ضخامة الكميات
التي كانت تستهلك من البخور كل عام . والى جانب ما كانت تنتجه بلاد الشحر

وسقطري من البخر
من بلاد الدناكل

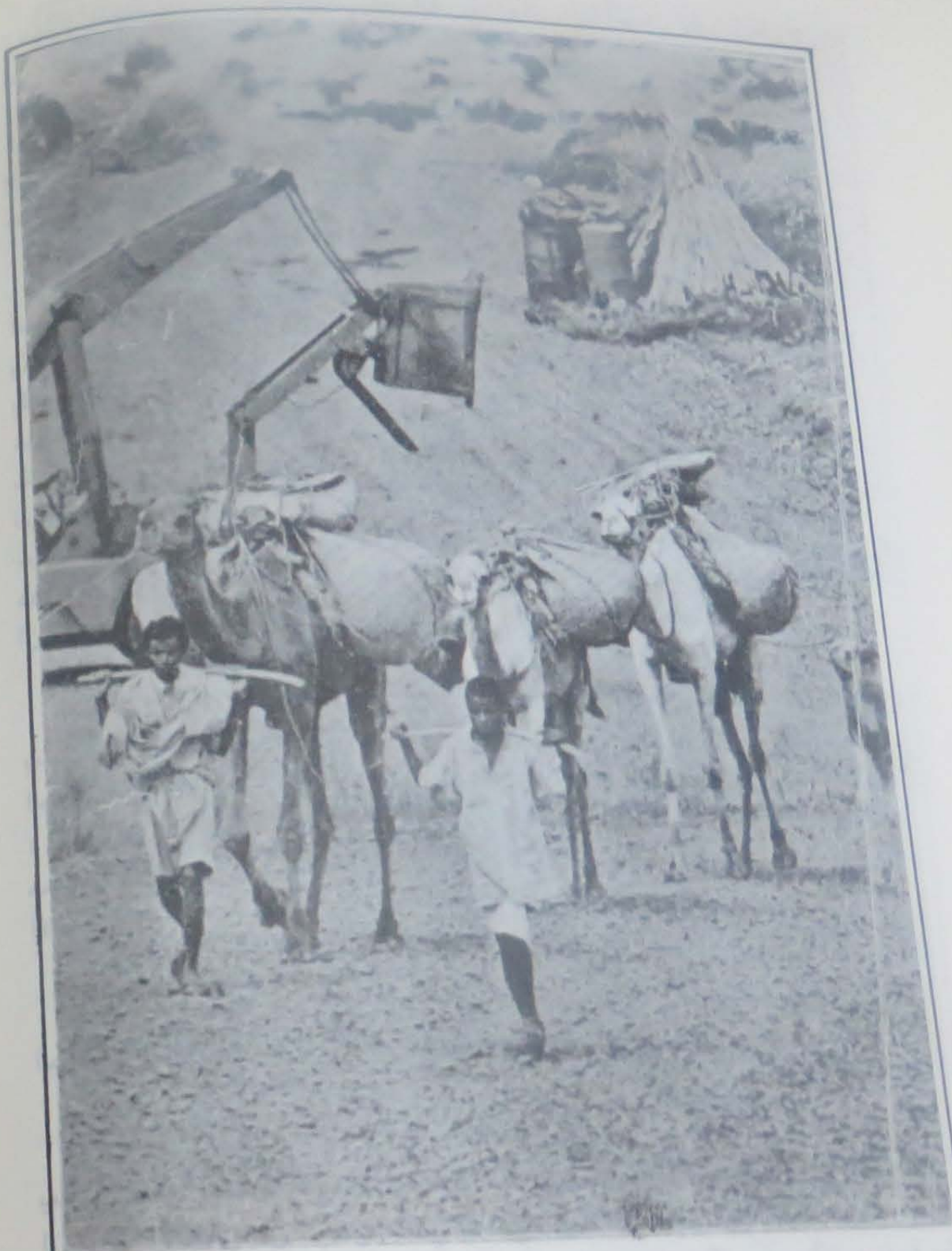
لقد ظلت سم
ردال الوثنية .
فانحصرت زراعت

لكن بخور
بخور الامس ، لا
صغيرة سوداء
الطيب ، والعفص
الباروط يستخرج
الشكل تلتصق بظ
في احد فصول
ثم يرفعه بسرعة

وقد اشتهر
(تبنو) ، كما جا
حواليه . وبين
احراج من الاشج

وهناك صنق
بكسارة الصندل
الخليط في الماء

وفي العصور
كانت تسمى احيا
وهو اجود انواع



قافلة تحمل اللبن والمر من اقليم تيفري ، (بلاد الدناكل)

وسقطري من البخور كان العرب يجلبون من بلاد الصومال واقليم تيغري Tigre
من بلاد الدناكل الكثير من البخور .

لقد ظلت سوق البخور محتفظة برواجها ، على مدى عشرات القرون ، قبل
زوال الوثنية . اما اليوم فان تجارته لا تزيد أهمية عن تجارة الفحم الخشبي .
فانحصرت زراعته في منطقة صغيرة تقع الى الشمال من ظفار .

لكن بخور اليوم ، في اليمن ، غير بخور الامس . والعجيب ان (اللبان) ،
بخور الامس ، لا يدخل في صنع بخور اليوم ، فبخور اليوم عبارة عن أقراص
صغيرة سوداء مصنوعة من خليط من : الند او (دقة العود) والعنبر ، ومسك
الطيب ، والعفص ، والسكر ، مع (ظفري) وعطر ثقيل . والعفص ثمر شجرة
البابونج يستخرج منه الحبر والصبغ . اما الظفري فبقشرة غشائية مستطيلة
الشكل تلتصق بظهر دودة بحرية تأتي في اسراب كثيفة الى سواحل بلاد العرب
في احد فصول السنة ، فيصطادها الامالي بأن يلقي احدثهم رداءه على السرب
ثم يرفعه بسرعة خاطفة عن الماء .

وقد اشتهرت لحج بعمل افخر البخور والطيوب ، وهي دلتا وادي تبين او
(تبينو) ، كما جاء في نصوص المسند ، وبه عرفت قديما القبائل التي كانت تسكن
حواليه . وبين عدن ولحج سهل فسيح كانت تغطي معظمه ، حتى عهد قريب ،
احراج من الاشجار الشوكية .

وهناك صنف آخر من البخور يسمى (صندلية) ، يستبدل في عمله الند
بكسارة الصندل ويضاف اليها مسك الطيب ، والعفص والظفري . ويوضع هذا
الخليط في الماء بعد غليه مع السكر .

وفي العصور القديمة اشتهرت جزيرة سقطري او (جزيرة السعادة) - كما
كانت تسمى احيانا - بانتاج الند وهو صنف من البخور ، وبالصبر السقطري
وهو اجود انواع الصبر .

المر والصبر

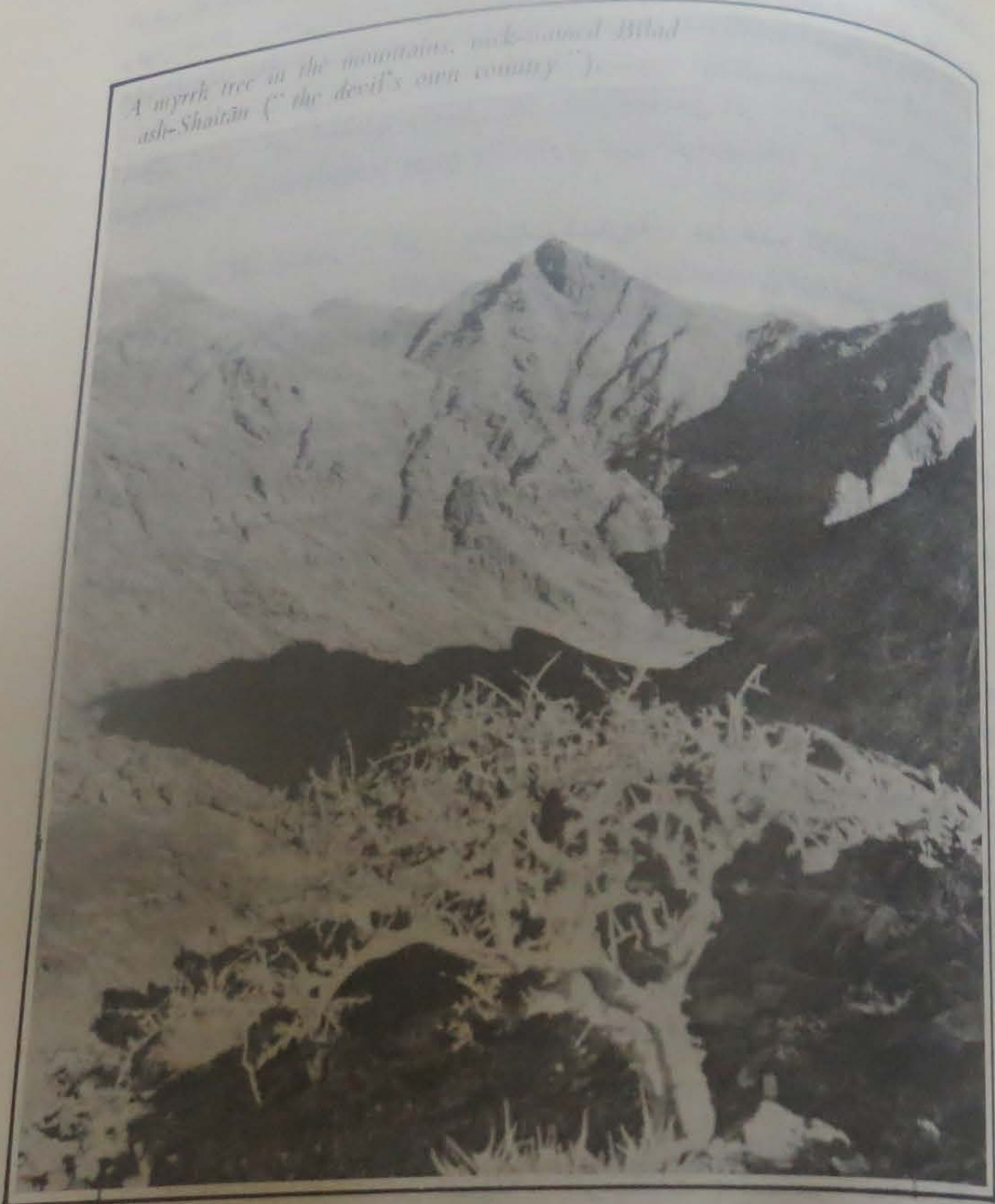
يقول البرت هيل في كتابه (النبات الاقتصادي) : « المر الحلو : نوع عربي ، وهو المعروف منذ القدم ، وقد استعمل قرونا طويلة في البخور والعطـُـور والتحنيط . وكان من المنتجات الهامة في عصور التوراة ، حينما كان يضارع الذهب في قيمته . وما زال يستعمل في العطور والبخور ، وفي المراسم الدينية ، ويدخل في تركيب بخور المعابد الصينية » .

ووصف هيرودتس عمليات التحنيط لدى قدماء المصريين ، فقال انه بعد استخراج دماغ الميت من فتحتي الانف بواسطة خطاف وبعض العقاقير تشق البطن بسكين من حجر الصوان ويستخرج كل ما بداخلها ، ثم ينظف التجويف كله ويغسل أولا بالخمير المستخرج من النخيل Palm Wine ثم بنقيع التوابل المسحوقة ، وبعد ذلك يملأ التجويف بخليط من المر وخيار شنبر وكل مادة عطرة عدا البخور (اللبان) ، ثم يخيظ الشقان ، وتغطي الجثة ، ثم توضع في (النطرون) Natrom لمدة لا تزيد عن سبعين يوما ، وعند انتهاء هذه المدة تغسل الجثة وتلف من الرأس الى القدم بقطع مستطيلة من نسيج الكتان تلتطخ جوانبها السفلى بالصمغ ، ثم تسلم الجثة بعد ذلك الى اصحابها فيضعونها في تابوت خشبي . وهذا النوع من التحنيط ، كما قال هيرودتس - عالي الثمن ولا يقدر عليه الا الأغنياء .

وهناك اسطورة عن العنقاء سمعها هيرودتس في مصر هي ان العنقاء اذا توفي احد والديها تقوم بوضع جثته في كتلة من المر ، ثم تحملها من بلاد العرب الى معبد الشمس في مصر حيث تدفنها فيه .

وكان المر الى جانب استعماله في المراسم الدينية ودخوله في تركيب الدهن

*A myrrh tree in the mountains, rock-named Bilad
ash-Shaitān ("the devil's own country").*



شجرة مر في جبال (بلاد الشيطان) •

اليمن الديمقراطية الشعبية نجد اشجار المر تنمو بكثرة مذهشة على طول الشواطئ وعروق التلال . حتى ان المرء ليتساءل كيف كان الجيانيون وغيرهم ممن عاش في هذه المنطقة يتقاسمون محصول المر فيما بينهم . . هل كانت اشجاره ملكا للدولة . . ام انها كانت موزعة على افراد القبيلة ، بحيث ان كل أسرة منها كان لها اشجار شعب معين تستغلها وتعيش على منتوجها من المر . . ام انها كانت ملكا عاما للقبيلة ، وان منتوجها يوزع بالتساوي بين افرادها .

وقد توقف استخراج المر ، بكميات تجارية ، من هذه الآلاف المتناثرة بين الاعشاب والاشجار البرية الاخرى من شجيرات المر بعد ان انخفض سعره وقل الاقبال على شرائه في الاسواق .

لكن الاهالي لم ينسوا بعد طريقة استخراجه التي انحدرت اليهم من اجدادهم عبر الآلاف من السنين . فتراهم يضربون ساق الشجرة ثلاث ضربات بالفأس ، في مواضع متباعدة ، فيسيل من الشقوق التي احدثها الفأس سائل لزج يتركونه لمدة شهر او اقل حتى يتصلب عند اسفل الشق .

ورغم ان سعر المر كان في عصور الوثنية يضاهي سعر الذهب فان هذه المنطقة وغيرها من المناطق التي تنمو فيها شجيرات المر في اليمن خالية من الآثار الحضارية التي يمكن الاستدلال بها على ان من سلف من اهلها عاش عيشة ترف وغناء ، مما يؤكد ان سعر المر كان رخيصا في موطنه ، وان قيمته كانت تزداد بازدياد بعد الشقة بينه وبين موطنه ، نتيجة للضرائب التي كانت تفرضها على تجارته الحكومات التي تمر بأراضيها القوافل التجارية ، عدا اجرة النقل وأرباح التجار .

وشجيرة المر لا تسمو اكثر من ستة اقدام ، لها فروع شوكية وأوراق صغيرة بيضوية الشكل تتساقط في فصل الخريف .

اما الصبر او المقر فنبات من فصيلة (الزنبقيات) يستخرج من اوراقه اللحمية سائل صمغي مر الطعم يستعمل في الطب والاسهال ، وهو ينمو في كثير من اقطار آسية وافريقية .

وأجود انواع الصبر صبر جزيرة سقطرى ويعرف (بالصبر السقطرى) ، وهو احمر اللون . وقد تاجر العرب الجنوبيون بالصبر وبيعوا منه اموالا عظيمة .

القيس يستعمل كمعالج للجروح وبعض الأمراض ، فقد ذكر هيرودتس ان الفرس
اجبروا في احدى معاركهم البحرية مع اليونان ، بشجاعة يوناني كاد جسمه يمزق
اريا ومر يقاوم جنودهم ، قبل ان يقع في الاسر ، وانهم بذلوا كل ما وسعهم لانقاذ
حياته فاضمدوا جراحه بضمائد من الكتان بعد ان وضعوا عليها المر .

وقال صاحب (القاموس المحيط) ان المر يستعمل كدواء نافع للسعال
ولسع العقرب وديدان الامعاء .

وقال (بليني) ان المر الذي اشتهر لدى اليونان والرومان بالمر المعيني ،
كان في الحقيقة غلة الحضرموتيين والجبانين Gebbanitae وان ملك الجبانين
كان يأخذ لنفسه ربع غلة المر ، وله وحده حق بيع القرقة ، وانه لم يكن يسمح
بتصدير اللبان الا بعد دفع ضريبة الى هذا الملك . وأكبر مدن الجبانين مدينة
Nagia ومرفؤهم (عقيليه) Ocilia . وقال ايضا ان الجبانين كانوا
يسيطرون على تجارة شرق افريقية البحرية وبوغاز باب المندب .

وقد عد (بليني) الشعب الجباني من شعوب بلاد العرب الجنوبية . وذهب
(جلزر) الى انهم طائفة من القتبانيين كانت تسكن المنطقة المجاورة لمضيق باب
المندب (٤) .

وهناك من ينسب الجبانين الى (جبأ) ، وهي مدينة قال الهمداني انها تقع
في « فجوة بين جبل صبر وجبل ذخرفي وادي ضباب » .

وذهب آخرون الى انهم كانوا طائفة من المعينيين واستدلوا بورود اسم
(جبان) مقرونا باسم (معين) في الكتابات المعينية ، وبقرائن تشير الى اشتراكهم
مع المعينيين في التجارة .

لكن اذا نظرنا الى المناطق التي لا تزال شجيرات المرتمو فيها ، نموا طبيعيا ،
في اليمن ، نجدها في المناطق الغربية من مملكة حضرموت القديمة ، وفي المناطق
الجبلية المطلة على الشريط الساحلي الممتد من عدن الى باب المندب ، مما يجعلنا
نتأكد ان الجبانين كانوا يسكنون - كما قال جلزر - المناطق المجاورة لباب
المندب .

وفي المركز الثالث من المديرية الجنوبية من المحافظة الثانية في جمهورية

ولا يزال للمر والصبر في انحاء كثيرة من اليمن شيء من القدمية القديمة.
فعلى مهد الوليد تعلق الام قطعة صغيرة صلبة مرمية الشكل مصنوعة من خليط
من المر والصبر و (الحية السوداء) ، لحماية الطفل من (الجن والارواح
الشريرة) . وفي الفترة التي تظل فيها جمجمة الطفل رخوة ، تذيب الام بين حين
 وآخر شيئاً من القطعة في الماء تلتخ به الجمجمة . كما تجرعه لنا تذيب فيه
 شيئاً منها .

وفي اليمن يغرس الصبر على قبور الموتى وهي عادة ربما كان لها جذور
تمتد الى ايام المر والصبر الزاهرة . بل ان المهاجرين اليمنيين نقلوا هذه العادة
 الى مهاجرهم ، ففي جزر القمر تجد الجبانات مغطاة بغابة من نبات الصبر .

وطريقة استخراج الصبر لدى سكان الجبال المطلة على ساحل عدن والساحل
 الغربي منها حتى باب المندب هي :

١ - تقطع الاوراق اللحمية الى قطع صغيرة وتترك فوق اناء بحيث يسيل
 السائل الصمغي الى داخل الاناء .

٢ - يوضع الاناء على النار ويحرك السائل بعضاً حتى يصبح كالعصيدة
 ثم يترك في الشمس ليتصلب .

تقول التوراة
 كريم وبالذهب .

وأرسل (كرم
 الطيوب ذات الرائحة

وتذكر الكتب
 وان غاباتهم غنية
 الروائح العطرية
 الساحل . وقال اس
 اسماء Larimum

وقد بقيت الي
 الاسلام ، فأسماء
 كان يبعث بها اليها
 في قوارير وتزنها
 كتاب* .

وقال المقرئ
 جبما كان يعباً بعد

* جواد ، الفصل

الطيوب والعطور

تقول التوراة ان السبئيين كانوا يتاجرون بأفخر انواع الطيب و بكل حجر كريم وبالذهب .

وأرسل (كرب ايل) ملك سبأ هدية الى سنحاريب ملك اشور شمكت اجود الطيوب ذات الرائحة الزكية وأغلى انواع الاحجار الكريمة .

وتذكر الكتب الكلاسيكية ان السبئيين كانوا يصنعون العطور ويتاجرون بها . وان غاباتهم غنية بالاشجار التي تستخرج من ازهارها العطور الفاخرة . وان الروائح العطرية التي تنبعث من هذه الاشجار تصل الى السفن القريبة من الساحل . وقال استرابون ان أعظم تجارة السبئيين ربما كان نوعا من العطور اسماء Larimum .

وقد بقيت اليمن على شهرتها بصناعة الطيوب والعطور حتى بعد ظهور الاسلام ، فأسماء بنت مخربة ، ام ابي جهل ، كانت تبيع في مكة العطور التي كان يبعث بها اليها من اليمن ابنها عبدالله بن ابي ربيعة . فكانت تضع العطور في قوارير وتزنها ، فتبيع نقدا او دينا . فاذا باعت دينا كتبت مقدار الدين في كتاب* .

وقال المقرئزي المتوفي سنة ٤٢١ هـ في (الازمنة والامكنة) ان طيب الخلق جميعا كان يعبا بعدن ، « ولم يكن يحسن صنعه احد من غير العرب ، حتى ان

* جواد ، الفصل ، ج ٢٩٣/٧ . عن ابن سعد ، طبقات (٢٢٠/٨) .

تجار البحر لقرع بالطيب المعمول بعدن ، تفخر به في الهند والهند ، ويرتحل
به تجار البر الى فارس والروم . وان الناس على ذلك (الى اليوم) ما يحسن
عمله الا اهل الاسلام بعدن (٥) .

وفي الجاهلية كانت الطيوب والعمطور اهم السلع التي تعرض في سوق
عدن (٦) . وفي مطلع القرن السابع الهجري شيد الملك العزيز طفتكين بن ايوب
قيصرية جديدة للعطارين في عدن . كلها دكاكين ، ولها باب يعلق بالليل . وقال
ابن مجاور ان اهالي عدن يعتمدون في معيشتهم على بيع العمطور والقنبار . وقد
امتدت عمارة عدن في ايامه الى ما كان يعرف بباب عدن .

وكان عطر (انعائية) أشهر اصناف العمطور اليمنية واغلاها في الجاهلية
والاسلام ، وأروج ما كان يعرض من السلع في اسواق صنعاء وعدن والجند .
ويعمل هذا العطر من العنبر ودهن بذور شجر البان والمسك .

« دخل عبدالله بن جعفر على معاوية ورائحة الطيب تفوح منه ، فقال له
معاوية : ما طيبك يا عبد الله ؟ فقال : « مسك وعنبر جمع بينهما دهن بان . فقال
معاوية : غالية (٧) » .

« وجاء العباس بن محمد الى الرشيد يوما ببرنية غالية ، فوضعها بين يديه ،
ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية صنعتها لك بيدي ، اختير عنبرها من بحر
عمان ومسكها من مفاوز التبت وبأنها من ثغر تهامة . فالفضائل كلها مجموعة
فيها (٨) » .

والبرنية اناء واسع الفم من خزف او زجاج سميك .

وفي مطلع القرن الرابع للميلاد وجد ابن بطوطة اهالي جزر (ذببة المهل)
« يفتسلون مرتين في اليوم لشدة الحر بها ، وكثرة العرق ، ويكثرون من الادهان
العطرية كالصندلية ونحوها ، ويتلطخون بالغالية المجلوبة من مقدشو » .

ونظم ابو محمد سعد بن سعييد المنجوي (القرن السابع للهجرة) الابنيات
التالية في عمل الغالية . قال :

هي الطيب يغني طيبها عن تبخر

مثاقيل مسك ثم مثقال عنبر

وغالية مما الملوك عنوا بها

ثلاث اواق دهنها وثلاثة

أما حبذا الطيب للمتعطر

وبك فمتقلان والعود نصفه

والعنبر يعثر عليه حتى يومنا هذا في كثير من المواضع على ساحل بلاد
العرب الجنوبي . وقد اشتهر منه في الماضي العنبر الشحري . وهو من السلع
النبيلة في الماضي والحاضر . ورد في (الاغانى) ان الاعشى مدح سلامة ذا
البشر . احد تبايعه اليمن بقصيدة مطلعها :

رأيت سلامة ذا فائش
إذا زاره الضيف حيا وبش

فأعطاه كرشا مدبوغة مملوءة عنبرا ، فباعها الاعشى بثلاثمائة ناقصة
مصرام .

وكانت الضرائب التي تؤخذ على العنبر تعتبر من اهم الموارد المالية للدولة
السيطرة على السواحل التي يوجد بها العنبر . قال عمارة اليمني : « رأيت مبلغ
ارتفاع اعمال ابن زياد ، بعد تقاصرها ، وذلك في سنة ٢٦٦ هـ من الدنانير الف
الف عشريه ، خارجا عن ضرائبه على (سلع) الهند من الاعواد المختلفة والمسك
والكافور وما شابه ذلك ، وخارجا عن ضرائب العنبر ، ومعادن اللؤلؤ ، وعن
ضرائب على جزيرة دهلك (٩) » .

والعنبر انواع منه الابيض والدخني والاسود . وأجوده الدخني . وموسم
العنبر يكون في الفصول الباردة . وكانت حكومات ساحل بلاد العرب الجنوبي
نمين لالتقاط العنبر من شواطئها اشخاصا لهم خبرة ودراية بهذا العمل يقال لهم
(الجرايين) ، يعطى لهم مقابل ذلك جزء مما جمعه من العنبر في الشهر . ولا
يجوز لاحد غيرهم التقاط العنبر من الساحل .

أما شجر البان فينمو في تهامة ، وهو من النباتات التي تصبر على الجذب
وقلة الامطار . ويستخرج من بذوره دهن زكي الرائحة .

ومن الدهون العطرية دهن (الكاذي) . والكاذي شجرة لها فروع ورقية
على رأسها ، وأوراقها مستطيلة كالسيف لها اسنان شوكية على حديها . وتنمو
لكل فرع من فروعها ، في ايام معلومة ، زهرة سنبلية بيضاء لها اغلفة كثيرة من
الاوراق المسننة . وعندما تتفتح الازهار تحمل الريح اريجها العطر الى مسافة
بعيدة . ويجد المرء صعوبة في العثور على الزهرة ، اذ ان كثافة الاوراق
الشارية تخفيها عن الانظار . وتوضع الازهار في الدهن المراد اكسابه رائحة

(الكاثية) ، وتبقى فيه حتى تصبح رائحته من رائحتها ، وتتم اشجار الكاذي
في تهامة اليمن الغربية والجنوبية ، في الادوية الخصية .

واشتهر في الجاهلية ضرب من الطيب يجمع بزعران يقال له العبير . قال
ابو قلابة الهنلي :

ردع العبير بجلدها فكانه ريط عقاق في المضان مضرس

وفي لحج ، البلد الوحيد المشهور في اليمن ، في الوقت الحاضر ، بصناعة
البخور والطيب ، يعمل الطيب الجيد من خليط من : المحلب الابيض ، بسباس
الطيب ، جوز الطيب ، زهر الكافور ، هيل ، قرنفل ، ظفري ، مسك الطيب .

وهناك صنف ادنى منه جودة يدخل في عمله المحلب الاسود بدلا من
الابيض .

واذا طحن الخليط جافا ، بدون ماء ، سمي (ذريرة) ، والذريرة لغة
صنف من الطيب مجموع من اخلاط ، وبه فسر حديث عائشة « طيب رسول
الله لاحرامه بذريرة » .

ويمتاز الطيب اللحي برائحته الزكية التي تبقى تفوح من الثوب الملطخ به ،
عدة ايام وتصل الى مسافة بعيدة .

قال صاحب (القاموس
المعرب) في قولهم الزباد
الطيب . وهو رشع يجتم
ويستل ذلك الرشع المجتم
وتوجد قطة الزباد الآ
التي سقطرى في « اقفا
على غدة عند دبره ، او ي
وهو مادة سوداء اللون
استخراج الزباد يطلق سر
مطادونها بعدها مرة اخ
ويعمل من الزباد عم
المرض .



قال صاحب (القاموس المحيط) : « الزباد طيب . وغسل الفقهاء
الطوبىون في قولهم الزباد دابة يجلب منها الطيب ، وانما الدابة السنور والزباد
الطيب . وهو رشح يجتمع تحت ذنبها على المخرج ، فتعسك وتمنع الاضطراب .
ويصل ذلك الرشح المجتمع هناك بليطة او خرقة . »

وتوجد قطة الزباد الآن في سقطرى والحبشة وهي قطة متوحشة، يصطادها
الاهلي سقطرى في « اقفاص بها تمر ، ويستخرجون الزباد بالضغط الشديد
على غدة عند دبره ، او باستعمال المشروط لجرح غدته حتى يتدفق منها الزباد .
وهو مادة سوداء اللون زفرة الرائحة يخالطها طيب كطيب المسك ... وبعد
استخراج الزباد يطلق سراح القطة غتهرب الى مزارع النخيل حيث تمر فقرة
بمطادونها بعدها مرة اخرى لاستخراج الزباد ثانية .. وهكذا ، (*)»

ويعمل من الزباد عطر يقال له (عطر زبادي) كما يعالج به بعض
الامراض .



سنور الزباد في سقطرى .

٢ - ذهب سبا :

اختلف الباحثون حول موطن ذهب سبا ، فالبعض منهم ذهب الى ان السبثيين كانوا يحصلون على الذهب من مناجم لهم في الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية ، واستدل بأدلة منها ان جزءا من ساحل بلاد العرب الغربي ، وهو الجزء الممتد من عتود شمالا حتى القنفذة جنوبا ، كان يعرف منذ القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي بـ (ساحل الذهب) . وان المصادر اليونانية والرومانية والعربية تؤكد وجود الذهب في هذه المنطقة . كما تؤكد آثار المناجم والادوات التي عثرت عليها (شركة التعدين السعودية العربية) في هذه المناجم ، وهي ادوات استعملت في استخراج الذهب وتصفيته (١) .

ورأى البعض الآخر ان ذهب بلاد العرب كان قليلا لا يكفي لتصديره الى الخارج ، وان السبثيين كانوا يحصلون على الذهب من مكان ما في الهند او افريقية .

وقد رأينا من قبل ان بعض العلماء يعتقد ان العرب الجنوبيين قد وصلوا الى موزمبيق وروديسيا قبل عهد الملك سليمان بزمن طويل وانهم سيطروا على المنطقة التي كانت تزخر بمناجم الذهب ، وكانت لهم صلات تجارية بالمفراغة . ومن البراهين التي استدلو بها ان الدم والملاح الاسيوية تبدو واضحة في بعض القبائل الروديسية .

ويجوز القول ان السبثيين كانوا يتاجرون بالذهب المستخرج من الاراضي التابعة لهم في غربي الجزيرة العربية ، وان هذا الذهب لم يكن بكميات كبيرة كتلك الكمية التي يذكر سفر الملوك ان ملكة سبا قد أهدتها الى سليمان ، والتي يشك بعض الباحثين في صحتها . كما يحتمل ان العرب الجنوبيين قد وصلوا الى موزمبيق وروديسيا قبل عهد سبا وأنهم كانوا يجلبون الذهب من هناك .

ان ما الذي يمنعهم عن الوصول الى هناك والى اقصى مكان على ساحل
شرق افريقية في الجنوب او في الشمال ، ما داموا قد عرفوا الجزء المجاور لهم
منه منذ بداية عهدهم بالاطواف والارماث ، وما دامت طبيعة بلادهم الجافة
تدفعهم دائما الى البحث عن اراض جديدة يجدون فيها متنسعا للعيش في
سعة .

اما مناجم الذهب في بلاد العرب فقد ظل بعضها يستغل الى ما بعد
ظهور الاسلام كمنجم بني سليم الذي اقطعه الرسول (بلال بن الحارث بن
بجير) . ويعتقد البعض ان هذا المنجم كان في الموضع الذي يعرف اليوم بـ
(مهد الذهب) بوادي العقيق بين مكة ويثرب . وفي ايام الرسول (ص) ظهر
الذهب بغزارة في صعاد من ديار بني عقيل ، حتى قال فيه الرسول : « مطرت
ارض عقيل » . واشتهرت (بيشه) ايضا بغزارة التبر في منجمها ، ومسي في
وادي بيشه بعسير . وتورد المصادر العربية اسماء مناجم كثيرة في الحجاز
وعسير واليمن واليمامة . لكن من المحتمل ان بعض هذه المناجم كان صغيرا
كالتي التي عثر عليه بجوار قرية (واسط) بتهامة اليمن في عام ٨٧٥ هـ ، في
ايام المجاهد شمس الدين علي بن طاهر ، أحد ملوك بني طاهر . وهو اخصر
ما عثر عليه من الذهب في اليمن - كما اشرنا من قبل - وقد اباح الملك المجاهد
ما وجد منه فأقبل عليه الناس من كل أرجاء اليمن ، فاستنفد في وقت قصير .
رسمي النقد الذهبي الذي ضرب من هذا الذهب بالذهب الاشرفي .

وكان الناس يستخلصون الذهب من الشوائب العالقة به باذابته على نار
قوية ، واذا عثر على الذهب نقيا خالصا من الشوائب سمي (العقار) وهو -
كما قال صاحب (تاج العروس) - « ذهب ينبت نباتا » لا يحتاج الى نار لاذابته .
ولكن مثل هذا الذهب نادرا ما يعثر عليه .

٣ - الاحجار الكريمة :

« وعند وضع الاساس - أنا ندى أوشى - ل (بيت اكيثو) قدمت الهدية التي امر ملك سبأ باحضارها ، وهي عبارة عن احجار كريمة وروائح واحجار . ومن هذه الهدية وضعت أنا الاحجار والروائح في أساسه ، أساس (بيت اكيثو) ... أنا - فضة وذهبا ، وحجر (ساندو) وحجر (اوكنو) وحجر (خللو) وحجر (مشجر) وحجر (أودش) وحجر (اودشش) ، وسكبت ماء النهر ، (٢) .

هذا جزء من نقش مسماري آشوري ، عثر عليه في أساس (بيت اكيثو) ، الذي امر ببنائه سنحاريب ملك آشور . وفيه يقول المهندس (ندى أوشى) الذي أشرف على بناء (بيت اكيثو) انه وضع في اساسه الهدية التي بعث بها (كريبي ايلو) ملك سبأ الى سنحاريب بمناسبة بناء هذا الحصن او المعبد . وكانت الهدية انواعا كثيرة من الاحجار الكريمة وطيبا وفضة وذهبا (٣) .

واذا كان الباحثون قد اختلفوا في الرأي - كما رأينا - حول موطن ذهب سبأ ، فانهم قد اتفقوا على ان الاحجار الكريمة التي كانت قوافل سبأ تحملها الى اسواق الشام كانت تستخرج من جبال اليمن . وان هذه الجبال لا تزال تزخر بها حتى الآن .

ومن المحتمل ان اصناف الحجارة الكريمة التي ذكرتها المصادر العربية مثل كتاب (الاكليل) و (تاج العروس) وغيرهما ، هي نفس الاصناف التي كان السبئيون يتاجرون بها ، وهي نفس الاصناف التي اهداها (كريبي ايلو) الى (سنحاريب) .

وفيما يلي اشهر هذه الاصناف :

اشتهرت اليمن بعقيق
من (مقرا) ، على
الاصفر العتيق
من جبل شبام .
وهو منيع جدا وفيه
ويرتفع منه العقيق
وهناك عقيق
العقيق الفصوص

كان عيون الوحش
اشتهرت (ظفار) با
على رأي البعض . أما
باليمن ، كما قال انه كان
يستخرج من (صهر) و
ومن الجزع نوع يقال له
ساوي . ومنه (الموشى)
الاختام ، وقد يحفر عليه
في بيت امرئ القيس -
جزع اي مقطع بالوان



العقيق اليماني او الحجر اليماني

اشتهرت اليمن بعقيقها ، واجوده - كما جاء في تاج العروس - السدي
من (مقرا) ، على بعد مرحلة من صنعاء - وقال الهمداني ان العقيق
الاصفر العتيق ياتيان من (الهان) ، اما ابن مجاور فذكر ان العقيق
يخرج من جبل شبام - وقال نجم الدين عمارة اليماني في تاريخه يصف جبل
شباب - وهو منبع جدا وفيه قرى ومزارع وجامع كبير - وهو عمل مستقل
ويرتفع منه العقيق والجزع وهي حجارة معساة فاذا عملت ظهر
هناك عقيق كان يؤتى به من الشحر ومن شهارة وقساس .
ويقتطع من العقيق الفصوص والاختام .

الجزع او الخرز اليماني

كان عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب
اشتهرت (ظفار) بالجزع ، فليل (جزع ظفاري) . وهي (ظفار الحقل)
على رأي البعض . اما صاحب تاج العروس فقال انها (ظفار أسد) ، مدينة
باليمن ، كما قال انه كان لعائشة عقد من جزع ظفار . وقال الهمداني ان الجزع
يقتطع من (صهر) و (سعوان) و (عذيمة) في مخلاف خولان ومن (نقم) .
من الجزع نوع يقال له (العشاري) نسبة الى وادي عشار ، وهو حجر
ساوي . ومنه (الموشى) و (المسير) . ويتخذ من الجزع فصوص توضع في
الاختام ، وقد يحفر عليها كتابة او صورة . وتشبه العين بالجزع - كما جاء
في بيت امرئ القيس - لان فيه سوادا وبياضا . وقيل انما سمي جزعا لانه
يجزع اي مقطع بالوان مختلفة .



احجار كريمة سبئية .

البقراني

قال صاحب تاج العروس ان البقراني حجر يستخرج من (بقران) ، في
مخلاف بني نجيد من اليمن . وقال الهمداني ان المثلث الالوان منه يشتري
باسعار عالية ، وهو ان يكون ذا وجه احمر فوق عرق ابيض فوق عرق اسود .
وهو يستخرج من جبال انس .

١ - اللؤلؤ :

كانت صناعة اللؤلؤ
في الماضي . وكان الاعراب
اليمنيين اشتغالهم بها .

فقد جاء في الاغاني
الخليفة العباسي المهدي ،
ارغ بشار سأل يزيدي قائلاً
للؤلؤ : فضحك المهدي وقا
يروي شيخاً أعمى قا

وكان صيد اللؤلؤ يج
البحر في الجزء الجنوبي م
التي اشتهرت كمفاوص للؤل
فقد ذكر ابن خرد
المالك) ، مفاوص اللؤلؤ
السايلية التي كان الحاج
بفصد هذه المنطقة حينما ق
للؤلؤ) . واشتهرت به
وغيره (كوري) المجاور

وكانت سفن الفوص
ونزل الى المياه المجاورة

السعواني

ينسب الى وادي (سعوان) بالقرب من صنعاء ، وهو ، كما قال الهمداني ،
فص اسود فيه عرق ابيض . ويوجد ايضا في (شهارة) و (عيشان) من بلد
حاشد ، الى جنب (هنوم) وظليمة و (الجمش) من شرق همدان .



٤ - اللؤلؤ :

كانت صناعة اللؤلؤ من بين الصناعات والحرف التي اشتهر بها اليمنيون في الماضي . وكان الاعراب لازدراؤهم واحتقارهم لكل صنعة وحرفة يعيبون على اليمنيين اشتغالهم بها .

فقد جاء في الاغاني ان يزيد بن منصور الحميري دخل ذات يوم على الخليفة العباسي المهدي ، وبشار بن برد واقفا بين يديه ينشد شعرا ، فلما فرغ بشار سألته يزيد قائلا : ما صناعتك يا شيخ ؟ فأجابه بشار ساخرا : اثقب اللؤلؤ . فضحك المهدي وقال لبشار : اتقنادر على خالي . قال : وما اصنع . يرى شيخا اعمى قائما ينشد الخليفة مديحا . . ويقول له ما صناعتك .

وكان صيد اللؤلؤ يجري منذ العصور القديمة وحتى زمن قريب في اماكن كثيرة في الجزء الجنوبي من البحر الاحمر ، وفي خليج عدن . ومن بين الاماكن التي اشتهرت كمفاوص للؤلؤ المياه القريبة من (خور العميرة) الى الغرب من عدن . فقد ذكر ابن خرداذبه ، المتوفي سنة (٣٠٠ هـ) ، في كتابه (المسالك) ، مفاوص اللؤلؤ ، كمرحلة تأتي بعد مرحلة (عدن أبين) ، في الطريق الساحلية التي كان الحاج يسلكها من عمان الى مكة . ولعل المرزوقي كان صاد هذه المنطقة حينما قال في كتابه (الازمنة والامكنة) ان بعدن (مفاوص اللؤلؤ) . واشتهرت به ايضا عدة جزر منها جزر فرسان وكرمان ودهلك (جزيرة (كوري) المجاورة لجزيرة سقطرى .

وكانت سفن الغوص اليمنية تتجاوز ، في موسم الغوص ، المياه اليمنية الى المياه المجاورة لم ساحل ارتيريا وصوماليا .

وكانت الضرائب التي تؤخذ على (معادن اللؤلؤ) - كما ذكر عمارة
اليمني في تاريخه - أيام ملوك بني نجاح لا تقل عن ضرائب العنبر والمسك
والكاغور .

ويبدو ان تجارة اللؤلؤ لم تندثر في اليمن الا منذ ظهور لؤلؤ اليابان
الصناعي . قامين الريحاني يخبرنا في كتابه (ملوك العرب) انه شاهد من بين
السلع المعروضة في (ميدي) - احد الموانئ اليمنية القديمة - اللؤلؤ ودمه
السمسم الذي كانوا يعصرونه بين حجارة تديرها الجمال .

هـ - بروك اليمن
كانت اليمن في ع
بين الاقطار التي قامت
والسحول ، وعدن ، وش
الكثيرة تنتج مختلف اد
ذلك من ملابس العصور

وكان ملوك اليمن
التي لا يلبسها غير الملوك
ويقال للمنسج بلف
اما الحائك فيقال له (انا)

وليس ملوك اليمن
صناعة الثياب النفيسة
نسيج الكتان ، كما احت
على منوال البطالة الح
الانواع الفاخرة من نس
الاسلام (٥) .

وكانت المناسج ف
والصوفية ومعظم هذه
العربية وشرق افريقية

وحتى قبل نحو
الطنن (البلدي) ، ش

٥ - برود اليمن :

كانت اليمن في عصور الجاهلية ، وفي القرون الاولى من الاسلام من بين الاقطار التي قامت فيها صناعة نسيجية راقية ناجحة . ففي المعافر ، والسحول ، وعدن ، وشرعب ، وقدم ، وحضرموت وغيرها ، كانت المناسج الكثيرة تنتج مختلف اصناف البرود والحلل والرياط والمقطعات ، وما الى ذلك من ملابس العصور القديمة .

وكان للملك اليمن دور للنسيج احتكرت نسج انواع من الثياب الفاخرة التي لا يلبسها غير الملوك والكهنة ورؤساء العشائر والاعنياء . ويقال للمنسج بلغة المسند (تعمت) ، والمنسج الملكي (تعمت ملكن) ، اما الحائك فيقال له (انم) (٤) .

وليس ملوك اليمن القدماء وحدهم الذين امتلكوا معامل للنسيج واحتكروا صناعة الثياب النفيسة ، فالبطالة ايضا احتكروا في مصر انواعا معينة من نسيج الكتان ، كما احتكروا تجارة البخور وغيره من السلع المقدسة . ونسجت على منوال البطالة الحكومات التي تعاقبت من بعدهم ، لا سيما ، في احتكار الانواع الفاخرة من نسيج الكتان . وظل هذا الاحتكار معروفا في مصر الى الاسلام (٥) .

وكانت المناسج في اليمن تصنع الثياب القطنية والحريرية والكتانية والصوفية ومعظم هذه الثياب كان يذهب بها التجار الى مختلف ارجاء البلاد العربية وشرق افريقية .

وحتى قبل نحو ربع قرن من يومنا هذا كان يزرع في اليمن نوع من القطن (البلدي) ، شجيراته اكبر من شجيرات القطن (طويل التيلة) ، وله

محصول أوفر . وكان يطلج بمحالج خشبية تدار باليد ، ثم يغزل بمغازل يدوية . وكانت صناعة الغزل ، في الغالب ، خاصة بالنساء وحدهن ، كما كن يشاركن الرجل في حياكة الثياب . قال ذو الرمة :

كان عليها سحق لفق تأنقت بها حضرميات الأكف الحوائك
واللفق إحدى شقتي الحلة أو الملاة .

وكان اليمنيون يتباهون في أسواق العرب بلبس الحلل والثياب الفاخرة المصنوعة في بلادهم . وكان الملوك والكهنة والأثرياء يرتدون الملابس الموشاة بالذهب ، المصنوعة من الحرير النقي والكتان الخالص والصوف الناعم (6) .

وفي البلاد العربية اشتهرت البرود اليمنية حتى قيل فيها : « برود اليمن ورياط الشام وأردية مصر » . والبرود أنواع كثيرة سنذكر منها ما نقله المرحوم الدكتور جواد علي في الجزء السابع من كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) عن (تاج العروس) و (نهاية الأرب) و (اللسان) وغيرها :

المرجل أو المرجل :

برد موشى ثمين . وفي الحديث « حتى يبني الناس بيوتا يوشونها وشي المراحل » ، والمثل « حديثا كان بردك مرجليا » إشارة الى نفاسة هذا النوع من البرود . ويقال انه سمي بالمرجل لانهم كانوا ينقشون عليه صور رحل .

الخال :

برد ذو أرضية حمراء فيه خطوط سود . قال الشماخ :

وبردان من خال وتسعون درهما على ذاك مقروظ من الجلد ماعز

العصب :

برد يعصب غزله ثم يصبغ بالعصب قبل نسجه . والعصب كالورس نبات يستخرج منه صباغ أحمر تصبغ به البرود المعروفة بالعصب . ولا ينبت الورس

والعصب الا باليمن . ويكون نسيج العصب موشى او مخططا بخطوط بيضاء .
وحده الخطوط او الموشى من اثر العصب .

المرط المرحلة :

قال امرؤ القيس :

فقمتم بها امشي تجر وراءنا

على اثرينا ذيل مرط مرحل

ونذكر ان الرسول « كان يصلي وعليه من هذه المرحلات » اي المرط
المرحلة . ويقال ان المرط المرحلة هي برود عليها صور رجل .

السجواء :

برود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير وخطوط من الذهب لم يكن يقدر على
شراؤه غير الاثرياء .

العدني :

نوع من البرود اشتهرت به عدن . وقد لبس الرسول البرد العدني . كما
اشتهرت برياطها فصيل « رياط عدنيات » . وفي (القاموس المحيط) ان الريطة
كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، وقطعة واحدة ، او كل ثوب لين
رفيق .

الحبر او الحبير :

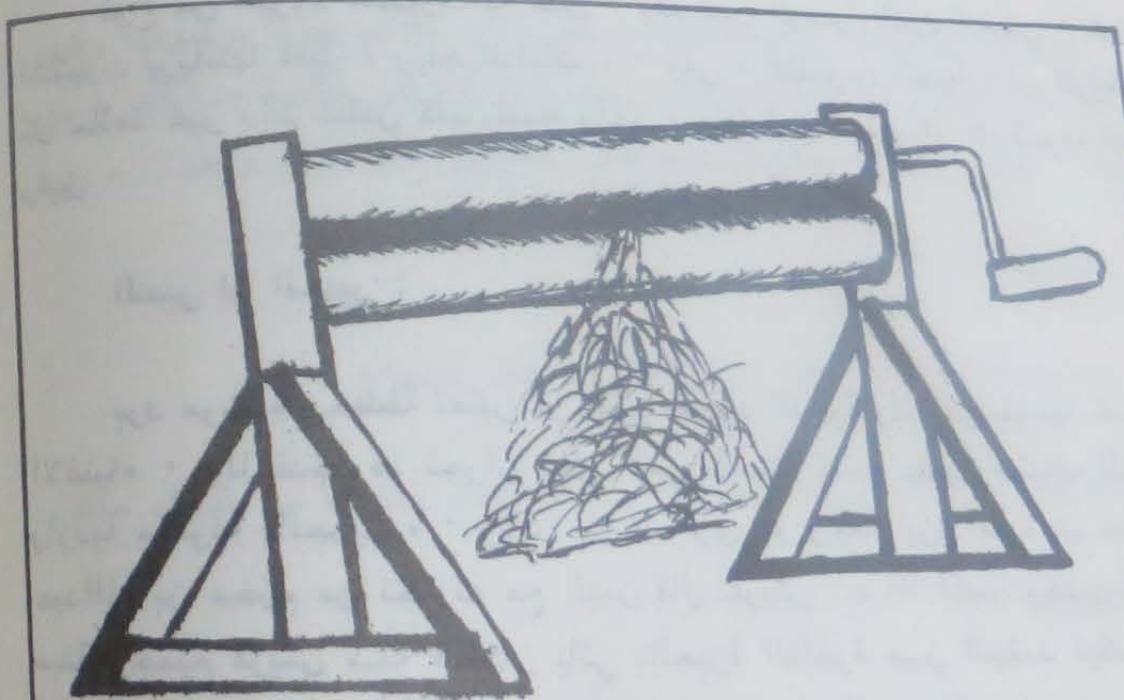
برد موشاة مخططة تعتبر من اثنى البرود اليمنية ولم يكن يلبسها غير
الاعنياء . ولما قدم وفد نجران على النبي بالمدينة كانت عليهم « ثياب الحبرة
اربية مكفوفة بالحرير » . وذكر انه لما اثنى أبو ربيعة ابن المغيرة بن عمر بن
بدالله بن مخزوم من تجارته مع اليمن قال لقريش : « انا اكسو وحدي الكعبة
من جميع قريش سنة » فكان يأتي بالحبرة الفاخرة من الجند فيكسوها
لكعبة . ولما توفي الرسول ووضع مسجى في ناحية من البيت وضعت عليه
حبرة .

الخميس أو الضميس :

برد يقال انها سميت بالخميس نسبة الى ملك اسمه الخميس كان اول من لبسها .

واشتهرت المعافر ببرودها وثيابها حتى قيل «برد معافري وثوب معافري» .
والشرعية برد منسوبة الى شرعب . وقيل انها من الثياب الحارية .

ومن ثياب اليمن (الفوف) وهي ثياب رفاق موشاة . و (المعجر) رداء تعجر به المرأة كما يلتحف به ويرتدى . و (المقطعات) ما يفصل من القماش ويخاط منه قمص وجبات وغيرها . وما لا تفصل او تقطع كالاردية والرياط ونحوها . واشتهرت السحول بثيابها القطنية البيضاء . « ولما توفي الرسول كفن في ثلاثة اثواب سحولية » . ويروى في ثوبين سحوليين . والثياب القديمة منسوبة الى قدم . والمسندية والاكباس من البسرود اليمنية . كما اشتهرت اليمن بصنع الازر . وعرفت الانسجة اليمانية المصنوعة من الكتان في كل مكان من جزيرة العرب وقد كانت لباس الاغنياء والوجهاء . وكان الحرير والكتان يجلب الى اليمن من الصين والهند .



محلي خشبي يدار باليد .



Beihani carpet weaving.
نسيج البساط البيهاني .

وقد اشتته
كانها ناقصة

ومما كان
والعياب والقريب

وتفننوا
وضغطوا عليها
وهي جلود كانت
متتابعة . وقيل

وقد ساعد
فيها ، وتوفر مواد

٦ - الادم

من الاماكن التي اشتهرت في اليمن بدبغ الجلود وتصنيعها صعدة وجرش
وعدن . قال الهمداني : « صعدة بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء ، وهي في موطن
بلد القرظ . ربما وقع فيها القرظ من الف رطل الى خمسمائة بدينار مطوق على
وزن الدرهم القفلة ، وكانت صعدة تسمى جماع في الجاهلية . وفي عدن قال ابن
المجاور انه شاهد آثار عدد من المدايح كشف عنها سيل عظيم وراء حمام المعتمد
رضي الدين بن علي التكريتي . »

والقرظ من اشهر مواد الدباغة في الجاهلية وهو « شجر عظام لها سوق
غلاظ ، امثال شجر الجوز ، وورقه اصفر من ورق التفاح . وله حب يدبغ ويتداوى
به ، ويستخرج منه صبغ يصبغ به الادم . وينبت القرظ في القيعان » (٧) .
ويطحن القرظ بطواحين ضخمة ، ويسمى الجلد المدبوغ بالقرظ (السبت) ومنه
تصنع (النعال السبئية) وهي غالية الثمن .

كما دبغوا ايضا بالفرف والشث والارطى وهي اشجار ، وبقشر الرمان
ويقال له (القرضم) . واستعملوا الجير لنتف الصوف والشعر من الجلد .
واستعملوا العفص لحفظ الجلود قبل دبغها ، ويدبغ الجلد بالعفص حتى يسود .
ودبغوا بالدهناء وهي عشبة حمراء لها ورق عراض يدبغ بها .

كانت الادم اليمنية اهم السلع التي تاجرت بها قريش بل انها « جعلتها على
زاس الهدايا والالطاف التي كانت تهديها الى الملوك والرؤساء وأكابر الناس
(٨) » . ومن الادم كانت تصنع القباب ، وهي غالية الثمن لا يشتريها الا الملوك
الرؤساء ، والاثرياء « اما سائر الناس فكانت تضرب لهم بيوت من الشعر
(٩) » .

وقد اشتهرت حضرموت بصنع النعال (المخصرة) وهي ضيقة من وسطها
كانها ناقصة الخصرين (١٠) .

ومما كان يصنع من الجلد : الدروع والخوذ والقروس والدرق والجعاب
والعياب والقرب والمزاود والاجربة والزقاق .

« وتفننوا في تزيين وزخرفة الجلود ، فذهبوا ورسوموا عليها صورا ،
وضغطوا عليها آلات لابرز بعض الصور عليها . ومن الجلود المذهبة (المذهب)
وهي جلود كانت تذهب تجعل فيها خطوط مذهبة فيرى بعضها في اثر بعض فكانها
متتابعة . وقيل سيور تموه بالذهب (١١) . »

وقد ساعد على ازدهار الصناعة الجلدية باليمن وجود ثروة حيوانية ضخمة
فيها ، وتوفر مواد الدباغة .

٧ - الأصباغ :

كما تجر ثياب القوة العرس *

جرت بها الريح ادياء مظاهره

استفاد اليمني من النباتات التي حبت بها الطبيعة أرضه فاستخرج منها عطورا وطبويا فتنت روائحها الزكية اليونانيين والرومانيين وغيرهم ، فجعلتهم يتخيلون لبلاد العرب الجنوبية جوا مقعما باريج الاشجار العطر الذي يحرك « حواس كل انسان ويثيرها » وتقصر الكلمات عن وصفه . واستخرج منها ادوية عالج بها امراضه واسقامه ، ودبغا لدبغ الجلود ، واصباغا زخرف بها منزله واوانيه ولون بها ثيابه .

واشهر النباتات التي كان يستخرج منه صباغ نبات الورس . وكان يستخرج منه صبغ احمر . قال صاحب (القاموس المحيط) : « الورس : نبات كالسمسم ليس الا باليمن ، ويزرع فيبقى عشرين سنة ، نافع للكلف طلاء وللبهق شربا . ولبس الثوب الورس مقو على الباه . وقد يكون للمرعر والرمث وغيرهما من الاشجار ، لا سيما بالحشة ، ورس لكنه دون الاول » . وقال نجم الدين عمارة في تاريخه يصف جبل مذيخرة : « فيه المزارع والمياه ، وفيه نبت الورس وهو في معنى الزعفران ، ولا يسلك الا من طريق واحد » .

ونبات القوة وهو عشب له عروق وبذور حمر يستخرج منها صبغ احمر كان يستعمل في صبغ الحرير والصوف . وظلت القوة تصدر بكميات كبيرة من اليمن الى الهند حتى بعد دخول البرتغاليين في المحيط الهندي . وكانت تزرع بحيث يوافق وقت حصادها موسم سفر المراكب الى الهند . ومن بين المراكب العربية التي تعرضت لقرصنة البرتغاليين مراكب كانت حملتها من القوة . ففي عام

* الاسود بن يعفر *

٩٣٥ هـ (حوالي ١٥٢٨ م) . وصلت سفينة برتغالية حربية من نوع (غراب) الى ميناء الشحر ، وكان بالميناء مركب يحمل الفوه في طريقه الى الهند فقبضوا عليه . وقد استعادته مالكة منهم مقابل ١٨٠٠ دينار اشرفى في (حيريج) ، على الضفة الغربية لمصب وادي مسيلة على ساحل بلاد المهرة . وفي سنة ٩٤٧ هـ (حوالي ١٥٤٠ م) ، باعقت سفينتان حربيتان للبرتغاليين احد المراكب العربية في (حيريج) . وكان المركب قد اقلع من ميناء المخا يحمل شحنة من الفوه الى الهند ، وبعد مغادرته ميناء الشحر اخذ الماء يتسرب الى داخله فاضطر اصحابه الى الرسو في حيريج لسد الشفرات التي يتسرب منها الماء . واثناء تفريغ بعض حمولته فاجأهم البرتغاليون فاستولوا على المراكب ولم يفرجوا عنه الا مقابل مبلغ من المال دفع لهم عند وصولهم الى ميناء غشن بساحل المهرة .

ويستدل على ضخامة الكميات التي كانت تصدر من الفوة الى الدليل بما ذكره ابن مجاور من انه في عهد الملك الرسولي نور الدين عمر بن علي رسول كانت ترتفع من عدن الى تعز اربع خزائن كل عام ، واحدة منها خاصة بالضريبة المأخوذة على دخول الفوة الى عدن . وتقدر كل خزانة من هذه الخزائن بنحو مائة وخمسين الف دينار .

وصبغوا بالعصفر وهو ايضا صبغ احمر يستخرج من نبات العصفر يصبغ به الحرير ونحوه . ونبات العصفر « نبات صيفي من المركبات الانبوية الزهر يسهل زهره تابلا (١٢) » . وفي (القاموس المحيط) « العصفر بالضم نبات يهرى اللحم الغليظ وبزره القرطم . وعصفر ثوبه صبغه بالعصفر فتعصف » . ويسمى العصفر ايضا (الاحريض) .

وصبغوا بالعصب وهو كالورس نبات معروف يستخرج منه صبغ احمر تصبغ به البرود المعروفة بالعصب . « ولا ينبت الورس والعصب الا باليمن (١٢) » .

٨ - دم الاخوين أو العندم :

العندم أو دم الاخوين في معاجم اللغة نبات او قشر نبات يصنع به . ويقال للعندم الايدع . ولا تنمو شجرة دم الاخوين الا في جزيرة سقطرى على رؤوس الجبال . واهالي الجزيرة يحدثون شقوقا في ساقها بالسكين فتسيل منها « مادة لزجة حمراء اللون تتجمد مكونة فصوصا حمراء داكنة هشة » . * . ويسحق الاهالي دم الاخوين ليستعملوه كدواء للجراح ، ويلونون به الاواني الفخارية . ويصدر دم الاخوين الى الخارج حيث يصنع ويستعمل كمادة « مطهرة قابضة للثة ، ملونة للورنيش ولساحيق الاسنان » . * . ويتراوح ارتفاع الشجرة من ٦ الى ٩ أمتار .



شجرة دم الاخوين
بسقطرى

* مجلة (العربي) الكويتية ، العدد ١٥٢ .

** نفس المصدر .

٩ - التمر والملح :

يعتبر التمر والملح من أهم السلع التي كان التجار العرب يجلبونها من بلاد العرب الى شرق افريقية . وفي بادئ الامر كانت التمور تأتي من اليمن .
ثمينة راسية - كما رأينا من قبل - يذكر ان بلاد العرب الجنوبية كانت تصدر التمر واللبن والطوب . ويقول سليم طه التكريتي في كتيبه (الصراع على الخليج العربي) : « وتوضح الآثار التي اكتشفت حتى الآن في العراق ان التجارة قد توطدت في السنة الفين وخمسمائة قبل الميلاد بين دلمون (البحرين) وعاصمة الدول السومرية (لكش) . وان البحرين كانت تصدر الى سومر في ذلك الوقت التمور والنحاس . وكانت تحصل على التمور من اليمن أما النحاس فكان يجلب من مناجم ماجن (عمان) . » وقد انتقلت النخلة مع المهاجرين اليمنيين الى الصومال وغيرها من بلاد شرق افريقية .

وكان الملح يجلب من عدن ، وهو الملح الذي يستحضر من مياه البحر . أما الملح المتحجر فيوجد في عدة مواضع في اليمن ، أشهره ملح مارب وهو يشبه البلور في صفاته ، وكان الرسول قد اقطعه الابيض بن جمال . وذكر الملح ونجارتة في بعض نصوص المسند يدل على أهمية تجارته واتساعها في الجاهلية . ونظرا الى سعة هذه التجارة والى كثرة الملح المستخرج ، ظهرت جماعة عرفت بـ (زلا) (سلا) في لغة المسند ، تخصصت بكيل الملح وتعبئته في الجوالق لارساله الى الاسواق (١٤) .

Handwritten text in a cursive script, likely Persian or Urdu, covering the upper portion of the page.

Handwritten text in a cursive script, likely Persian or Urdu, covering the middle portion of the page.

Handwritten text in a cursive script, likely Persian or Urdu, covering the lower portion of the page.

(٨)

السلع الأجنبية

ال

ل

كانت تقف
الشام
تحتاج
منذ الفت
شديدي
لديهم الم

و

الطعام
نجده ين

ا

و

كا

وش

تري بعري

وق

العرب ي
أبيض و
أم

زنجبار ك

المشهور

سيحوت

في يوم ١٢ / ١٤٣٥

التوابل

لم تهتم التوراة ولا النقوش الاشورية بالاشارة الى التوابل ، رغم انها كانت تنقل ضمن السلع التي كانت قواغل العرب الجنوبيين تنقلها الى اسواق الشام . ولعل معدة الانسان في عصر التوراة وما قبله كانت قوية نشيطة لا منذ الفتوحات اليونانية . او لعل العرب وما حولهم من الشعوب والضمول الا شديدي الاقبال على التوابل والمشهيات كشعوب اوروبة . لذلك لم تبلغ قيمتها لديهم المستوى الذي بلغه البخور والطيب والذهب والاحجار الكريمة .

ومع ان الاعراب في الجاهلية كانوا يعرفون التوابل الا ان استعمالها في الطعام لديهم كان - كما يبدو - قليلا . فالقرنفل ، مثلا ، وهو من اهم التوابل نجده يذكر بين الطيوب والعطور في قول امرئ القيس :

اذا قامتا تضوع المسك منهما

وقيعانها كانه حب فلفل .

وفي قول عمرو بن كلثوم :

كان المسك نكهته بفيها

وريح قرنفل والياسمين

وشبه امرؤ القيس حب الفلفل ببيع الآرام في قوله :

ترى بع الآرام في عرصاتها

وقيعانها كانه حب الفلفل .

وقد اشتهرت بلاد المليبار ، على ساحل الهند الغربي بانتاج الفلفل ، وكان العرب يسمونها (بلاد الفلفل) . والفلفل نوعان : اسود وهو المشهور ، والثاني ابيض وهو نادر الوجود وأعلى ثمنا من الاسود .

أما القرنفل فيقال ان موطنه الاصلي جزر ملقا وان زراعته في جزيرة زنجبار كانت في عهد السلطان سعيد بن سلطان عام ١٨٢٨ م . لكن الملاح اليمني المشهور باطايح قال في منظومته التي نظمها في ارشاد السفن في السفر من سيحوت الى زنجبار عام ١٨٠٢ م (١) :

عيرور فيهن وهو طوله رفيع وادخل بلاد القرنفل في سلام

وتأتي القرقة (الدار صيني) في الاعمية بعد القفل . وهي لحاء شجرة من قصيلة الفار ، تنمو في الغالب في جزيرة سيلان .

وقد ذكرت القرقة ضمن السلع التي عادت بها سفن الملكة حتشبسوت من بلاد بنت في النصف الثاني من القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وهذا يعتبر دليلا على وجود علاقة تجارية منذ ما قبل هذا التاريخ بين ساحل الهند الغربي والسواحل المحيطة بخليج عدن .

ويستعمل الزعفران كتابل كما كان يستعمل ايضا كصبغ وطيب . وفي معاجم اللغة « ترعفر فلان » اي تطيب او صبغ بالزعفران .

وكان الخردل من التوابل التي تباع بسعر الذهب ايام الرومانيين . وهو نبات عشبي تستعمل بذوره كتابل كما تستعمل في الطب . ويضرب به المثل في الصغر فيقال « ما عندي خردلة من كذا » .

وهناك عدة توابل بعضها ينمو في اليمن ، كزهر العصفور ، لا يتسع المجال لذكرها .

المسك

كان المسك من السلع المقدسة في العالم القديم ، ومن اشهر الطيوب التي تاجر بها العرب الجنوبيون في الماضي . وهو يجلب من التبت والهند . وكان اليمنيون يدخلونه في تركيب افخر الطيوب والعطور . وقد لهج بذكره شعراء الجاهلية . وفي الحديث : « اطيب الطيب المسك » .

وتاجر العرب الجنوبيون بأصناف كثيرة من سلع اسيا وافريقية ، عدا التوابل والمسك والزباد والعود ، لا نرى داعيا لحصرها هنا .

* الاوزان *

(١) في عهد المالك الفضل عباس بن المالك المجاهد صاحب كتاب « بغية الفلاحين » القرن الثامن الهجري :

الدرهم اليمني	١٠	قيراط
القفلة	١٦	قيراط
المثقال	٢٤	قيراط
الدينار اليمني	درهم	
أوقية الذهب	٦ ٢/٣	مثقال
رطل الدراهم	١٩٢	درهما (٤٨ دينار عيني)

(٢) في عهد أبي مخزومة (٨٧٠ - ٩٤٤ هـ) :

الرطل العدني	١٢ ١/٢	أوقية يمنية
الأوقية اليمنية	١٠	قفل (قفلات ؟)
البهار العدني	٣٠٠	رطل
الرطل العدني	٢٠٠٠	قيراط
(الرطل العدني =)	٣/١٠ ، ٨٣	مثقال

(٣) المخا في القرن الثامن عشر :

الأوقية	١٠	قفل (قفلات ؟)
الرطل	١٥	أوقية
الفراسلة	٤٠٠	أوقية (٢/٣ ، ٢٦ رطل)
البهار	١٥	فراسلة
(القفلة =)	٣٠١٢	جرام
(الأوقية =)	٣١٠٢	جرام

العشور في عدن أيام بني زريع

يقول ابن الجاور أن بني زريع سئوا خرائب وقواتين جديدة في عدن ، وإن من جاء من بعدهم سار عليها . فكانوا يأخذون على بهار الفلفل ثمانية دنانير عشور ودينار شواني ، وخروجه من الفضة دينارين . وعلى قطعة (النيل) أربعة دنانير . . . شواني وخروجها من الفضة ربع دينار . وعلى بهار الحلث ثمانية دنانير . وعلى بهار قشر المحلب ثلاثة دنانير ونصف . وعلى بهار الطباشير واحد وعشرين دينارا الا ثلث ، ودينار شواني . وعلى عود (الدفواء) نصف المبلغ . وعلى فراسلة الكافور خمسة وعشرين دينارا ونصف وسدس . وعلى بهار الهيل سبعة دنانير . وعلى فراسلة القرنفل عشرة دنانير ، وشواني دينار . وعلى فراسلة الزعفران ثلاثة دنانير وثلث . وعلى بهار الكتان سبعة دنانير ونصف . وإذا ابتاع مركب يؤخذ من البائع من المائة عشرة دنانير . وعلى بهار الفوة اثني عشر دينارا (استجد أيام اسماعيل بن طغتكين الايوبي ، وكان عليه من قبل ديناران ، ويقال ثلث الدينار) . وعلى بهار التمر هندي ثلاثة جوز . وعلى العشرة المقاطع ديناران ونصف . وعلى رأس الضأن ربع دينار . وعلى الحصان إذا دخل البلد خمسون دينارا (استجد أيام ناصر ايوب بن طغتكين الايوبي) ويؤخذ عند خروجه الى البحر سبعون دينارا . ويؤخذ على شقق الحرير من عمل زبيد نصف دينار وجائز . وعلى الثوب الظفاري ربع دينار وجائز . وعلى الشقة البيضاء ثمن . وعلى السوسي ثلاثة قراريط . وعلى فوط السوسي ربع وجائز . وعلى كورجة * المحابس أربعة دنانير . وعلى كورجة الاحواك ديناران ونصف وكذلك السباعي . وعلى كورجة الثياب الخام الهندي ديناران ونصف .

* الكورجة : عشرون من كل قطعة من الملابس .

(٩)

موا نىء اليمن القديمة

يفكن
الجنوبية والنش
الجاورة للسو
الكافية من ال
على الشواطئ
المهاجرين الع
وبدأت تشهد
العربية - وه
حضر موت وش
الحجري بشرق

والمواني
تبدل اسمه او
سنكتفي هنا ب
(الطواف حوا
الباحثين - :

عدن

لا يستبعد
بداية نشاط الي
امين حصين ،
والرياح الموسم

موسم الرياح الموسمي

يمكن القول بان المراسي على الساحلين : الغربي والجنوبي لبلاد العرب الجنوبية والشواطىء الافريقية المقابلة لها قد برزت في شكلها البدائي في الجزر المجاورة للسواحل والرووس والاخوار ، حيث تتوفر للقوارب البدائية الحماية الكافية من العواصف ، منذ ان بدأ رجال البحر على السواحل العربية يتربصون على الشواطىء الافريقية القريبة منهم ، ونتيجة لاستمرار تدفق موجات المهاجرين العرب الي الشواطىء الافريقية اخذت هذه المراسي تتطور وتتسع ، وبدأت تشهد نوعا من التبادل التجاري بين المهاجرين وبين اخوتهم في الشواطىء العربية . وهناك ادوات من العصر الحجري الحديث عثر عليها في كل من حضرموت وشرق افريقية استدل بها العلماء على علاقة حضرموت منذ العصر الحجري بشرق افريقية .

والموانئ القديمة في بلاد العرب الجنوبية كثيرة ، منها ما اندثر ومنها ما تبدل اسمه او موقعه ، ومنها ما لم يصل اليها خبره ولا نعرف عنه شيئا . لذلك سنكتفي هنا بذكر اشهر هذه الموانئ ، وهي الموانئ التي زارها صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) في القرن الاول للميلاد - كما يرجح أغلب الباحثين - :

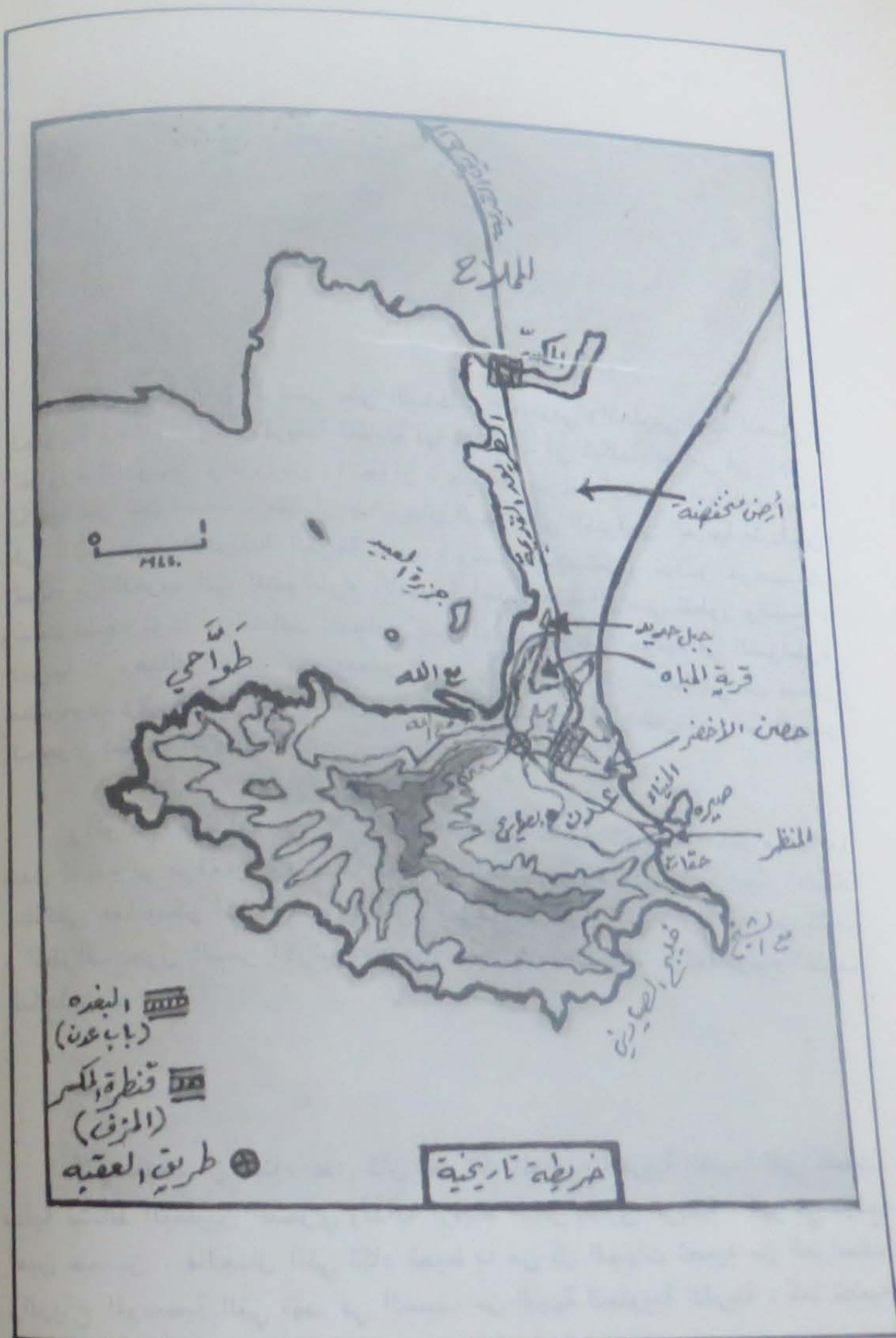
عدن

لا يستبعد ان ميناء عدن كان أحد تلك الموانئ العربية القديمة التي شهدت بداية نشاط اليمنيين البحري وبداية ارتباط اليمن بشرق افريقية ، فهو في موقع أمين حصين ، فالجبال التي تكاد تحيط به من كل الجهات تحميه من العواصف والرياح الموسمية التي تهب في الصيف من الجهة الجنوبية الغربية ، كما تحميه

صخرة (ص)

وكانت
من البحر ال
عدن . ولما
القوارب لا
المجاورة له
(خور مكسر
المجاور - ث
القادم من ال
موقع الجسر
من المطار
عن الاندفاع
ويبدو ان هذ
عام ١٨٤٦
جبل حديد و
عدن) ، ولك
مزيد المد وال
البدو ، واح

ولا بد
المحقة بعدن
اليمنيون القد
الصغير) و
البر ، في ال
الى شعب تلق
مدينة عدن ع
كان يعرف في
انها (باب عد
٩٢٧ للهجرة
العثماني الاو
(المباء) ، وك
فرسخ ، سمي



صخرة (صيره) من رياح الازب أيام الشتاء .

وكانت عدن جزيرة يفصلها (خورمكسر) عن البر . فكانت السلع تنقل
من البر الى (خورمكسر) فتأتي القوارب فتنقلها مع المسافرين الى ميناء
عدن . ولما اتسعت حركة التجارة والمرور بين البر الداخلي والجزيرة ، وكانت
القوارب لا تستطيع التنقل بين الميناء والخور الا اثناء المد لان قاع الخور والمنطقة
المجاورة له يصبحان مخاضة اثناء الجزر ، شديد قدماء اليمنيين قنطرة على
(خورمكسر) ، كانت تسمى (المزق) ، وكان طولها آنذاك - كما قال ابن
المجاور - ثلاثمائة ذراع ، وبينها وبين (جبل حديد) ، هو أول جبل يواجه
القادم من البر الى عدن ، نحو نصف فرسخ . وموقع هذه القنطرة ، الآن ، عند
موقع الجسر الذي تمر عليه طريق الشيخ عثمان - عدن القديمة ، الى الشمال
من المطار . والى الشرق من هذا الجسر توجد حواجز رملية تحجز مياه الخور
عن الاندفاع صوب الشرق والجنوب والوصول الى البحر شرقي البسرج .
ويبدو ان هذه الحواجز الرملية ، قد استحدثت بعد احتلال الانجليز لعدن ، ففي
عام ١٨٤٦ م ، هاجمت القبائل المجاورة لعدن الحامية الانجليزية المتمركزة على
جبل حديد والحائط التركي الممتد من جبل حديد الى الجبل الذي نقر فيه (باب
عدن) ، ولكن قائد السفينة الانكليزية ، التي اشتركت في المعركة ، استنقذ من
مزيد المد والجزر واقترب من الشاطئ ، والتف حول جسر (خورمكسر) وطوق
البدو ، واجبرهم على التقهقر والتراجع عبر اراضي موحلة (١) .

ولا بد بعد قيام جسر (خورمكسر) ، او قبله من شق طريق بين الصخور
المحدقة بـعدن ، اذ لا سبيل الى عدن عن طريق البر من غير ذلك ، لذلك قام
اليمنيون القدماء بحفر نفقين أحدهما قصير وهو ما كان يعرف بـ (البغدة
الصغير) وآخر طويل وهو (البغدة الطويل) . ومدخل النفق القصير من جهة
البر ، في الجبل المقابل لجبل حديد من الناحية الجنوبية ، وتخرج الطريق منه
الى شعب تلتف حوله الى مدخل النفق الطويل المقابل للشرق ، ثم تخرج منه الى
مدينة عدن عند أسفل التل الذي شقت عليه (طريق العقبة) . وهذا النفق هو ما
كان يعرف في الماضي بـ (باب عدن) ، اما (طريق العقبة) التي حسب البعض
انها (باب عدن) فلا نجد لها ذكرا في (تاريخ ثغر عدن) لابي مخرمة المتوفي عام
٩٢٧ للهجرة ، مما يثبت انها شقت بعد عهده ، ولعل ذلك كان ابان الاحتلال
العثماني الاول لليمن . ومن جبل حديد كانت الطريق الى عدن تتجه الى قرية
(المباه) ، وكانت بأسفل الجبل الذي حفر فيه النفق القصير « بينها وبين عدن ربع
فرسخ ، سميت بذلك لان من خرج من عدن سائرا اقام بها الى ان يتكامل بقية

الرفقة ويصحبون جميعا . وكذلك القوافل الواصلة الى عدن ، كانوا يقيمون بها ويتهاون للدخول بالغسل وليس الثياب وشعر ذلك (٢) . وموقع هذه القرية (الآن) تشغله مستودعات للجيش .

اما بعد شق طريق العقبة فكانت الطريق تدور محاذية لجبل حديد من الجنوب ، وتتخذ من فتحة شقت في طرفه الجنوبي ، ثم تتجه محاذية للجبل المتصل بجبل حديد الى (العقبة) .

وشق طريق العقبة كان ، لاريب ، اسهل كثيرا على اليمنيين القدماء من شق النفقين اللذين يبلغ طولهما معا نحو ميل ، ولكن يبدو انهم اختاروا النفق لانه يجعل عدن في مأمن من الهجمات البرية . وعلى قمة الجبل الذي حفر في اسفله النفق الطويل شيد الحصن الذي كان يعرف بحصن (التعكر) ، وكان يطل على مدخلي النفق .

ولا يعرف ، على وجه التحديد ، متى شق هذا النفق ، ولا من امر بشقه من ملوك اليمن القدماء ، اذ لم يعثر ، حتى الان ، على كتابة المسند تشير اليه . بيد انه استنادا الى ما جاء في بعض نصوص المسند عن قيام (يدع اب ذيين بن شهر) آخر مكربي قتيبان وأول ملوكها ، بحفر الانفاق وشق الممرات الطويلة في الجبال لتمر فيها القوافل التجارية ، في مملكته التي امتدت حدودها الى البحر جنوبا وباب المندب غربا وحضرموت شرقا وسبأ شمالا ، يمكن التخمين بأن (باب عدن) قد شق في عهد هذا الملك القتيباني ، الذي اتحدت في ايامه قبائل قتيبان وأوسان وكجد ودهس وتينو (تبين) والقبائل المجاورة لعدن . وفي عهد هذا الملك شق الممر (مبلقة) بين (برم) بير في بيحان ووادي حريب ، وطوله - كما قال ويندل فليبس - نحو ثلاثة اميال وعرضه ما بين خمسة واثنا عشر قدما ، وترتفع جدران الصخرية الى مسافة الف قدم ، في بعض الاماكن . وكان الغرض من شق هذا الممر الطويل بين الصخور هو الرغبة في الاشراف التام على القوافل التجارية التي تدخل قتيبان ومنع اي نوع من انواع التهريب (٣) .

اما زمن الملك (يدع اب ذيين بن شهر) فقد اختلف العلماء حوله ، كما هو شأنهم في تحديد أزمنة جميع مكربي وملوك العربية السعيدة ، فمنهم من أرجعه الى القرن الثامن قبل الميلاد ، ومنهم من ذهب الى انه كان في القرن الرابع قبل الميلاد ، وآخرون يرجعون الى القرن الثاني او الاول قبل الميلاد .

ونسب اهل الاخبار ، ومنهم ابن الجاور ، حفر النفق الى شداد بن عاد .

فزعوا ان شداد بن عاد خرج من اليمن طالبا اعمال حضرموت . ولما وصل الى
لحج رأى جبل (العر) ، وهو اعلى جبال عدن ، فارسل اليه بعض خدمه لينظر
ما حوله . « فلما عاينوا الموضع رجعوا وقالوا ان هذا الموضع واد في بطنه شجر
وقيه افاع عظام وهو مشرف على البحر المالح » فلما سمع شداد بن عاد كلامهم
نزل في لحج وأمر له باب ينفذ الى عدن . وأن عقريتا من عفاريتيه قام بنقر الباب ،
وعفريت آخر قام بحفر مجرى الماء العذب من (رأس سقطرة) من اعمال لحج .
وقد اكمل العفريت الاول حفر النفق بعد سبعين سنة . اما العفريت الثاني فلم
ينجح في توصيل مجرى الماء العذب الى عدن ، وانه بلغ في حفره الى اسفل (جبل
حديد) . قال ابن مجاور : « ورأيت آثار النهر (القناة) بعينه مبني بالحجر
والجص بناء محكما وثيقا في عرض ذراع ما بين الماء وجبل حديد وقد علاه
البحر ، ولا يبين لناظره الا اذا عرى البحر (٤) » .

ونسبة الاعمال الجبارة التي خلفها القدماء ، كالانفاق المحفورة في
الصخور ، الى عفاريت سليمان وشداد بن عاد واسكندر ذي القرنين نجدها
شائعة في كتب الاخباريين وبين الدهماء . فمثل هذه الاعمال اصبحت في نظر
انسان العصور المتأخرة فوق طاقة البشر .

ولكن ماذا عن القناة التي قال انه شاهد اثارها فيما بين البحر وجبل
الحديد . هل حاول اولئك الذين حفروا النفق وربطوا عدن بالبحر الداخلي ، ان
يحفروا قناة لتوصيل الماء العذب من الموضع الذي كان يسمى (رأس سقطرة)
بلحج الى عدن ، وان يبنوها بناء محكما وثيقا بالجص والحجارة ؟ وهل توقف
هذا المشروع الضخم لاسباب هندسية ، بعد وصوله الى جبل حديد ؟ لنترك هذا
للمستقبل وما عسى ان يعثر عليه من الآثار في هذه المنطقة .

وكان الماء العذب هو المشكلة الوحيدة التي ظلت عدن تعاني منها منذ ان
برزت كميناء . اذ كان الماء الذي تنقله الدواب من اطراف لحج عرضة للانقطاع
بسبب الحروب والقتال الداخلية . ولا يستبعد ان الذين حفروا النفق في الصخر
وشرعوا في شق قناة للماء العذب من اطراف لحج الى عدن ، هم الذين بنوا
خزانات (الطويلة) ، فهذه الخزانات قديمة قدم « باب عدن » ، ولا تختلف في
بنائها عن بقية الخزانات التي يرجح اغلب الباحثين انها ترجع الى ايام حضارات
اليمن القديمة ، وليست من اعمال الفرس كما زعم بعض قصار النظر .

ونذكر ابن المجاور عددا من الآبار في عدن تحت عنوان « ذكر الآبار

العنية . قال ان الاهالي كانوا يشربون منها . وقال : « بناء البلد في واد البحر مستدير حوله ، هواؤه كرب ، ولكنه يقطع حل الخمر في مدة عشرة ايام ، وماؤها من الآبار وشيء يجلب من مسيرة فرسخين » . ولعل اهالي عدن كانوا عند انقطاع الماء الذي كان يجلب من مسيرة فرسخين - كما كان ابن المجاور - او عندما ينفد ماء الخزانات كانوا يضطرون الى شرب ماء الآبار القليلة المتوحة في عدن .

وقال ابن المجاور انه لم يكن لعدن سور لا من ناحية الميناء ولا على الجبال المحيطة بها ، وان اول سور بينها وبين الميناء بني ايام بني زريع . وكان سبب بنائه ان التجار وأصحاب السفن بدأوا يهربون البضائع ليلا الى المدينة بعد ان زادت الضرائب ، فأمر الداعي حاكم عدن ان يقام سور من الحصن (الاخضر) الى جبل (حقات) . ولكن هذا السور تهدم بفعل الموج عادير عليه سور ثان من القصب . ثم جدد بناءه ابو عمر عثمان بن علي الزنجبيلي ، في عهد الدولة الايوبية ، وجعله محيطا بجبل المنظر ومده الى الطرف الجنوبي لجبل (العر) وركب فيه (باب حقات) . وبني سورا ثانيا يمتد من (الحصن الاخضر) الى حصن (التعكر) على رؤوس الجبال ، ومد سورا ثالثا على الساحل من جبل حقات الى الجبل الاخضر ، وبني هذه الاسوار بالحجارة والجص . وهو الذي بني الفرضة وجعل لها بابين واحدا لدخول البضائع من الميناء والثاني لخروجها الى المدينة .

كانت عدن ميناء الاوسانيين الرئيسي ، ومنه كانت مراكبهم تنطلق الى شرق افريقية ، حيث كانوا يسيطرون على سواحل كينيا وتنجنيقا ، قبل الميلاد بقرون لا يعرف عددها . وكانت ربطه Rhapta ، آخر ميناء تصل اليه مراكبهم ، تقع - حسب رأي اغلب الباحثين - عند مصب احد فروع نهر زمبيزي Zembezi او عند ميناء (كليمان) الحالي . وكانت (بلاد السواحل) تعرف ايام صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) باسم Azania (٥) او Ausaniteae (اوسان) غير ان السيادة في هذا الساحل لم تكن بيد الاوسانيين ، ايام صاحب (الطواف ٠٠٠) . وكانت Rhaptā نفسها بيد اهالي Muza (المخا) ، يحكمونها نيابة عن زعيم المعافر The Mapharitic Chief ، الذي كانت تابعة له بموجب حق قديم يخضعها لسيطرة الامارة التي تقابلها اول ما تقابله من بلاد العرب . ومن المحتمل ان هذا الحق القديم كان للاوسانيين ، فبلادهم هي اول ما يقابله القادم من (السواحل) من بلاد العرب .

وقد رأينا من قبل ان من الباحثين من يرى ان (كرب ال وتر) آخر مكربي

سبياً ومؤسس المملكة السبئية ، قد قضى على دولة الاوسانيين فيما بين عام ٦١٠
او ٦٥٠ او على رأي آخرين في ٤٥٠ ق م . ويذكر نقش (صرواح) الذي سجلت
فيه الحروب التي قام بها (كرب ال وتر) ، ان هذا الملك قام ايضا بشن حرب على
معين ، وان قبتان وحضرموت قد ساعدته في هذه الحروب . والجدير بالذكر ان
اوسان ومعين كانتا تعبدان الها واحدا هو (ود) (٦) .

وقبل ان يعرف اليونانيون الطرق البحرية الى الهند و (السواحل) كانت
مراكبهم لا تتجاوز ميناء عدن . قال صاحب (الطواف) : (يصف عدن :
« كانت تسمى Eudaeinon (السعيدة) ، وكانت مدينه هامة فيما مضى ،
عندما كانت الرحلة من الهند الى مصر امرا لم يتحقق بعد ، وعندما كانوا لا
يجرؤون (يقصد اليونانيين) على الملاحة من مصر الى الموانئ الواقعة وراء
هذا المحيط ، بل كانوا يأتون جميعا الى هذا المكان . وفي تلك الايام كانت تنقل
السلع من كلا البلدين كما تنقل الاسكندرية الاشياء التي تجلب من الخارج
ومصر معا » (٧) .

لكن عدن تعرضت لنكسة نتيجة للقلقل الداخلية والصراع بين الحميريين
والسبئيين والقبائل المتحالفة معهم ، من اجل القلبة على السيادة في اليمن ، فكان
من الصعب على الملك الحميري الضعيف في (ظفار) ، انذاك ، فرض سيطرته
على القبائل المتمردة وتأمين طرق القوافل الى عدن ، لذلك عمدت حكومة (ظفار)
الى تشجيع ميناء المخا ، الميناء المنافس لعدن ، فقصدتها المراكب والقوافل ،
وتحولت عدن - كما قال صاحب (الطواف) - الى « قرية على الساحل » .

ومثل هذه الانتكاسة تعرضت لها عدن ايضا ابان الاحتلال العثماني الاول
لليمن ، فقد كان الاتراك لا يسيطرون الا « على المدن والطرق الرئيسية التي تشرف
عليها القلاع (٨) » ، اما باقي المناطق والطرق الصحراوية فلم يكن سلطانهم يمتد
اليها ، لذلك شجعوا ميناء (المخا) لقربه من العاصمة صنعاء وأهملوا عدن
البعيدة عنها ، فقصدتها المراكب القادمة من الهند وشرق افريقية ، وترددت اليها
المراكب العثمانية القادمة من السويس ، كما قصدتها القوافل من بلاد الشام
والحجاز ، فانتعشت بعد ان كانت - كما قال (فان دن بروكه) - (٩) قرية يقطنها
بعض الصيادين . اما عدن فقد وجدها (جون جورداين) « مدينة مزعجة لا
يرتاح الانسان الى سكناها ، اذ ما من خضار ينبت بين اسوارها ، وليس لسكنها
الا التمتع بمراى صخورها الوعرة ومنازلها المهتمة » ، ولا « تأتيها في السنة
الا سفينتان او ثلاث من بلاد الهند او من الخليج العربي ، تقترب من ساحلها لبيع

الخام والعمائم والمنسوجات القطنية ، ثم تعود عنها محملة بالصمغ العربي واليخور والصبر والفرو . . هذا النبات الذي يباع في الهند كصبغ احمر (١٠) .

وكان سوق عدن يصاب بالظلل والكساد في كل مرة يضطرب فيها الامن في المناطق المجاورة لها . او تنور حرب بين عدن وجاراتها . قال عمارة بن ابي الحسن في كتابه (النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية) ان اسطول بلال بن جرير الداعي بعد ان غزا سواحل زبيد « فقتل ونهب واحرق ، فانقطع الناس عن السفر من زبيد الى عدن ومن عدن الى زبيد مدة ثلاث سنين ، مما نتج عنه رخص بضائع كل بلد فيها ، وغلاؤها في البلد الآخر ، حتى صار ما يساوي ديناراً في زبيد بربع دينار ، وفي عدن بأربعة دنانير ، فادنت لي الحرية ام هانت النجاحي ملك زبيد ، هي والقائد سرور في السفر ، دون الاسود والاحمر ، ودفع لي كل واحد منهما الوفا من المال وتذكرة بما يشتري من عدن . وهالا : اشتر بهذا المال من البضائع الرخيصة في زبيد ، وما حصل فيه في عدن من فائدة فهو لك ، وابتع لنا براس المال من عدن ما في التذكرة . فحصل لي من المال ما لا مزيد عليه . »

بيد ان تلك الانتكاسة التي أصيبت بها عدن ايام صاحب (الطواف . . .) لم تدم طويلاً ، فبطليموس (القرن الثاني للميلاد) سمي عدن Arabia Emporium (المركز التجاري لبلاد العرب) ، مما يدل على انها استعادت ايام بطليموس ، وربما قبله ، مركزها التجاري السابق ، كما يدل على ان الحميريين اصبحوا يسيطرون سيطرة تامة على المناطق الجنوبية حتى ساحل البحر ، وعلى استتباب الامن في الاراضي التي تمر بها القوافل بين عدن وظفار .

اما قول صاحب (الطواف) عن عدن : « ولكن Kaiser اخضعها قبل ايامنا بزمان غير طويل » فقد اختلف الباحثون حوله ، فمنهم من يرى ان تحريفا قد حدث في كلمة Kaiser وان المقصود هو Ilisar Ilasar ، الذي ذكره استرابون واراد به (ال شرح يحضب) « وان ميناء عدن قد خرب ابان حروب (ال شرح يحضب) مع قتبان وحضرموت (١١) » . ومنهم من رأى في قول صاحب (الطواف) « بعض الوهم في تثبيت لفظة (قيصر) ، وذلك لان العادة لم تكن قد جرت في ذلك الوقت بتلقيب ملوك رومة بلقب (قيصر) » . وان « في الكلمة تحريفا وانها قد تعني شيئاً آخر . وقد يكون تحريف Elisar او Ilaisar اي (الاشعر) ، وهم (الاشعريون) Elisaroi عند بطليموس . » وأصحاب هذا الرأي لا يستبعدون مهاجمة الاشعريين لعدن ، فأرضهم قريبة منها ، وان صاحب (الطواف) قد قصدهم ولكن تحريفا وقع في الاسم (١٢) .

اما الذين ذهبوا الى ان الرومان احتلوا عدن في تلك الفترة ، فقد اختلفوا في اسم الامبراطور الروماني الذي وقع في عهده هذا الاحتلال ، فبعضهم ذهب الى انه (كلوديوس) Claudius او نيرون . وآخرون رأوا انه (كراكلا) Caracalla ، وزعم فريق ثالث انه كايوس قيصر Calus Caesar

ويحق لنا ان نتساءل هنا .. اذا كان حقا ما زعموا من ان الرومانيين قد احتلوا عدن في عهد هذا الامبراطور او ذاك ، فلماذا كانت السفن اليونانية والرومانية - كما قال صاحب (الطواف) - تتجاوزها ولا تعرج على مينائها ؟ ولماذا لم يتخذ منها الرومانيون ميناء استراتيجيا لمراكبهم الغادية والرائحة بين مصر والهند وشرق افريقية ؟

واذا كان الرومان قد قصدوا من احتلال عدن تحطيمها كميناء رئيسي لليمن ، فانهم لم يحققوا من ذلك غرضا ، اذ سرعان ما نهضت (المخا) واحتلت مركز عدن التجاري . والى الشرق من عدن بقي ميناء (قنا) يستقبل السلع من الهند وشرق افريقية .

اخيرا كيف استطاعت الحامية الرومانية البقاء في عدن وهي جزيرة بعيدة عن حدود الامبراطورية الرومانية ، خالية من المياه الصالحة للشرب ، والاراضي المجاورة لها اراض جرداء مقفرة معادية لهم ، وبعد ان هجرت من قبل السفن وانقطعت صلتها بالبر الداخلي ، وحياتها ، كما هو معروف ، تتوقف كلياً على ما يرد اليها من البر والبحر .. حتى الحطب والماء ؟

ان عدن لم تصبح في تلك الفترة مجرد « قرية على الشاطئ » ، بسبب انقطاع المراكب اليونانية والرومانية عنها - كما زعم بعضهم - ، فقد ازدهرت قبل ان تعرف هذه المراكب مياه البحر الاحمر بقرون عديدة .

وبعد ان نهضت عدن من كبوتها في هذه الفترة استعادت بسرعة مركزها التجاري القديم . وفي القرن الثالث للميلاد لم تعد المراكب الرومانية تتجاوز ميناء عدن والموانئ المجاورة له في ارتيريا . ولعل صعوبة وأخطار السفر الى الهند كانت من اهم اسباب تقلص النشاط البحري الروماني . وازداد بعد ذلك عدد التجار المقيمين في عدن من اليونانيين والرومانيين مما جعل المبشر ثيوفيلس THEUPHILUS يقيم لهم في عام ٣٥٤ م كنيسة خاصة بهم .

وحتى بعد انتقال التجارة البرية من يد اليمنيين الى تجار قريش بقيت عدن سوقا تجارية رائجة للسلع الشرقية . وفي الجاهلية كان يقام بها سوق طوال العشرة الايام الاولى من رمضان . وكانت السلع الرائجة فيها الطيب بمختلف اصنافه والبخور والعطور ، والبرود والادم وغيرها من السلع اليمنية .

وكانت التجارة في سوق عدن حرة ، لان من قام على امور عدن من حمير او من الانباء لم يكونوا يتاجرون لانفسهم فيها كما يفعل (الاكيدر) في سوق (دومة الجندل) او (الجلندي) في (سوق صحار) ، فينحجز الناس عن عرض بضائعهم حتى يبيع الملك كل ما عنده من متاع (١٣) .

وبعد ظهور الاسلام ازداد نشاط عدن التجاري ، فكانت السفن تنقل منها السلع الى موانئ الحجاز والسودان ومصر . ومن الحجاز كان بعض السلع ينقل برا الى اطراف الشام . وازداد دخل عدن من العوائد الجمركية ، حتى غدت الاموال التي ترفع من عدن كل عام تملأ حيزا كبيرا في خزينة الدولة المسيطرة عليها . قال الشاعر (١٤) :

تعز عاصمة اليمن خزينتها تأتي من عدن

وقال ابن الجاور : « كان يرفع من عدن في كل عام اربع خزائن الى حصن تعز : خزانة قدوم المراكب من الهند ، وخزانة دخول الفوه الى عدن ، وخزانة خروج الخيل من عدن الى الهند ، وخزانة سفر المراكب الى الهند . وكل خزانة من هذه الخزائن يكون مبلغها مائة وخمسين الف دينار زائد ناقص » . وقال : « يقال انه وصل مركب (بلغ) عشوره ثمانين ألف دينار » .

وفي عهد الداعي علي بن محمد الصليحي كان بنو معن يرفعون خراج عدن للسيدة أروى بنت احمد ، وكان الداعي قد جعل صداقها خراج عدن عند زواجها من ابنه المكرم احمد علي الصليحي . وبعد مقتل الداعي علي الصليحي امتنع بنو معن عن ارسال خراج عدن وتغلبوا على ما تحت ايديهم ، فسار اليهم المكرم احمد الصليحي وأخرجهم منها ، وولاهها العباس ومسعود ابني المكرم الجشمي اليامي الهمداني سنة ٤٧٦ هـ . وجعل للعباس حصن التعكر وباب عدن ، وجعل للمسعود حصن الخضراء وباب البحر . وظل خراج عدن ، وقدره مائة الف دينار ، يرفع كل عام للسيدة أروى . وبعد مقتل زريع بن العباس وعمه مسعود في زييد ، انتقل امر عدن الى ابي السعود بن زريع بن العباس ، وأبي الغارات بن

مسعود ، فبقيا فترة يدفعان بعض خراج عدن للسيدة أروى ، ثم اعلنا انفصال
عدن عن دولة بني الصليحي .

وازدهرت عدن ايام بني زريع فبني اول سور لعدن من جهة البحر ، وعمر
المهريج الكبير الذي بلحف الجبل الاحمر ، وكان يضمن كل عام - كما قال ابن
المجاور - بسبعمائة دينار ، وقد ضمنه بعضهم سنة ٦٢٢ هـ بالف وثلاثمائة
دينار . وفي عهدهم ايضا شيد كثير من دور عدن بالحجارة والجص .

وفي عهد الدولة الايوبية اتسعت مدينة عدن وبلغت عمارتها - كما قال ابن
المجاور - الى بابها . وبني الايوبيون مصنعا للزجاج في مكان يقال له (لجة)
وهو المكان الذي يعرف الآن بـ (السيلة) الى الشمال الغربي من مدينة (دار
سعد) .

وقال ابن المجاور ان الضرائب الجمركية زادت في ايام نور الدين عمر بن
علي رسول ، اول ملوك بني رسول ، زيادة فاحشة مما جعل التجار يهربون من
عدن الى جدة وغلافقة والهند . وسنت ضرائب جديدة ، فكان يؤخذ على كل
بضاعة « عشور قديم وهو مال الرضة ، وعشور الشواني » ، ومن كل دينار
يؤخذ قيراط وكالة ، وتؤخذ منها زكاة ، ودلالة .

لكن الملك المظفر أبا المنصور شمس الدين يوسف ، ثاني ملوك بني رسول
ابطل ما استجد في عهد والده من الضرائب فانتعشت عدن من جديد .

وفيما عدا ايام بني معن وبني زريع فان عدن بقيت ، بوجه عام ، تابعة
لحكومة صنعاء او تعز ، وظلت منذ ظهور الاسلام حتى ايام احتلال الاتراك الاول
لليمن ، مرفأ اليمن الرئيسي . فقد شجع الاتراك ميناء المخا لقربه من العاصمة
صنعاء ، وتعرضت مراكبهم في بحر العرب وخليج عدن للقرصنة البرتغالية .

ثم جاء الانجليز فألغوا ميناء عدن القديم وحولوا الميناء الى منطقة (المعلا)
او (مع الله) قبل ان يحرفها الانكليز . كما كانت (التواهي) تنطق (الطواحي) ،
اي مكان (تطويح) السفن حيث تلقي مراسيها لاصلاح عطب او للانتظار .
و (معاشق) ، أصلها (مع الشيخ) حرفها الانكليز الى (معاشق) .

قنا :

« حران وقنيه وعدن تجار شبا وكلمد تجارك »

حزقيال

يعتقد الباحثون ان (قنيه) المذكورة في سفر حزقيال هي (قنا) الميناء المشهور ايام صاحب (الطواف حول البحر الارثيري) في جنوب البلاد العربية، الى الشرق من عدن . وكانت (قنا) سوقا « لكل اللبان الذي يزرع في البلاد يؤتى به على ظهور الجمال وفي الارماث المحلية المصنوعة من الجلد ، وفي القوارب » . وكانت لها تجارة مع شرق افريقية والسند وفارس وعمان . وقال صاحب (الطواف) ان قنا وجزيرة سقطرى تابعتان للعزيلط ملك بلاد اللبان . وان امام ميناء (قنام) جزيرتين هما جزيرة الطيور وجزيرة القباب .

كانت قنا الميناء الرئيسي لمملكة حضرموت التي كانت حدودها تمتد من مرباط شرقا حتى ميفعه غربا ومن صحراء الربع الخالي شمالا حتى البحر جنوبا . وكانت سيطرتها في البحر تمتد الى جزيرة سقطرى . كما كانت علاقتها بشرق افريقية قوية وقديمة .

ولا نغالي ان قلنا ان الحضارمة كانوا بحق فينيقيي المحيط الهندي ، فهم الذين أسسوا المستوطنات العربية على الشريط الساحلي الافريقي الممتد من (مقدشو) حتى (سفاله) وعلى الجزر المجاورة له ، وهم الذين نشروا الاسلام في اندونيسيا والهند والفلبين ومليزيا وغيرها من بلدان الشرق الاقصى . وكانت مراكزهم تغدو وتروح بين بلاد العرب وشرق افريقية والهند .

ومنذ العصور القديمة كانت (قنا) تتلقى السلع من البر والبحر ، فمن البر كانت مئات القوافل تحمل اليها سلع حوض البحر الابيض المتوسط ،



صخرة حصن الخراب

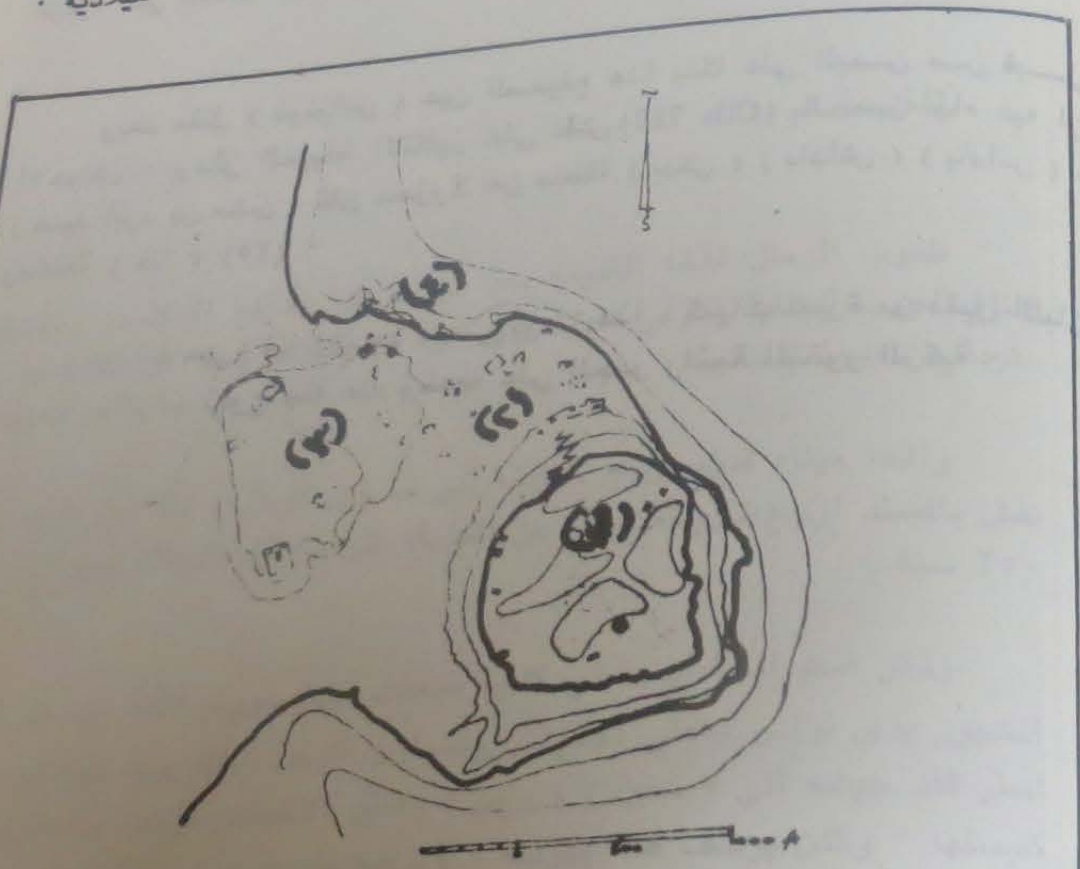
وتعود منها ببخور اليمن وطوبها واحجارها الكريمة ، وتوابل الهند ، وسلع شرق افريقية النفيسة التي جاءت على متن السفن . وظلت مزدهرة حتى سقوط حضرموت في القرن الرابع للميلاد ، بيد الحميريين ايام (شمر يهرعش) . وقد خرب واحرق جيش هذا الملك الكثير من قرى ومدن حضرموت وقتل كثيرا من اهلها ، فهاجر كثير ممن بقوا على قيد الحياة الى الخارج .

وطوى النسيان (قنا) وطغت عليها الرمال ، وظل موقعها مجهولا قرونا عديدة حتى « صباح السادس من شهر ايار من عام ١٨٢٤م » عندما القى بحارة السفينة الانكليزية (بالينورس) المرساة « في ممر ضيق قصير مغلق من أحد جانبيه بجزيرة منخفضة ، ومن الجانب الآخر بصخرة ضخمة قاتمة وعرة » عليها حصن ، قال لهم الملاح العربي المرافق انه (حصن الغراب) . وكان على ظهر السفينة ثلاثة من الضباط الانكليز هم : ولستد ، وهلتن ، وكرتندن ، اوكل اليهم القبطان هينس ، الذي استولى على عدن عام ١٨٢٩م ، مهمة استكشاف الساحل العربي الجنوبي . ولكن الضباط تجاوزوا هذه المهمة وراحوا يبحثون عن الخرائب والكتابات الاثرية . وعلى قمة الصخرة شاهدوا خرائب ، فتوجه فريق منهم الى الساحل بقصد تفحصها . قال ولستد : « نزلنا الى البر على طريق رملي امتدت الى اسفل التلة ، فالفينا انفسنا بين اطلال وابراج ومنازل كثيرة . وكانت المنازل صغيرة مربعة الشكل ، تضم اربع غرف ، على الاكثر ، ذات طابق واحد . وانحدار التلة من هذه الجهة يرتفع باعتدال ، وقد انتشرت آثار عديدة على منحدرها ، الا اننا لم نجد عليه اطلال منازل او ابنية عامة ، ولا آثار قناطر او اعمدة ، فقد كان معظم الخرائب مبنيا من قطع فصلت عن الصخور ، كسيت باسمعت مصنوع من الصدف المتحجر . والجزيرة الصغيرة ، اليوم ، متصلة بالساحل ببرزخ رملي ، لكنها كانت فيما مضى مفصولة عنه تماما » (٢٣) .

وفي الطريق الى قمة الصخرة عثروا على كتابة اثرية ، ووجدوا على القمة بيوتا وجدرانا وصهريجاً وبقايا حصون . وعلى الجزء البارز من القمة راوا برجاً مربعاً ضخماً البناء مواجهاً للبحر ، تبين لهم انها قلعة الجزيرة التي كانت تحمي الميناء من جهة البحر . « وكان للجزيرة الصغيرة ميناء ان يتسنى للمراكب الرسو فيهما » (٢٤) .

وتبين فيما بعد ان اصحاب الكتابة الاثرية التي استنسخها الضباط الانكليز ، وهم السميعف أشوع واولاده وجماعة من رؤساء القبائل الموالية له ،

دونوها بعد عودتهم من (اكسوم) واحتمائهم بحصن (الغراب) او (ماويت)
 - كما جاء في الكتابة الاثرية - وقيامهم بترميم الحصن واسواره ودرويه ،
 والقبائل التابعة له في المناطق المجاورة لمدينة (قنا) ، فقاتلت الحميريين
 وهزمتهم . وقتل في هذه الحرب ملك حمير وكثير من قادته . ودونت هذه
 بتاريخ ذي الحجة سنة ٦٤٥ من التاريخ الحميري الموافق لسنة ٥٢٥ ميلادية .



رسم تخطيطي لموقع قنا والحصن ، عمل السيد د. بي. دو

D. B. Doe

احد مدراء متحف عدن السابقين :

(١) الصخرة وعلى رأسها انقاض (حصن الغراب) وصهاريج وكتابات
 اثرية .

(٢) انقاض مدينة قنا .

(٣) مرتفع من الارض عليه انقاض ربما كانت معابد وبنائات عامة
 ومستودعات .

(٤) موقع المرفأ .

ويبدو ان السميغع واولاده وجماعة من سادات القبائل كانوا من التصاري
الحميريين ، الذين لجأوا الى الحيشة ايام (ذونواس) ، ثم عادوا مع جيش
الاحباش ونزلوا بميناء (قنا) واحتصوا بحصن (ماويت) . ومن ثم ارسلوا
جيشهم لمقاتلة جيش (ذونواس) من ناحية الشرق . بينما كان الاحباش الذين
نزلوا على ساحل تهامة والقبائل التحالفه معهم يقاتلون من جهة الغرب .

ويعد مقتل (ذونواس) عين السميغع هذا ملكا على اليمن من قبل
الاحباش . وعثر الضباط الانكليز على نقش (Cih 728) بالحصن جاء فيه ان
(صيد ابرد بن مشن) كان مسؤولا عن منطقة (بدش) (باداش) (باداس) ،
ومنطقة (قنا) (٢٥) .

وبين انقراض (قنا) توجد ، حتى يومنا هذا ، كميات كبيرة من دقيق اللبان
ممزوجا بالتراب تفوح منه عند وضعه على الجمر رائحة البخور الزكية .



المخا :

طمرت الرمال المخا القديمة بعد ان خربتها مدافع الانكليز والاطاليين
اثناء الحرب العالمية الاولى ، وبامكان المرء ان يشاهد شيئا من انقاضها على
مقربة من المخا الحالية .

والمخا ميناء قديم يرجع تاريخه الى ما قبل الميلاد ، فقد عثر فيها على
نقش بالمسند ارجع تاريخه فريق من العلماء الى ما قبل الميلاد بحوالى ٢٠٠ او
٢٥٠ سنة .

وذكر اسم المخا ايضا في كتابة سجلت فيها حروب الملك يوسف اسار ،
المشهور بذي نواس ، على الاحباش ونصارى اليمن ، فقد ورد فيه ان يوسف
اسار قاد جيشه الى (مخن) (مخن) وقاتل الاحباش فيها واستولى على
كنيستها . وكان يوسف هذا يهوديا . ويرجع تاريخ هذه الكتابة الى قبيل الغزو
الحبشي الاخير لليمن في عام ٥٢٥ للميلاد (٢٦) .

فالمخا اذن هي (مخن) او (مخان) بلغة المسند ، وهو ، لاريب ، اسمها
القديم ، فهل (مخن) هي Muza التي ذكرها صاحب (الطواف) ؟ ان الفرق
بين الاسمين كبير ، وحتى اذا صح ان تحريفا قد حدث في كلمة Muza وان
المقصود كان (مخا) فان اسم (المخا) كان قبل ظهور الاسلام (مخن) (مخان) .
ولكن من المحتمل ان Muz هي (موزع) المدينة المجاورة للمخا في البر
الداخلي ، وان المخا كانت تعرف بانها (ميناء موزع) . كما يحتمل ان تكون
ميناء مجاورا للمخا .

لقد وجد
والملاحين العرب
الاسواق اقيم

وقال ان
افريقية الجنو
الراكب عليها
Charibea

وفي عو
ميناء عدن
الجنوبية

وازدهر
الاثراك لا يسي
منها فقط ، ا
سيادتهم فيها
ويهملون ميناء
للقراصنة البر

ولكن مين
- كما ذكرنا
وجه الملاحة
المخاليه

سمهرم

سمهرم
وهو بظفار
فيها شجيرات
الامريكية لدراس
خزف تبين انها
ونذكر صا



Mocha Road. The anchorage, scene of the Dutch exploits, lies between the castles on the two spits which form the horns of the bay

(From H. Cornwall, *Observations on Voyages to India*, 1736)

طريق المخا البحري ، (جسر يستعمل كدكة المرسى)

لقد وجد صاحب (الطواف) ميناء المخا مزدحماً بالمراكب « وأصحاب السفن والملاحين العرب » والناس « في شغل شاغل بشؤون التجارة » . وهي مدينة من الأسواق اقيمت على أساس من القانون .

وقال ان اهالي (روزا) يحكمون (ربطة) Rhapta ، على ساحل شرق افريقية الجنوبي ، نيابة عن أمير (المعافر) ، وانهم يرسلون اليها كثيراً من المراكب عليها ربابنة ووكلاء عرب . وان المخا تابعة للملك الحميري (كرب ال) Charibael ملك ظفار .

وفي عهد هذا الملك أصبحت المخا ميناء اليمن الرئيسي ، بعد ان أهمل ميناء عدن ، لضعف ملك ظفار وعجزه عن مد سيطرته الى المناطق الساحلية الجنوبية .

وازدهرت المخا أيضاً في عهد الاحتلال التركي الاول لليمن ، اذ كان الاتراك لا يسيطرون الا على العواصم كصنعاء وتعز والطرق الرئيسية القريبة منها فقط ، أما المناطق البعيدة عن العاصمة صنعاء ، كساحل عدن ، فكانت سيادتهم فيها صورية ، مما جعلهم يشجعون ميناء المخا القريب من العاصمة ويهملون ميناء عدن البعيد عنها . هذا بالإضافة الى ان مراكبهم كانت تتعرض للمقرصنة البرتغالية في خليج عدن .

ولكن ميناء المخا تدهور بعد ان تخلى الاتراك عنها لصاحب (ابي عريش) - كما ذكرنا من قبل - الذي أساء معاملة التجار واراد اغلاق باب المندب في وجه الملاحة الغربية . مما ادى الى ازدهار ميناء عدن من جديد ولجوء تجار المخا اليه .

سمهرم :

سمهرم من موانئ اليمن القديمة المندثرة ، ويعرف اليوم بخور روري ، وهو بظفار . وكان في الماضي من الموانئ الهامة ، لقربه من المنطقة التي تنبت فيها شجيرات اللبان ، وكان تابعاً لمملكة حضرموت . وقد عثرت البعثة الأمريكية لدراسة الانسان تحت رئاسة ويندل فليبس في موقعه على بقايا خزف تبين انها ترجع الى القرن الاول للميلاد .

ونذكر صاحب (الطواف حول البحر الارتيري) بعد ميناء (قنا) ميناء

اسماء Moscha . وقد اختلف الباحثون حول مكان هذا الميناء فيعضهم يرى انه (خورمقشي) قرب رأس قرتك ، ويرى البعض الآخر انه ميناء ظفار .

كما ذكر موانئ صغيرة على ساحل حضرموت الى الشرق من (قنا) .

الشحر :

ومن موانئ اليمن القديمة الشحر . وفي الجاهلية كانت تقام فيها سوق في النصف من شعبان ، ويقصدها تجار البر والبحر عقب انقضاءهم من سوق (دبا) على ساحل عمان . وكانت السلع الرائجة فيها : البزوالادم واللبن والمر والصبر والدخن (٢٧) .

ويقال للشحر (الاشفا) و (سمعون) و (الاحقاف) و (شحار) . قال ابو مخزومه في (تاريخ ثغر عدن) : « الاشفا وسمعون من اسماء الشحر ولها اسمان اخران هما الاشحار والاحقاف . سميت الشحر لان سكانها كانوا جيلا من مهرة يسمون الشحرا ، وسميت الاشفا لانه كان بها واد يسمى الاشفا وكان كثير الشجر وكان فيه آبار ونخيل ، وكانت البلاد حوله من الجانب الشرقي والمقبرة القديمة في جانبه الغربي ، وسميت سمعون لان بها واديا يسمى سمعون ، وشرب اهلها من ابار بسمعون ، وسميت الاحقاف لان الاحقاف الرمال واحدا حقف » . قال الملاح اليمني باطايح :

في سوق الاحقاف العدل فيها والانصاف

وقال ابو حنيفة النقيب العدني يرد على من عاتبه على هجر عدن واختيار الشحر عوضا عنها :

عنفوني وقالوا اطلت التغرب واوحشت الوطن

وتعوضت عن صيره بصيغت واعتضت الاشفا من عدن

وبسمعون والصرحة تناسيت حقات والخان الحسن .

قال ابو مخزومة « اما صيغت فأظنه حصنا بالشحر ولعله الذي يسمونه اليوم المصبح » .

وكان للشحر حتى دخول البرتغاليين المحيط الهندي سور وحصون .

وقال محمد عبد القادر بامطرف : « لقد عرفت الشحر باسم (السوق) قبل ان تعرف باسم الشحر . كان الملاحون اليونانيون الذين وفدوا اليها في القرن الثاني الميلادي سموها في خرائطهم البحرية باسم السوق او المركز التجاري Alasa Emporium وكلمة الاسعا حرفت فيما بعد الى كلمة سعاد المحلية المستفيضة ان المنطقة الواقعة بين مسيال سمعون ومسيال دفيقة يقال لها (اللسه) وهي الارض القاحلة التي لا تنبت عليها الا الاعشاب الصغيرة المتناثرة ، فحرفت هذه التسمية الى الاسعا وسميت بها منطقة السوق التي هي ميناء الشحر » (٢٨) .

وقد تعرضت الشحر لهجمات متكررة من قبل البرتغاليين وتعرضت المراكب الراسية في مينائها للنهب والقرصنة . وكانت آنذاك مدينة كبيرة وسوقا للخيل واللبن الذكر الذي كان العرب المقيمون في مليبار وكمباي يستوردونه ليبيعه هناك . وفي الشحر كانت ترسو المراكب الذاهبة الى البحر الاحمر لانها لا تستطيع اجتياز باب المندب لان الوقت متأخر والرياح الغربية تهب عكس اتجاههم (٢٩) .

(١٠)

المراكب العربية

يعتبر
العرب الج
وقال انهم
الجلد (١)

كان
وفي
زيد ، المقبور
الاحمر بين

وفي
يرسلونها ا
(معاملة)

هذه

تغييرها بعد اتمام

(وحملناهم على ذات الواح ودرر)
قران كريم

يعتبر ثيوفراست أول من اشار من الكتاب الكلاسيكيين ، الى سفن وقوارب العرب الجنوبيين ، فقد وصف السبئيين بأنهم رجال حرب وزراعة وتجارة . وقال انهم « يسافرون على وجوه البحار ، على ظهر سفن او على زوارق من الجلد (١) » .

كان هذا شأن السبئيين ذي القرن الرابع قبل الميلاد ، في عهد ثيوفراست . وفي القرن الثالث قبل الميلاد كان مركب ذلك التاجر المعيني ، زينثيل بن زيد ، المقبور في الجيزة بمصر ، - كما ذكرنا من قبل - يجوب مياه البحر الاحمر بين موانئ مصر الشرقية وموانئ بلاد العرب الجنوبية .

وفي القرن الاول للميلاد وجد صاحب كتاب (الطواف) لاهالي المخامراكب يرسلونها الى ربطة Rhapta في بلاد (السواحل) وعليها ربابنة ووكلاء (معاملة) من العرب .

هذه بعض الادلة التي تثبت ان العرب الجنوبيين كانت لهم مراكز تسافر

الى مصر والهند وشرق افريقية قبل الميلاد بقرون لا يعرف عددها .

والعرب الجنوبيون ، كغيرهم من الشعوب البحرية القديمة ، قد بدأوا حياتهم البحرية بالمطائل والاطواف والارماث وزوارق من الجلد ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى بناء القوارب . وكما استعملوا الحبال المصنوعة من ليف النخيل في شد جذوع الرمث بعضها الى بعض استعملوها ايضا في خياطة جوانب القارب ، والاضلاع التي تسد قاع القارب .

وخياطة القوارب لم تكن خاصة بالعرب وحدهم ولا بغيرهم من سكان المناطق المطلة على غربي المحيط الهندي والبحر الاحمر ، وانما كانت - كما يبدو - مرحلة من مراحل بناء القوارب ، مرت بها غالبية الشعوب البحرية القديمة . ففي North Ferriby بيوركشاير باسكتلندا ، عثر العلماء على بقايا قاربين في قاع (خورهمبر) ، يعزى انهما من القوارب التي كانت قبائل (السلتيت) Celtic تستعملها في عبور هذا الخور والتنقل عبر الانهار . وقد صنع كل واحد منهما من الواح من خشب البلوط ، سمك الواحد منها نحو اربع بوصات ، خيط بعضها الى بعض بخيوط من ليف السدر الجبلي Yew-tree ، وطول احدهما خمسون قدما وعرضه ثمانية اقدام . وقبائل السلتيت - حسب رأي العلماء - قد عاصرت قدماء اليونان (٢) . وفي قرية Sanchi في قلب شبه القارة الهندية ، مبان اثرية ، يرجح الاثريون انها ترجع الى القرن الثاني قبل الميلاد ، عليها صورة منحوتة لقارب استعملت الخيوط في بنائه .

لكن العرب الجنوبيين ، حتى بعد شيوع استعمال المسامير في بناء السفن في غربي المحيط الهندي ، ظلوا محافظين على بناء السفن المخططة . بل ان هذه السفن لا تزال تبني ، حتى يومنا هذا ، على ساحل المهرة ، وربما بنفس الطريقة التي كانت تبني بها منذ آلاف السنين .

اما سبب بقاء استعمال الخيوط بدلا من المسامير في بناء مراكب المحيط الهندي والبحر الاحمر ، حتى بعد القرن الخامس عشر للميلاد ، فقد اختلفت الآراء حوله . فالمسعودي زعم ان مياه غربي المحيط الهندي ، او - كما اسماء - البحر الحبشي تذيب الحديد بخلاف مياه بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) . وزعم آخرون ان في البحر صخور بها مغناطيس يجذب السفن ان كان بها مسامير . لكن ابن بطوطة قال ان مراكب اليمن والهند تخاط بحبال من القنبار ،



Fig. 21. The boat as it was discovered in the mud of the Humber
بقايا قارب مخرز عثر عليها في قاع (همبر) بيوركشاير باسكتلندا .

لان البحر الاحمر وغربي المحيط الهندي كثير الحجارة فان كان المركب مسمرا
وصدم الحجارة تحطم ، واذا كان مخيطا اعطى الليونة فلا يتكسر . وهذا ايضا
رأى كل من ابن جبير والادريسي . ومن المحتمل ان مذكره هؤلاء قد يكون السبب
الحقيقي لبقاء هذه الطريقة في بناء المراكب . كما لا يستبعد ان ما ذكره قد
سمعه من افواه ربابنة وملاحى السفن التي سافروا عليها . هذا الى ان السفن
المخيطة تعتاز بسهولة في الواحها واعادة بنائها من جديد بحبال جديدة عند
تلف الاولى . وان رجال البحر . لا سيما العرب منهم ، محافظون ، شديدي
التمسك بالتقاليد والعادات التي ورثوها عن اجدادهم ، لا يتقبلون اي تجديد او
تغيير بسهولة .

ولقد حاول الحجاج ان يشجع استعمال المسامير في مراكب الخليج
العربي ، غير ان هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح . فقد ذكر الجاحظ في
(الحيوان) ان الحجاج هو « اول من اجرى في البحر السفن المقيمة المسمرة غير
المحرزة » .

والعجيب ان السفن المصرية في البحر الاحمر كانت تختلف في بنائها عن
السفن المصرية في البحر الابيض المتوسط ، فهذه كانت مسمرة وتلك مخرزة .
فابن جبير وجد اهالي عيذاب ، في اواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، يبنون
(الجلاب) ويستعملون في خياطتها امراسا من القنبار . و (الجلبة) نوع من
المراكب الكبيرة اشتهرت ببنائها سواحل البحر الاحمر وخليج عدن . ويبدو ان
رجال البحر وبناء السفن المصريين على ساحل البحر الاحمر كانوا متأثرين
بجيرانهم على الساحل العربي ، في طريقة بناء سفنهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ،
بعيدين عن اخوتهم على ساحل البحر المتوسط .

والقنبار ليف جوز النارجيل ، وكان يجلب ، في الغالب من جزائر ذيبة
المهل (مالديف حاليا) . قال ابن بطوطة : « وتحمل المراكب من جزائر ذيبة
المهل السمك المجفف وجوز النارجيل والفوط (الوليادي) والعمائم من القطن ،
ويحملون منها اواني النحاس ، فانها عندهم كثيرة ، ويحملون الودع والقنبار ،
وهو ليف جوز النارجيل يدبغونه في حذر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب
ثم تغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب ويحمل الى الصين والهند
واليمن وهو خير من القنب » .

وقبل ان يستعمل العرب ليف جوز الهند استعملوا ليف النخيل ، فهو لا

على ساحل المهرة بين السفن كما كان اجدام يتزعمها قبل الال السنين



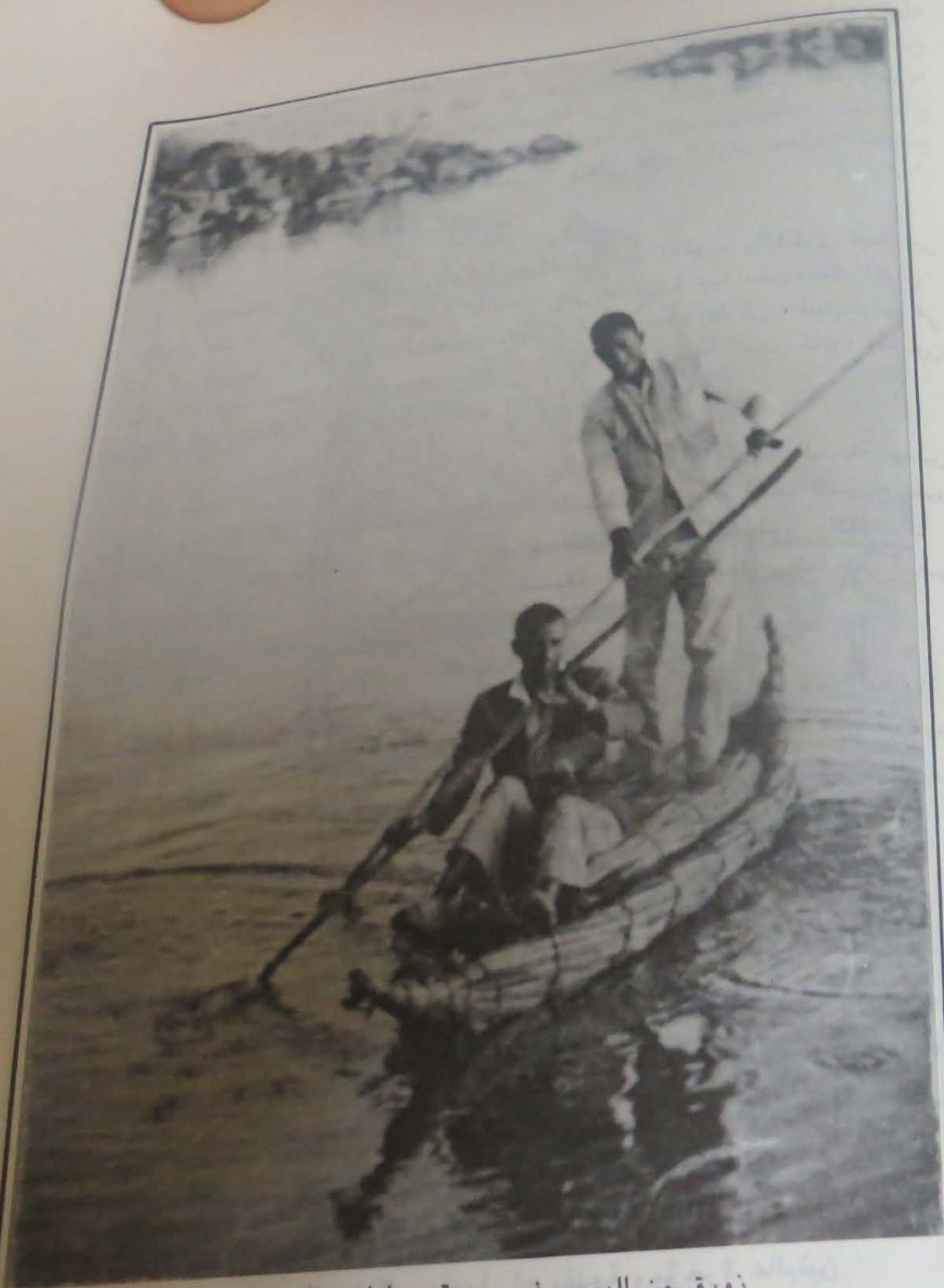
يقول متانة عن الاول . والنخلة ان لم تكن بلاد العرب موطنها الاصلي ، فهي موجودة بها منذ الاف السنين . ومن المحتمل انهم كانوا يعالجون ليف النخيل بنفس الطريقة التي يعالج بها في بعض الارياف اليمنية اليوم . فيتركونه يتقع في الماء لمدة يوم او يومين ثم يضربونه بالعصي حتى تتفصل عنه القشور ويصبح على شكل خيوط .

وفي يادى الامر استعمل العرب الشرع المصنوعة من خوص النخيل . بل ان هذه الشرع ظلت تستعمل في المراكب العربية الصغيرة بشرق افريقية حتى بعد دخول البرتغاليين المحيط الهندي (٣) . وصنعوا من جذع النخلة دقلا (٤) .

وفي الخليج العربي زوارق صغيرة طول الواحد منها نحو عشرة اقدم ، تصنع من سعف النخيل ، ليس فيها قطعة واحدة من الخشب ، ولكل واحد منها مقدمة ومؤخرة كالزوارق الخشبية العادية ، ويحمل راكبا واحدا ، وفي بعض الاحيان ، راكبين . وتسمى هذه الزوارق (هوايريه) (٥) . وهي تشبه الزوارق المصنوعة من نبات البردي التي يستعملها الاحباش في بحيرة (تانا) ويعتقد البعض ان قدماء المصريين كانوا يستعملون قبل آلاف السنين امثال هذه الزوارق في عبور النيل (٦) .

اما جوانب القوارب فكانت من الواح شقت من جذوع اشجار خاصة ، كانت تنمو بكثرة في الاحراج التي كانت تغطي اجزاء كثيرة من المنطقة الجنوبية الغربية من اليمن . وعلى الرغم من ان المزارع المدرجة قد حلت محل هذه الاحراج ، فلا زالت هناك بقايا احراج صغيرة يجلب منها الاخشاب التي تبنى بها المراكب ، حتى يومنا هذا ، بساحل تهامة .

وقد لاحظ الان فاليارس ، الرحالة والبحار الشهير ، ان المركب اليمني الذي سافر عليه في ١٩٣٩م من عدن الى جيزان ، مبني « من مجموعة غريبة من القطع الخشبية ، شئت الى بعضها بمسامير صدئة ولكنها ، على كل حال ، تبدو قوية » . وقال « وقد ابهرت على هذا القارب الصغير ستمائة ميل ، وقد سررت بكل ميل قطعته على ظهره ، حتى انني شعرت بالاسف عندما آذنت ساعة مغادرته ، ورغم حقارته التي وصفت وقلة تجهيزاته ، فقد كان سفينة بالفعل لا تقل كفاءة عن أية باخرة . وقد اعجبني الروح التي كان يتحلى بها بحارته العرب ، وهي روح لا مثيل لها في السفن » (٧) .



زورق من البوص في بحيرة « تانا » بالحبشة .

والآن فاليارس ، معروف بكتاباتة عن المراكب الشراعية القديمة ، وقوله ان المركب اليمني الذي سافر عليه قد « بني من مجموعة غريبة من القطع الخشبية » ، يدل على انه لم يستطيع معرفة نوع او انواع الخشب الذي بني به المركب اليمني مما يؤكد ان مراكب ساحل تهامة لم تكن تبني بخشب الساج الهندي كمراكب الساحل الجنوبي لليمن . وحتى هذه لا تزال ضلوعها تصنع من جذوع الاشجار التي تنمو في اليمن .

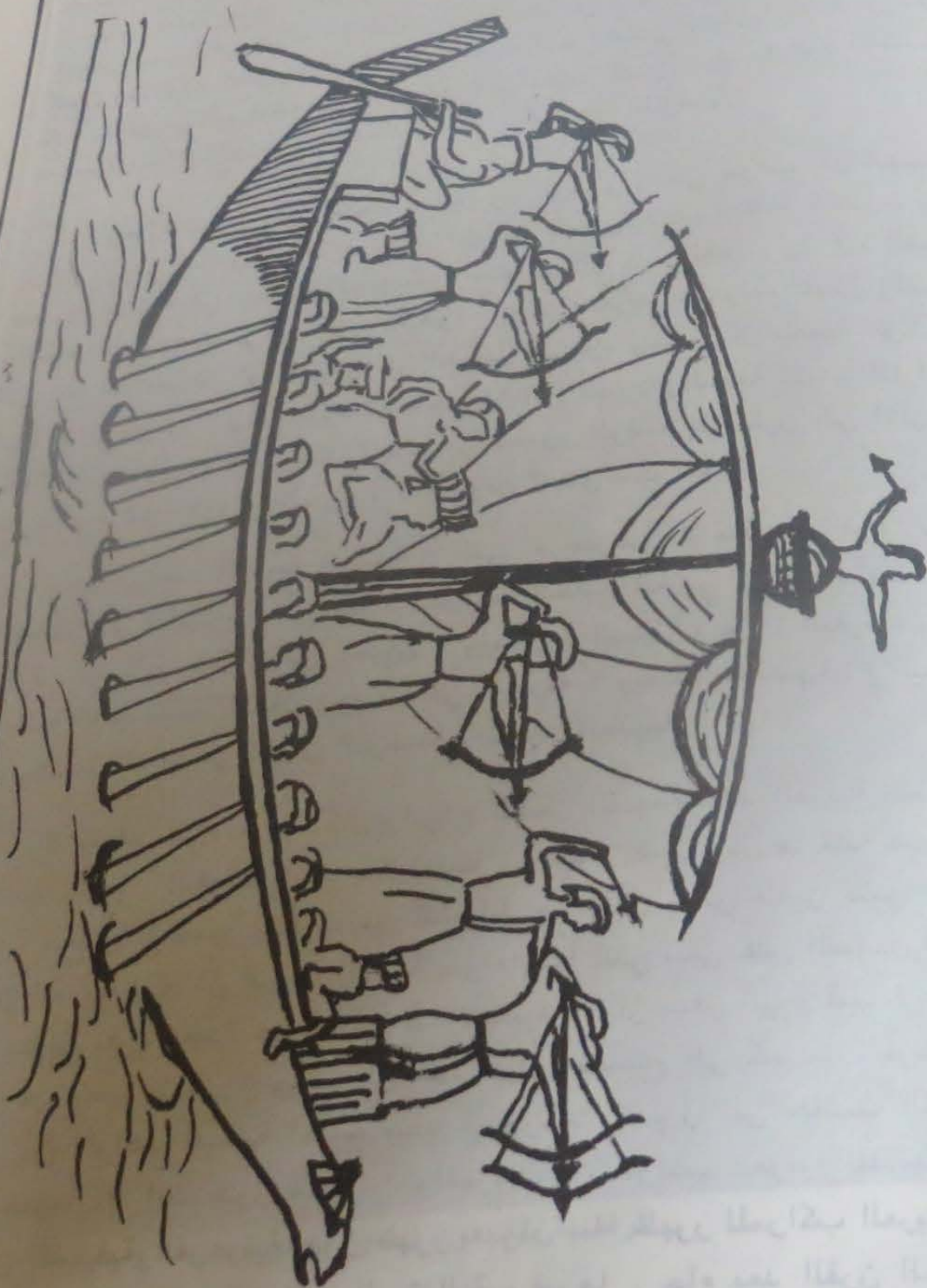
واستعمل العرب القار ودهن الحوت في سد الثقوب والشقوق فيما بين الألواح بعد خياطتها او تسميرها . وكانت عدن مشهورة ببيع دهن سمك القرش . قال ابن جبير : « يتصيدون ما صغر منها (يقصد سمك القرش) فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها ويعود شحما مذايا » . وبهذا الدهن كانوا يطلون قاع المركب لحمايته من دودة السفن (٨) .

وهدت العرب تجاربهم المريعة في المياه الخطرة والمسالك الضيقة بين شعاب المرجان ، الى صنع الشراع المثلث ، فاستطاعوا به الالتفاف السريع عند تغير اتجاه الرياح فجأة ، وتحويل مجرى السفينة بين الصخور والشعاب ، والسير بها بمهارة مذهلة في المجاري الضيقة ، حتى لكأنها - كما قال ابن جبير - الجواد الرطب العنان السلس القياد .

اما اصناف واشكال السفن العربية في العصور القديمة فغير معروفة ، فالعرب الجنوبيون لم يهتموا بتخليد رحلاتهم او رسم مراكبهم كما فعل غيرهم من شعوب العالم القديم . وكان ركوب البحار الخطرة كالبحر الاحمر ، والسفر الى موزمبيق وجزر مالديف شيء عادي لا يستحق التخليد لديهم .

واستنادا الى الرسوم القليلة التي خلفها الزراعنة والبرومانيون وغيرهم يرى بعض الباحثين ، ومنهم الان فاليارس ، ان مراكب العصور القديمة كانت ، بوجه عام ، ذات مقدمات عالية نحتت اطرافها على شكل رؤوس حيوانات مخيفة . وذهب فاليارس الى ان تماثيل رؤوس الحيوانات المخيفة على مقدمة المركب كان لارهاب الارواح الشريرة ، التي كان القدماء يعتقدون انها موجودة في البحر . وقال ان السفينة الفينيقية كانت لها مقدمة عالية يمثل طرفها رأس حصان ، كما كانت طويلة لا ظهر لها تسير بشراع واحد ومجاديف . وان السفينة القديمة بدأت على شكل جندول له مقدمة ومؤخرة عاليتين .

سفينة قرعونية حربية



لكن يبدو ان السفن التي تحمل مقدماتها تماثيل رؤوس حيوانات مخيفة كانت تستخدم للفرسنة والاعراض الحربية كالسفينات الفرعونية وسفن السيكونج ولعل الغرض من تلك الرؤوس المخيفة هو ادخال الرعب في قلوب من تهاجمهم هذه السفن ، لا ادخال الرعب في قلوب الجن والارواح الشريرة في اعماق البحر . اما السفن التجارية فلا بد ان تكون ذات مظهر مسالم كالسفن الفرعونية التي ذهبت الى (بنت) ايام الملكة حتشسبوت ، والتي كانت مقدماتها على شكل زهرة اللوتس .

ورجال البحر على ساحل حضرموت يرسمون على جوانب مراكبهم اهلة ونجوماً ويحسون ايات قرانية . ورسم الهلال والنجمة عادة انحدرت من عصور الوثنية في العربية الجنوبية ، فالهلال كان يرمز للاله (ود) (القمر) والنجمة تمثل (عشتار) ، وهي الزهرة . ولعل الغرض من رسم الهلال والنجمة على مقدمه المركب او الزورق هو التوسل الى ود وعشتار ان يحميا المركب من احوال البحر . وجاء الاسلام فاضاعوا الى الهلال والنجمة الايات القرانية . فبالنذور والعزابين كان رجال البحر في عصور الوثنية يتوسلون الى الالهة ان تحميهم من شر الارواح الشريرة لا برووس الحيوانات المخيفة .

ومن المراكب العربية القديمة ، التي لم تنقرض الا منذ عهد قريب جدا (البطيل) و (البقرة) ، وهما من مراكب الخليج العربي ، ولكل منهما على مؤخرته (شكل تمثال لرأس حصان . ويمتاز (البطيل) عن (البقرة) بطرف مقدمته الذي يشبه الكمان ، وبذنب في مؤخرته . ويعتقد بعضهم ان (البطيل) كان يستعمل قديما في اعمال القرصنة والمعارك البحرية (٩) .

ولا يعرف شيء عن اشكال وانواع السفن القديمة لبلاد العربية الجنوبية، فصاحب كتاب (الطواف) لم يذكر شيئا من هذا القبيل وكل ما قاله عنها انها « سفن صغيرة » تسير بالقرب من الشواطىء . لكن بعض الذين كتبوا عن السفن العربية يرى ان السفن اليمنية سواء منها التي تبني على الساحل الغربي او الجنوبي بقيت بعيدة عن التأثيرات الاجنبية ، وان سفن اليوم فيها لا تختلف كثيرا عن سفن الامس . ويبدو ان هذا الرأي صحيح الى حد ما ، فرغم ان الكثير من المراكب اليمنية اصبح يسير بمحركات الديزل الى جانب الشراع فانها جميعا لا زالت بدون ظهور . والمعروف ان المراكب العربية القديمة كانت كالسفن الفينيقية والفرعونية بدون ظهور . وان بناء ظهور للمراكب العربية في الخليج انما هو تقليد للمراكب البرتغالية وغيرها ، جاء بعد القرن الخامس عشر للميلاد .



قراصنة يهاجمون احدى السفن •

لكن مما
تثبيتها بالخيو
فطريقة الخياط
العدشي ، او
استعمال المسامير
كانت كالسنة
وهناك بعض
حادثتين كالسنة

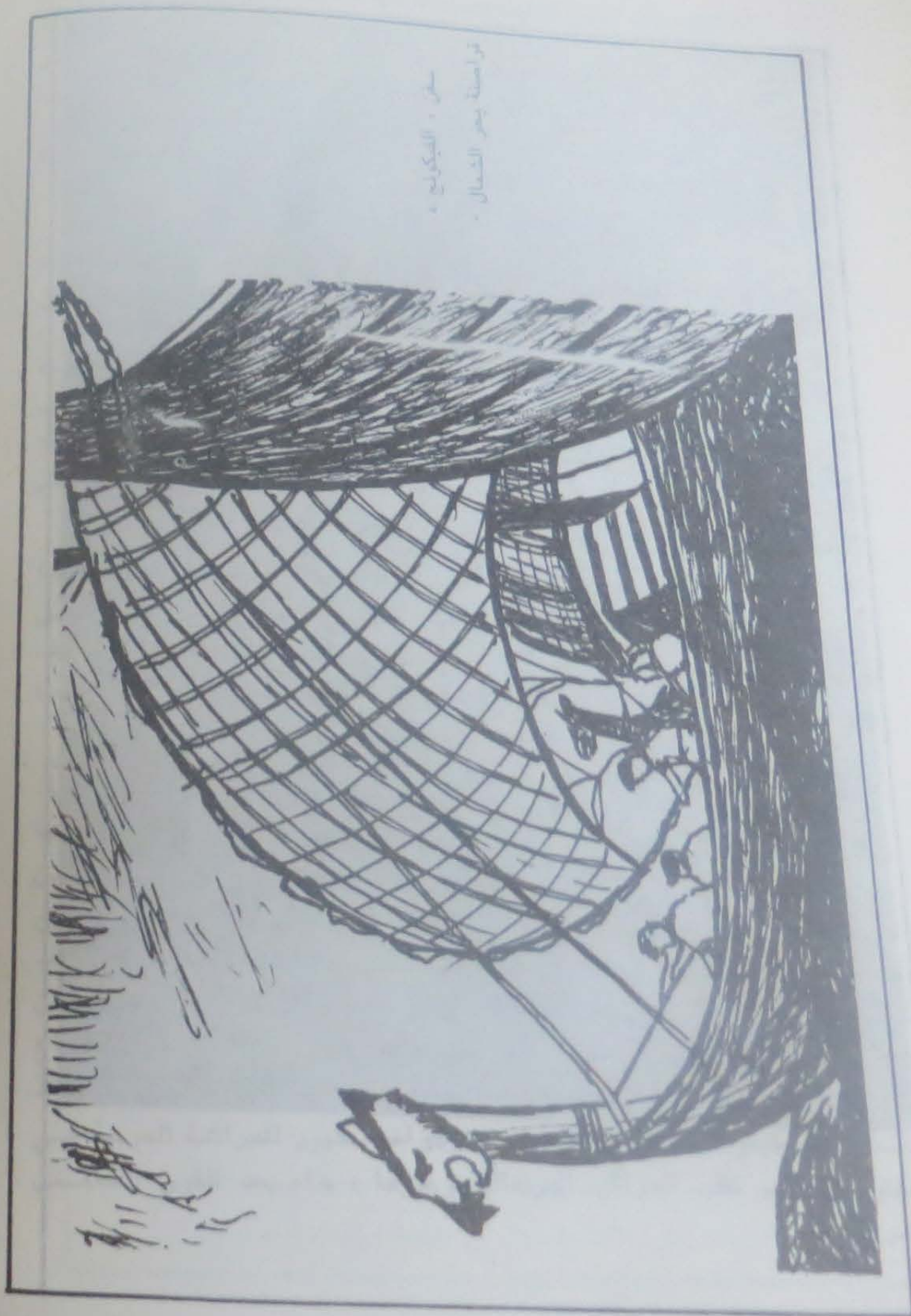
واشهر
الميلادي : الجي
سنبوق ، وال
شئها السلطان
٦ م) ، فقد كا
(طرايد) و

والجليب
كانت تنقل ،
الساحل الاقرا
المهندي ولم ت

أما الغ
الواحد ، وا
أيام مهاجمة

والطرا
على جميع
البضائع وال
بالبيارق .

واشته
هذه حتى ال
وتباع السن



سفن : الفيلو ،
قرامنة بحر الشمال .

لكن مما لا ريب فيه ان تثبيت انواع المراكب بالمسامير تختلف عن طريقة تثبيتها بالخيط الامر الذي سيؤدي الى تغيير اشكال المراكب واحجامها .
العدني ، او من تبني ظهور لها . وعليه فنن مثل هذه المراكب لم تظهر الا بعد استعمال المسامير . اما المراكب المخططة او المخززة - كما قال الجاحظ - فربما كانت كالسنبوق المهري (البشوش) ذات مقدمة ومؤخرة حادثيتين وهناك بعض المراكب المسمرة ، كالبحوم في الخليج العربي ، له مقدمة ومؤخرة حادثتين كالسنبوق المهري . وقد سميت المراكب المسمرة بـ (المسامية) .

واشهر انواع المراكب اليمنية التي كانت معروفة في القرن السادس عشر الميلادي : الجلبيه ، والغراب ، والطراد ، والسنبوق العدني ، والعبري ، والعبري سنبوق ، والطليلة . وهذه الانواع قد ذكرت في الحملة البرية والبحرية التي شنّها السلطان بدر بوطويرق على المشقاص (المهرة) عام ٩٥٢ للهجرة (١٥٤٥ - ١٥٤٦) ، فقد كان اسطوله مؤلفا من ثلاثة (غريان) وثلاث (جلاب) وثلاثة (طرايد) وعشرة (سنابيق عدنية) وثلاثين (عبري سنبوق) .

والجلبيه ، كما يبدو من وصف ابن بطوطة لها ، كانت سفينة كبيرة . فقد كانت تنقل ، الى جانب البضائع والركاب ، الجمار من الساحل العربي الى الساحل الافريقي ، وظلت الجلبيه زمنا طويلا تجوب مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي ولم تنقرض الا منذ زمن قريب جدا .

اما الغراب فاسم كان يطلق على سلسلة من السفن منها الكبير ذو الشراع الواحد ، والصغير الذي تسيّره المجاديف . وقد اشتهر الغراب كسفينة مقاتلة ايام مهاجمة البرتغاليين للسواحل اليمنية .

والطراد نوع صغير من السنابيق ، يبني على ساحل المهرة ، وهو متفوق على جميع المراكب في السرعة وخفة الحركة والالتفاف . ويستعمل في نقل البضائع والركاب واللاحاق بالسفن الهاربة . وكان بعضهم يزين صدره بالبليارق .

واشتهرت عدن ببناء السنابيق التي تحمل اسمها ، ولا زالت على شهرتها هذه حتى الوقت الحاضر . ويعتبر السنبوق خليفة الجلبيه في البحر الاحمر . وتباع السنابيق العدنية للتجار واصحاب السفن من ابناء الساحل الصومالي



المرحلة



البطيل



ecularity of Barl:

هيك البطيل



三三三

المقابل للساحل

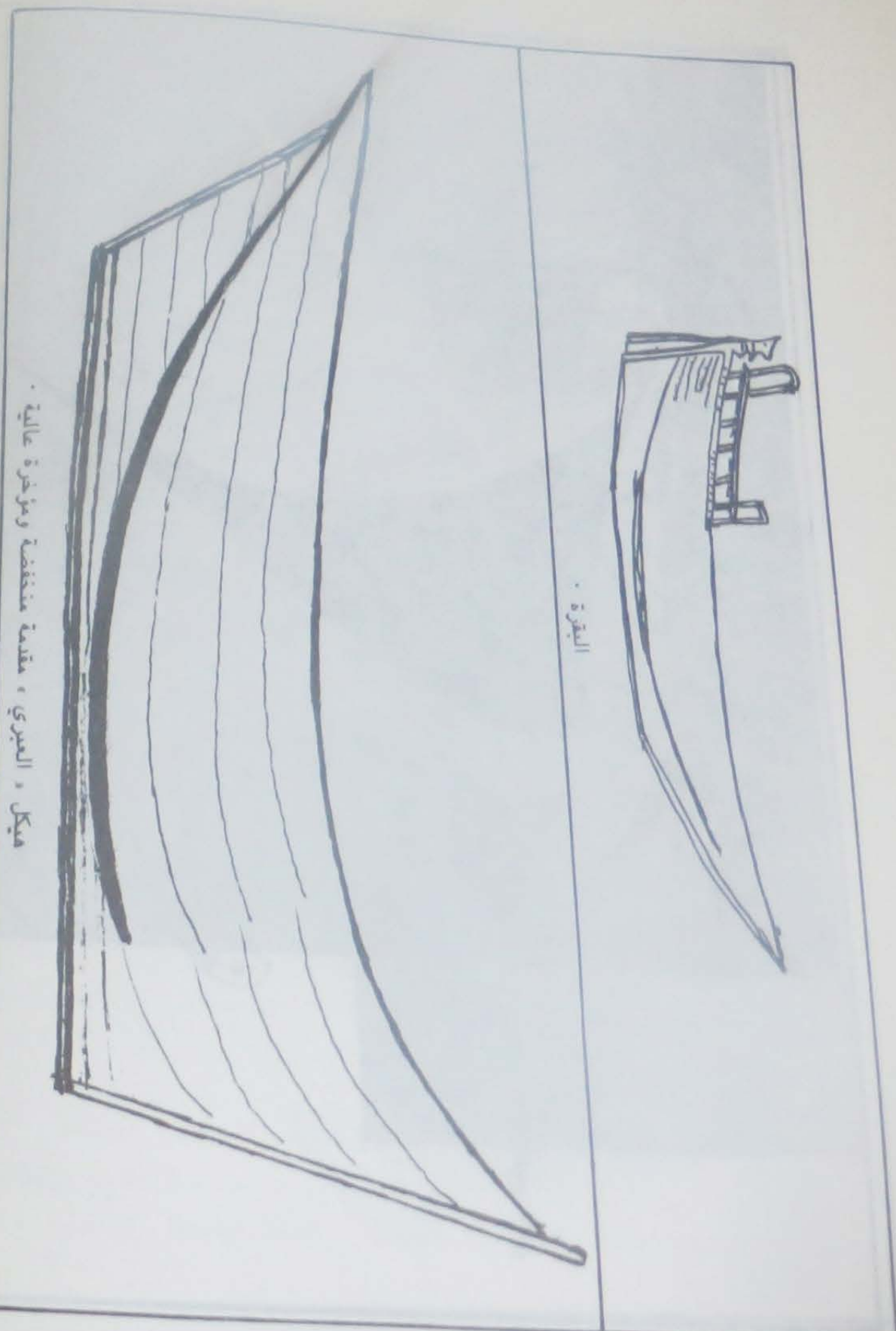
و (العبري)
السناييق له مقف
في صيد سمك

أما الطليق
القعدة من عام
(الطليعة)
(ديو) وأخير ال
يد البرتغاليين
نحو الف وسب
كتاب « اللطائف
ان مراكب المل
يسلم منها غير

واشتهر
يختلف الواحد
ومؤخرته العال

وكان ينف
الذي لا يحتاج

ولا يوج
الصفيرة التي
اصبح (السن



هيكل و العبري ، مقدمة منخفضة ومؤخرة عالية .

البقرة .

المقابل للساحل اليمني الجنوبي .

و (العبري سنبيق) أو (الينوش) باللهجة المهرية نوع صغير من السنبايق له مقدمة طويلة . يبنى على الساحل المهري وفي صور ، ويستعمل في صيد سمك القرش .

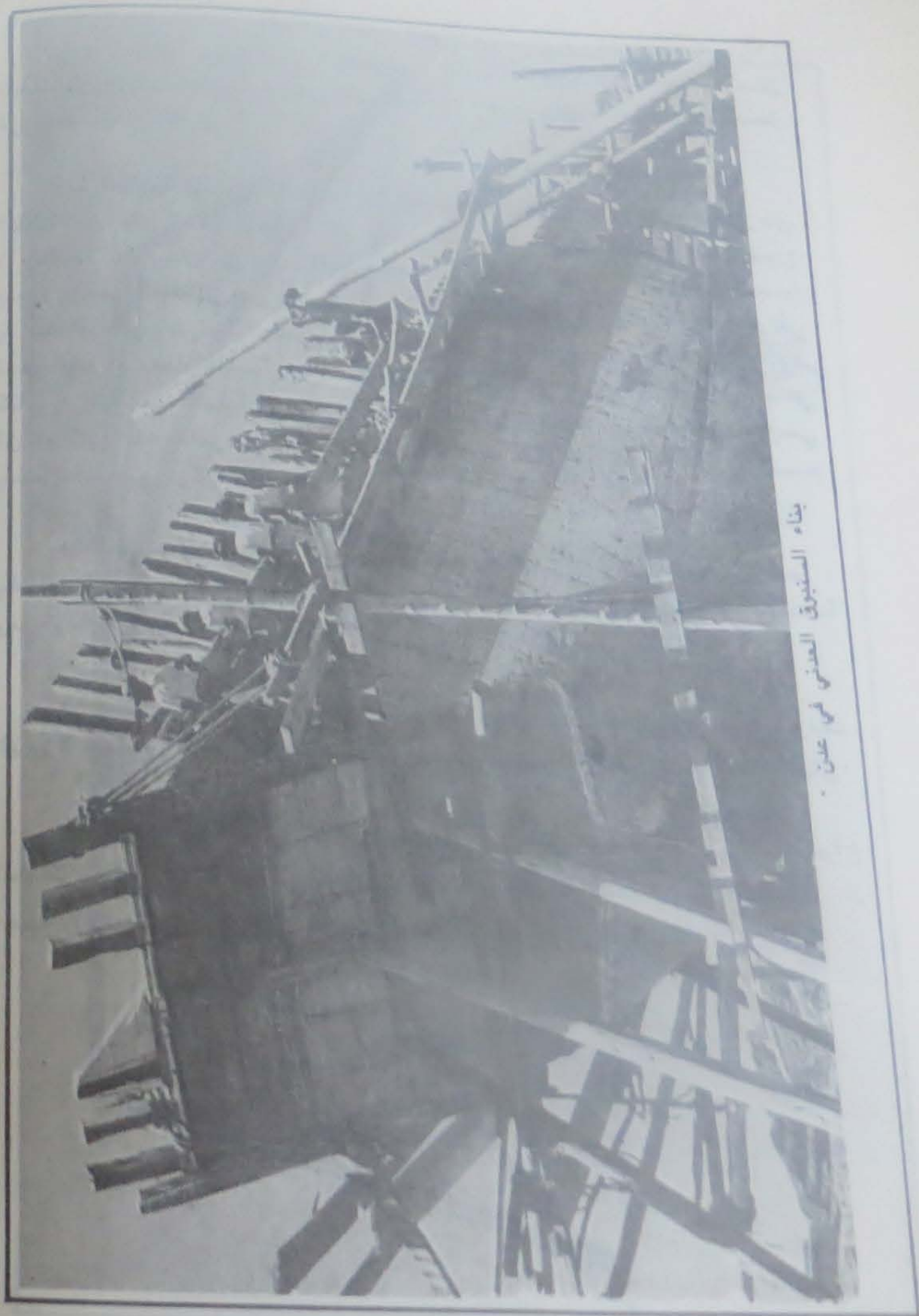
أما الطليعة فيبدو انها كانت من السفن السريعة كالطراد ، ففي شهر ذي القعدة من عام ٩٥٣ هـ وصلت الى ميناء الشحر « سفينة سريعة من نوع (الطليعة) » وكان من بين ركايبها محمد بن حسمي المهري ، الذي وصل من (ديو) وأخبر السلطان بدر بوطويرق سلطان حضرموت والشحر بسقوط (ديو) في يد البرتغاليين بعد معارك شرسة قتل فيها من البرتغاليين والمسيحيين في الهند نحو الف وسبعمائة نسمة ومن المسلمين حوالي ألفي شهيد (١٠) . وجاء في كتاب « اللطائف السننية في اخبار الممالك اليمنية » لحمد بن اسماعيل الكيسي ان مراكب الملك عامر بن عبد الوهاب الطاهري فقدت في عام ٩١٥ هـ ، ولم يسلم منها غير مركب وطليعتين .

واشتهرت المكلا ببناء العباري (جمع عبري) وهي غريبة الشكل ، يختلف الواحد منها عن جميع انواع المراكب العربية من حيث مقدمته المنخفضة ومؤخرته العالية وتصميم هيكله .

وكان يبنى منها الكبير الذي يسير بشراعين ، والصغير ذو الشراع الواحد الذي لا يحتاج الا الى نحو خمسة من النواتية وحمولته تقدر بنحو خمسة اطنان .

ولا يوجد في المكلا ، اليوم ، من العباري غير عدد ضئيل من الانواع الصغيرة التي ستقرض في يوم من الايام ، كما انقرضت الانواع الكبيرة ، اذ اصبح (السنبيق) هو الذوع السائد في جميع الموانئ اليمنية .

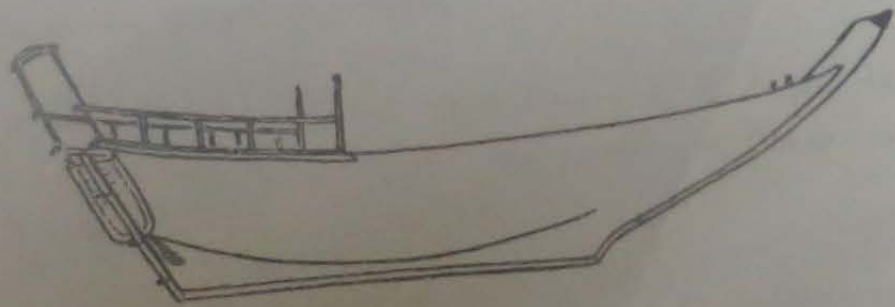
السنبوق
« البتوش »
عقد را



بناء السنبوق الحدي في عدن .



السنبوق المهري الصغير
« البنوش » تتقاذفه الامواج
عند رأس فرتك .



تفاصيل السنبوق .



مقدم السنبوق

القوارب المخرزة

ليس هناك فرق بين طريقة خرازة الزورق الصغير وخرازة قارب الصيد الكبير . ولعل هذه الطريقة ، التي هي الآن في طريقها الى الزوال ، من الاجزاء الشرقية من الساحل اليمني الجنوبي ، هي نفس الطريقة ، التي ظلت تدبج قرونا لا حصر لها ، في بناء المراكب المخرزة مثل (الجلبه) و (سنابيق) ساحل المهرة وغيرها . ولم تندثر هذه المراكب الا منذ عهد قريب جدا .

وعندما تسال رجال البحر في الشحر او سيحوت وقشن وغيرها من مراسي هذا الساحل عن اسباب عدم استعمال المسامير في بناء قواربهم ، يجيبونك بأن الامواج تأتي قوية الى ساحلهم ، والقارب المسمر ينكسر في الحال عندما تقذف به الامواج بعنف الى الساحل .

وقد مر بنا من قبل ما ذكره ابن بطوطه وابن جبير عن اسباب استعمال خيوط القنبار بدلا من المسامير في مراكب البحر الاحمر وبحر العرب ، فلا داعي هنا لذكرها مرة اخرى .

والمعلومات التالية عن طريقة بناء القوارب المخرزة قد اخذناها عن احد بناءة هذه القوارب في مدينة الشحر ، هو عبيد مقدم قطن ، وأوردنا اسماء اجزاء القارب حسبما سمعناه ينطق بها :

يوضع الهراب (١) ثم يثبت فيه كل من مقدمة القارب ومؤخرته ، ثم يثبت (الموالك) (٢) ، وهما لوحان ، بعد ذلك يأتي (القتيلان) (٣) وهما اصغر من (الموالك) ، وبعدهما يأتي (الجناحان) (٤) . وما فوق الجناحين يسمى (اللواح الدرجة) .

وتثبت اطراف اللواح بالمقدمة والمؤخرة بطريقة اقوى من ربط اللواح



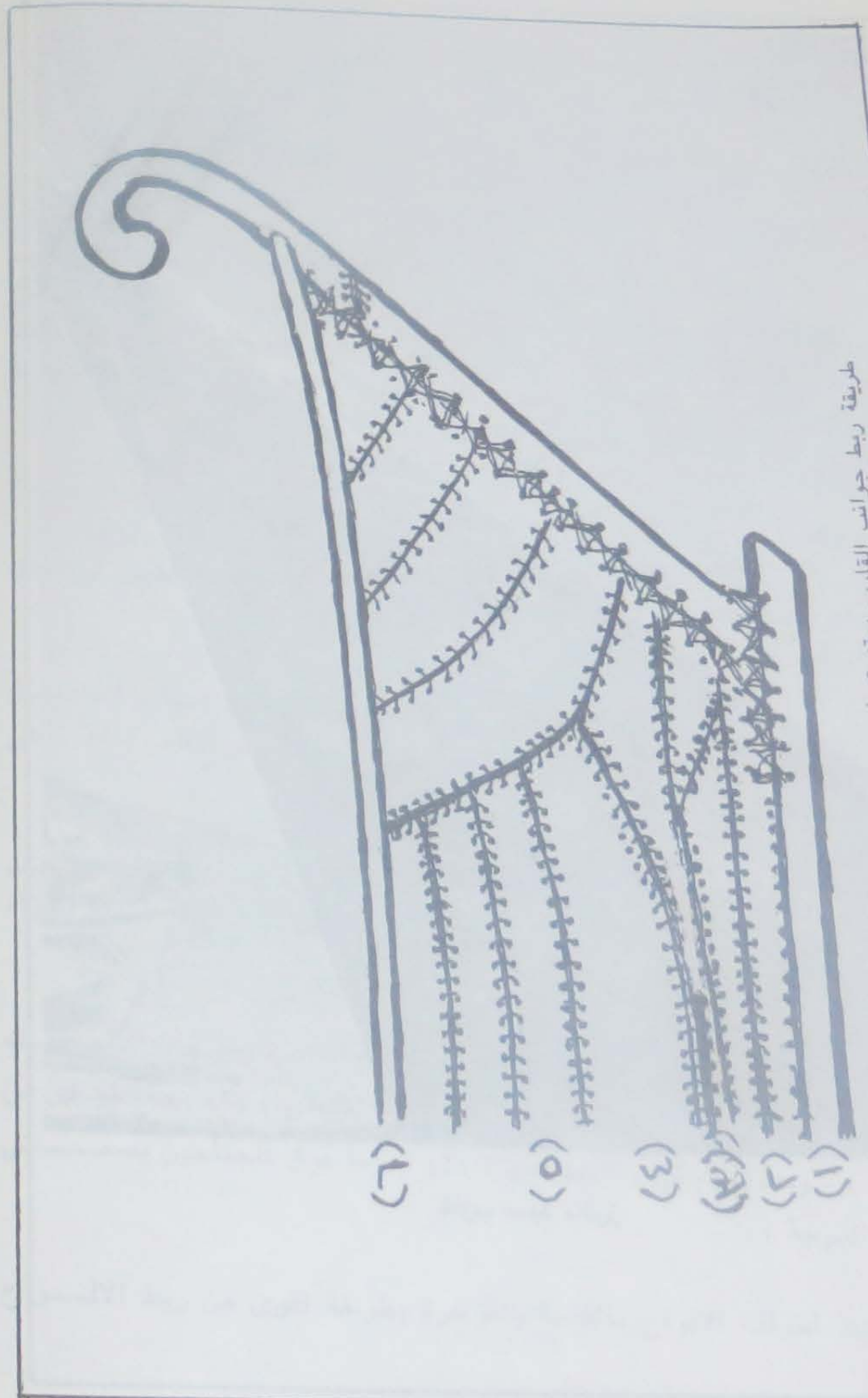
قارب صيد مخرز

بعضها ببعض ،
يصبح ربط المقد
وفي نفس الوقت

وتدخل ال
ومؤخرة القارب
(لك) ، فيما
الآن عوضا عن

وفي القو
بين اللوح وال
القوارب الكبير
(القطن) و .

وللقوار
الداخل تجد
استعمال الشر
عند طرفيه ،
واذا كان القا
المقدمة والمؤخ
القارب بدون



طريقة ربط جوانب القارب بمقدمته أو مؤخرته من الخارج .

بعضها ببعض ، ويوضع قنبار بين أطراف الألواح والمقدمة أو المؤخرة بحيث يصبح ربط المقدمة أو المؤخرة شديدا لا يسمح بتسرب المياه الى داخل القارب ، وفي نفس الوقت يمسك أطراف الألواح بقوة الى مقدمة ومؤخرة القارب .

وتدخل الخيوط في ثقب بآطراف الألواح ثم تخرج الى ثقب بمقدمة ومؤخرة القارب . ويلصق القنبار بمادة لزجة ، كانت تستعمل في الماضي تسمى (لك) ، فيما بين أطراف الألواح والمقدمة من الخارج - كما ذكرنا - ويستعمل الآن عوضا عن هذه المادة (الدامر) .

وفي القوارب يستعمل نوع من الاعشاب يسمى (حسير) أو (خوص) فيما بين اللوح واللوحي الذي يليه ويلصق بالمادة المذكورة من داخل القارب . اما في القوارب الكبيرة كسناييك المهرة فيستعمل بدلا من (الحسير) القنبار أو العطب (القطن) . ويمر خيط القنبار على (الحسير) عند ربط اللوحين .

وللقوارب المخططة ضلوع كما في القوارب المسطرة . ففي وسط القارب من الداخل تجد (الفلس) (١) وهو كبير مقعر به ثقب يثبت داخله طرف الصاري عند استعمال الشراع . وبعد (الفلس) (١) يأتي (شلماني عطف) (٢) وهو معطوف عند طرفيه ، وبعده (سجالي) (٣) وهما حنصان من الوسط عند قاع القارب . وإذا كان القارب طويلا يزداد عدد (الشلماني عطف) و (السجالي) ، وعند المقدمة والمؤخرة يأتي (الحلقوم) (٤) من الداخل . وتربط الضلوع بالألواح القارب بدون جلفاط .

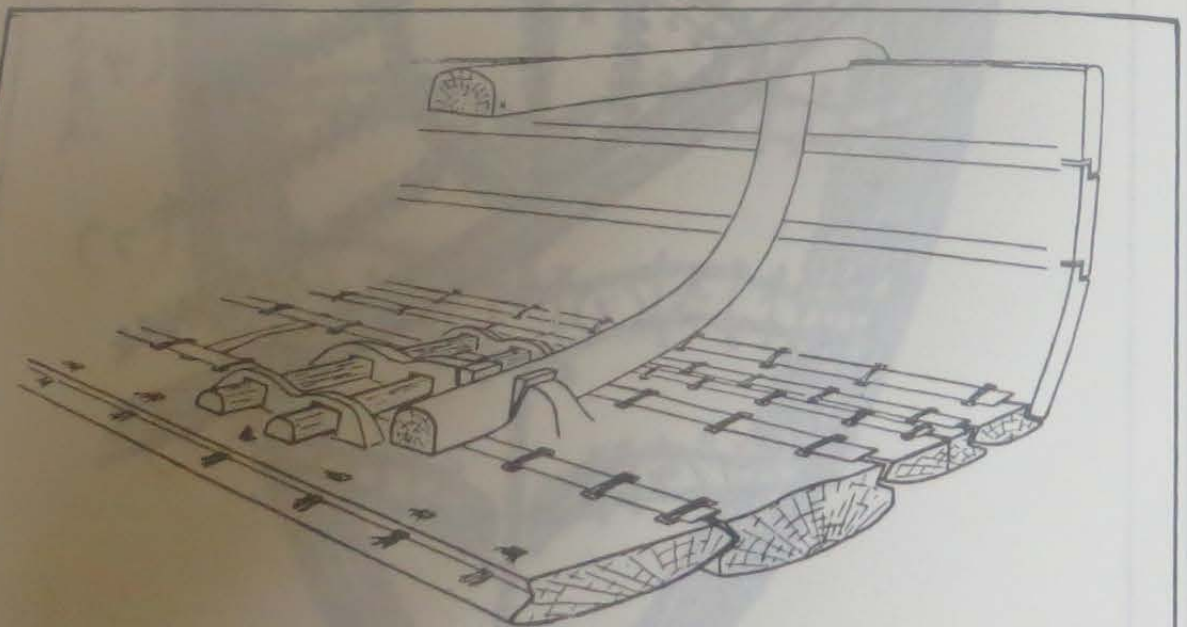
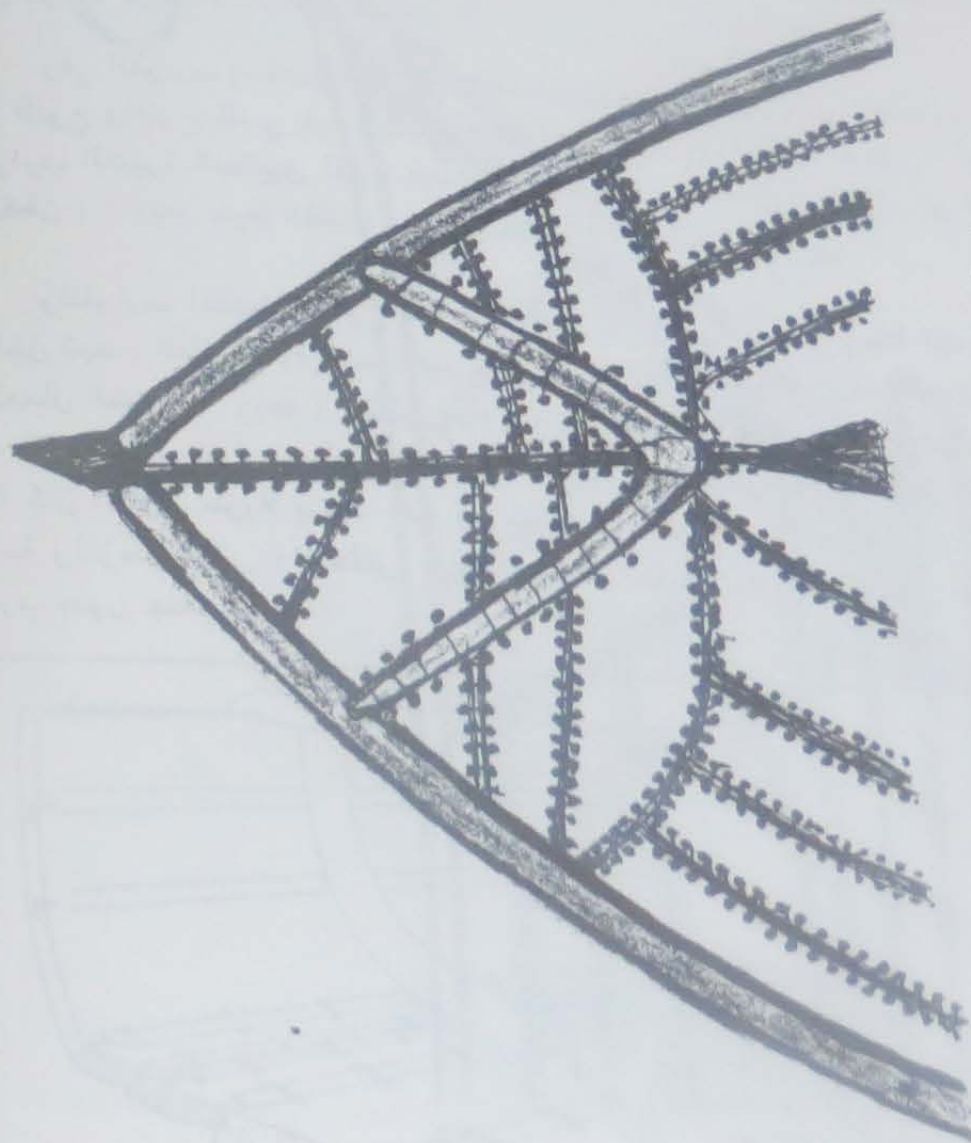
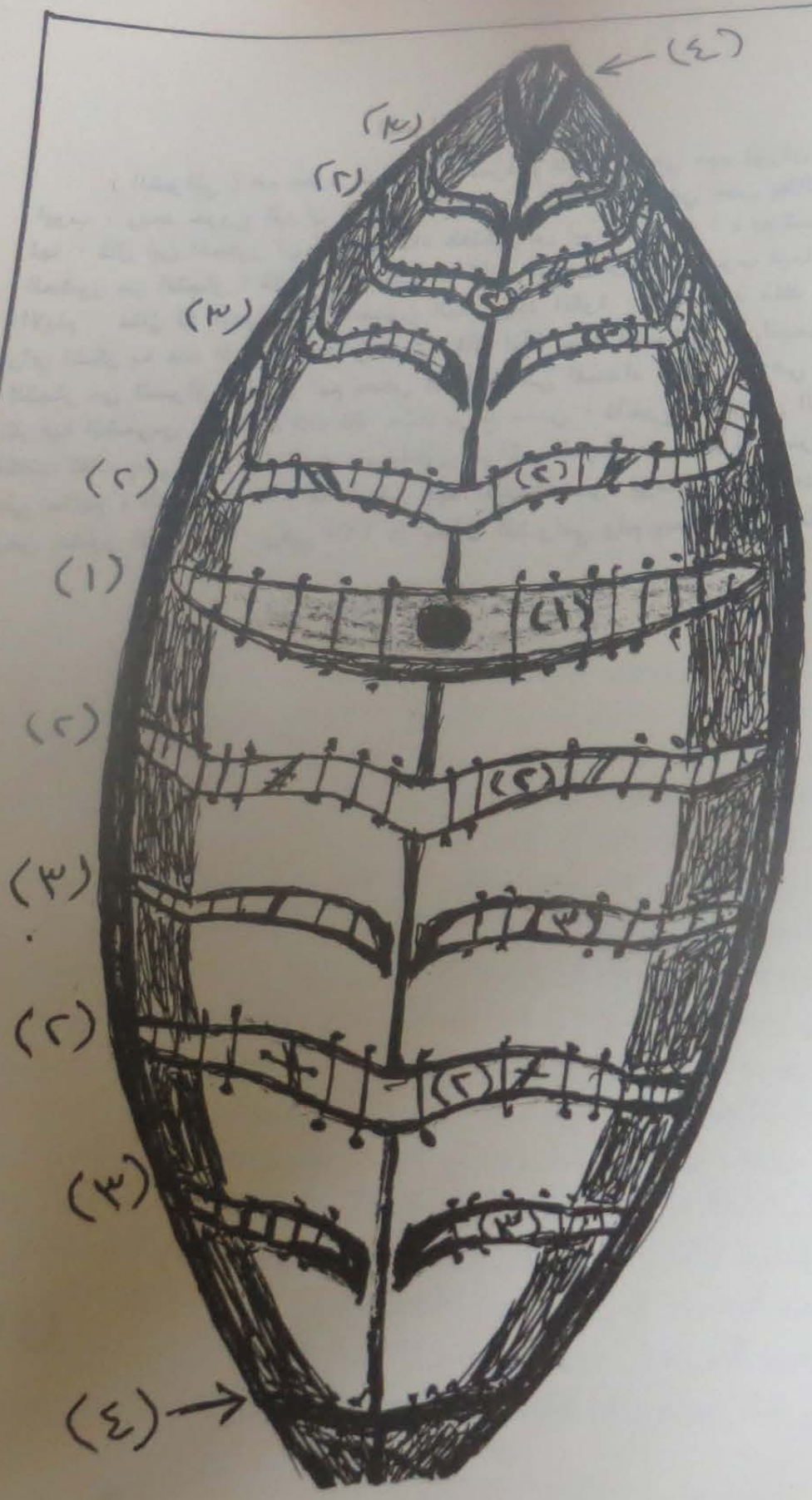


Fig. 20. How the frames were fitted

طريقة ربط الألواح ببعضها



طريقة ربط الجوانب بالقدمة او المؤخرة من الداخل .



ضلع القارب

الشواني في عدن

(الشواني) هم جنود البحر ، لم تعرفهم اليمن الا في عهد توران شاه بن ايوب . وبعد خروج توران شاه من اليمن بقيت الشواني في عدن بطالة لا عمل لها . قال ابن الجاور ان احد جلساء طفتكين بن ايوب قال له : « بم تستحل اخذ العشور من التجار ؟ قال اجري على ما كانت عليه ملوك بني ايوب فيما تقدم من الايام . فقال له انهم كانوا يأخذون الناس بيد القوة ، ولكن خذ ذلك انت على رأي تشكر به عند الخلق . قال وما هو ؟ قال انقذ بهذه الشواني الى البحر ليحموا التجار من السراق ويكون لهم بعض الشيء على السداد ، بدل ما هي بطالة تفرعها الشمس . فقال والله لقد حئت برأي حسن . فأخرج الشواني الى الهند ، فكانت تقف على رأس (المنداح) يحفظون مراكب التجار من سطوة السراق فبقوا على حالهم « الى سنة ٦١٢ هـ . وفي عهد الملك المسعود يوسف بن محمد الايوبي فرض عشور الشواني . وفي ٦٢٥ هـ ابطلت الشواني ولم يبطل عشورها .

راينا
الاحمر في ت
وتصريفهم ل
القياد « حتي

وفي
قرون ونصف
الى جيزان
اليمني مركبي
راه في هذه
الطرق الملاح
فهو « يعرف
بالضبط » .

« وكار
متوغلا بين
الرياح تهب ر
و (احمد
قاربه ، فهو
ظهرها . وق
من تفاهة ق
قصيرة على
الشديد لاني
تبين انه قار
امر فقد كان
رغم اننا تعر
المنذب . ولم
كان مواد غ
شيء من هذ
بعد منا ، ق
معاكسة في

رأينا من قبل عجب ابن جبير ودهشته من مهارة رياسته ونواتية البحر الأحمر في تسيير مراكبهم في المجاري الضيقة الملتوية بين الشعاب الكثيرة الملتفة، وتصريفهم لها في هذه المجاري كتصريف « الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد » حتى أن الوصف يضيق عما يأتونه في ذلك من العجب .

وفي عام ١٩٣٩ ، بعد رحلة ابن جبير في البحر الأحمر بأكثر من سبعة قرون ونصف ، قام الملاح فاليارس برحلة ، على ظهر مركب يماني صغير ، من عدن إلى جيزان . وكان غرضه من هذه الرحلة أن يرى الطريقة التي يسيّر بها الملاح اليمني مركبه في البحر الأحمر . أخطر بحار العالم . ولقد أعجب فاليارس بما راه في هذه الرحلة . فقد كان (أحمد اليمني) ربان المركب غير مفتقر إلى معرفة الطرق الملاحية العادية لكي يسيّر بها مركبه (الشيخ منصور) ، ولا إلى الخرائط فهو « يعرف كل موجة وكل صخرة بمجرد النظر إليها ، فيحدد لك مكان القارب بالضبط » . قال :

« وكان القارب يتهادى بنا يوما بعد يوم بتكاسل متجهًا نحو الشمال ، متوغلا بين الشعاب والصخور القرنية القريبة من شواطئ البحر الأحمر ، وكانت الرياح تهب رخاء ، والقارب يجري على صفحة الماء ، والبحارة يصومون ويصلون ، و (أحمد اليمني) يعرف طريقه . والحقيقة أنه يعرف هذه البحار كما يعرف قاربه ، فهو بحار ممتاز ، وكان قاربه من اهدأ وأسلم القوارب التي أبحرت على ظهرها . وقد تعلمت أن أقدر أحمد وبحارته ، وأن أحبهم جميعا لأنهم على الرغم من تفاهة قاربهم كانوا يحبونه ويعتبرونه خاليا من العيوب ، ولم تمض غير فترة قصيرة على وجودي بينهم ، وفي ذلك الجو المشبع بتلك الروح حتى شعرت بالخجل الشديد لأنني - بادية ذي بدء - قد بخستهم حقهم ، كما بخست القارب حقه ، إذ تبين أنه قارب صغير نشط وصالح للرحلة التي سيّر من أجلها . ومهما يكن من أمر فقد كان القارب يسيّر جيدا ويبحر بهدوء ، ولم يعكس هذا الهدوء شيء ، رغم أننا تعرضنا لموجة شديدة مرة أو مرتين خارج المخا وعند مداخل باب المندب . ولم ألاحظ أن شيئا من حمولته قد تأثر ، ولم تمتد إليه يد رغم أن بعضه كان مواد غذائية وكنا نحن جياعا . ولم يسرق شيء رغم أن البحارة فقراء وأي شيء من هذه الحمولة قد يعني ثروة بالنسبة اليهم . وعندما رأينا ذات يوم ، على بعد منا ، قاربا آخر تمزق شراعه ، أسرع أحمد إلى نجدته ، رغم أن الرياح كانت معاكسة في ذلك اليوم وكنا نجتاز مياها خطيرة » . « ثم توغلنا في البحر باتجاه

جيزان ، وكنا نبحر نهارا ونلقي مراسينا ليلا ، لان الطريق الذي كنا نتبعه محفوظ بالخطار .

ان احمد اليمني هذا لا يختلف عن ذلك الريان الذي قاد مركب ابن جبير من عذاب الى جدة ، ولا عن الريان الذي كان يقود مركب زيد ال بن زيد ، القاجر المعيني ، الذي كان يستورد المر والطيب ، لمعايد الهة مصر ، في عهد بطليموس بن بطليموس ، قبل احمد اليمني بأكثر من الفين ومائتي عاما . فالقواعد الملاحية والعادات البحرية التي اتبعها هذا او ذاك واحدة لم تتغير منذ ان بدأ اليمنيون يقومون برحلات بحرية منتظمة الى سواحل شرق افريقية .

يقول محمد عبد القادر بامطرف ان الملاحين العرب كانوا يعرفون كل شيء عن البحر . . يعرفون اعماق البحر من تلون مائه ، وبعد الساحل من الاعشاب الطافية على سطح الماء ، وأنواع السمك التي تظهر حول السفينة . وكانوا يعرفون الظواهر الجوية ويتنبأون بالاحوال الجوية . بل ان احدهم ، واسمه عوض بن احمد بن عروة ، وهو من حضرموت ، كف بصره وهو يقود المراكب في غربي المحيط الهندي والبحر الاحمر ، فلم يقعه ذلك عن مواصلة تسيير السفن ببصيرته الحادة التي لم ينل منها ذهاب البصر . كان ابن عروة « يعرف معالم الارض ويميزها ، وهو الكفيف البصر ، من مجرد شم طين قاغ البحر الواقعة امام تلك المعالم » . « وكان رحمه الله اذا هبت نسمة ادرك منها ما اذا كانت الريح ستهب رخاء ام انها نذير عاصفة . لقد كان ابن عروة مثالا للملاح الماهر الموهوب ، وكان الملاح ابن ماجد قد عناه ، بقوله :

ومفلق البحر مع المفتاح
والحوت والحشيش خذ اخباري
او ان يكون الوصف قد حققته

وينبغي معرفة الارياح
والطين والحيات والاطيار
لا تعتبر الا بما جربته

وعند فجر الاسلام اشتهر الملاح اليمني المعلم محمد بن شعبان الازدي « الذي تذكر السجلات الملاحية القديمة انه كان مشهورا في فنه (١) » .

ولو لم يكن معظم البحارة اليمنيين القدماء أميين لوجدناهم كابن ماجد وسليمان المهري ، قد خلفوا كثيرا من الكتابات عن مراكبهم وطرقهم الملاحية ومعارفهم وعاداتهم البحرية .

وابن ماجد هذا هو شهاب الدين احمد بن ماجد ، الذي قاد سفن (فاسكو داغاما) من ماليندي بشرق افريقية الى كاليكوت بساحل الهند الغربية ، فاستحق

بذلك بغض البحارة والتجار العرب له ، لانه عجل بزوال سيطرة العرب على
تجارة المحيط الهندي ، وظلت خيانتة هذه تترد على السنة البحارة ، جيلا بعد
جيل ، حتى زمن قريب جدا ، مع انه كان باستطاعته - كما قال علي النجدي ،
الربان الكويتي المشهور ، لآلان فاليارس - ان يقود السفن البرتغالية الى صخور
جزر الفاو (كالديف) ، فيحطمها (٢) .

وولد ابن ماجد عام ١٤٢٤ في جلفار (رأس الخيمة) بالخليج العربي ،
الف في الارشادات الملاحية كتاب « الفوائد في أصول وعلم البحر والقواعد »
وكتاب « الحاوية » ، قال في « الفوائد » ان الملاحين العرب القدماء كان مجراهم
(تحت الريح) أي انهم كانوا يهتدون بمعالم البر في سيرهم وأسفارهم من سواحل
بلاد العرب الى الصين .

وقد عاصر ابن ماجد ملاح يماني مشهور هو الحكم سليمان الجومري
المهري . وله ثلاثة كتب في الملاحة البحرية هي « المنهاج الفاخر في علم البحر
الزاخر » و « قلادة الشمس » و تحفة الفحول ، .

وفي القرن السادس عشر للميلاد تعرض البحارة اليمنيون للخطف والتقتيل
من قبل البرتغاليين والقراصنة الغربيين . وكانوا يجبرون على ارشاد السفن
البرتغالية في المياه الخطرة والمجاري الضيقة التي لا يعرفها البرتغاليون .

وفي أواخر القرن الثامن عشر اشتهر الملاح اليمني باطايح واسمه سعيد
بن سالم بن طايح ، وهو من قرية (الحامي) بحضرموت . له منظومتان في علم
الملاحة أولاهما في السفر من (سيحوت) الى جزيرة (زنجبار) ، والثانية في
السفر من مسقط الى المخا . والمنظومتان باللهجة الحضرمية ، قام بجمعهما
وشرحهما محمد عبد القادر بامطرف في كتيب أسماه « الرفيق النافع على دروب
منظومتي باطايح » .

وبعد فما سليمان المهري ، وابن عروة ، وباطايح وأحمد اليمني ، الانماذج
لأولئك البحارة الذين كانوا يسافرون الى (سفالة) ، في جنوب افريقية ، وجزر
جاوا ، وملقا ، وسواحل الصين ، مستعينين في ذلك بتجاربيهم الطويلة في
البحر ، وما تعلموه من القواعد الملاحية .

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript or letter. The text is written in a cursive style and covers most of the page. It appears to be a formal document, possibly a decree or a letter of appointment, given the use of honorifics and the structured nature of the writing. The text is arranged in several paragraphs, with some lines indented. The ink is dark, and the paper shows signs of age and wear.

(١٢)

عادات وتقاليد بحرية

استقبال

رأينا من
والسهم ، بالطريق
أخذت هذه الع
العربية والشاء
المراكب تستقبل
الاحمر . وليس
إضافة الى انه
ايضا النافذة ا

ففي ميناء
الكسوة الكامل
هؤلاء الى الس
الطبول وتنفع
الوزير وامير
الرابع يأكلون
اجل استجلاب

وفي (ك
لاستقبال مركب
البحرين ، وال

استقبال المراكب :

رأينا من قبل ان قريش كانت تستقبل قوافلها التجارية العائدة من اليمن والسم ، بالطبول والتصفيق وصيحات وترانيم الفرح . وقلنا ان قريش ربما اخذت هذه العادة ممن سبقها في الاشتغال بالتجارة من شعوب وقبائل البلاد العربية والشام . وبالطبول والتصفيق الحاد وصيحات الفرح ايضا كانت المراكب تستقبل في بعض الموانئ الهامة في غربي المحيط الهندي والبحر الاحمر . وليس غي هذا الاستقبال شيء عجيب فالمراكب والقوافل التجارية اضافة الى انها كانت بمثابة شريان الحياة للبلدان التي تمر بها ، فانها كانت ايضا النافذة التي تطل منها شعوب هذه البلدان على العالم الخارجي .

ففي ميناء ظفار كان سلطانها ، ايام ابن بطوطه ، يرسل عبيده ومعهم الكسوة الكاملة لكل من صاحب المركب او وكيله ، والريان ، والكاتب ، وينزل هؤلاء الى الساحل فيركبون الخيل التي احضرت من اجلهم ، وتضرب امامهم الطبول وتنفخ الابواق من ساحل البحر الى قصر السلطان ، فيسلمون على الوزير وامير الجند . ويقدم الطعام لكل من بالمركب لمدة ثلاثة ايام ، وفي اليوم الرابع يأكلون بدار السلطان . وهذه الحفاوة هي - كما قال ابن بطوطه - من اجل استجلاب اصحاب المراكب .

وفي (كاليكوت) ، عاصمة وميناء اكبر واقوى امارات بلاد المليبار ، خرج لاستقبال مركب ابن بطوطه ، ابراهيم شاه بندر (امير الميناء) ، وهو من البحرين ، والقاضي الشيخ شهاب الدين ، وكبار التجار ، ونائب السلطان

السامري ، ومعهم الطبول والانتفاخ والاعلام في مراكبهم . وكان دخولهم المرسى - كما قال ابن بطوطة - في « بروز عظيم » لم ير مثله بتلك البلاد . واقاموا في كاليكوت في ضيافة سلطانها ينتظرون السفر الى الصين .
اما اهالي مقدشو فكان من عادتهم انه متى وصل مركب الى المرسى تستقبله الزوارق وعلى كل واحد منها مجموعة من شبان مقدشو ، مع واحد منهم طبق مغطى فيه طعام يقدمه لمن يختاره من التجار ، ويقول (هذا نزيلي) . ولا ينزل التاجر من المركب الا الى دار مضيغه من هؤلاء الشبان ، عدا من كان كثير التردد على الميناء ، وكانت له معرفة باهله فانه ينزل حيث يشاء . فاذا نزل التاجر الغريب فان مضيغه يقوم ببيع ما لديه من البضائع وشراء ما يرغب في شرائه من سوق المدينة . ومن اشترى من التاجر او باع منه بدون حضور مضيغه فذلك البيع مردود .

ومثل هذه العادة شاهدها ابن بطوطة في جزائر ذبية المهل (مالديف) ، فعند قدوم مركب الى احدى الجزر تخرج (الكتادر) ، وهي زوارق صغيرة ، وعليها بعض اهل الجزيرة ومعهم (التنبل) وجوز الهند الاخضر ، فيعطى الواحد منهم لمن شاء من اهل المركب ويكون نزيله ، ويحمل امتعته الى داره كانه احد اقاربه .

وفي (فاكنتور) ، عاصمة وميناء احدى امارات المليبار ، قال ابن بطوطة ، ان سلطانها بعث اليهم احد اولاده ليقوم في المركب كرهينة . وانه اضافهم ثلاثة ايام باحسن ضيافة ، تعظيما لسلطان الهند ورغبته فيما يستفيد من التجارة مع اهل المركب .

وفي جزيرة جاوه كان الاهالي يخرجون في زوارق صغيرة للقاء المركب عند دخوله المرسى ومعهم جوز الهند والمرز والمانجو والسكك يهدونها للتجار فيكافئهم هؤلاء كل على قدر استطاعته .

اما في عدن فكان اهلها يختارون شخصا حاد البصر ، اسماه ابن المجاور (الناظور) ، ليقوم بمراقبة البحر ، فيجلس على نروة الجبل الاخضر ، فاذا شاهد خيال شيء في عند شروق الشمس او غروبها قاس ذلك الشيء على عود فان تحرك ذلك الشيء الى يمين العود او شماله عرف انه طير او غيره ، اما اذا ظل خيال ذلك الشيء ثابتا امام العود عرف انه مركب ، فيشير الى زميل له صارخا (هيريا) ويشير زميله الى زميل ثالث ، وهذا يشير الى رابع دعاه ابن المجاور (الجراب) ، فيذهب هذا الى والي البلد يعلمه بوصول المركب ثم يعلم مشائخ الأرضة ، ويصعد بعد ذلك الى نروة جبل ، مطلة على المدينة ، وينادي بأعلى صوته : « هيريا .. هيريا .. هيريا » ، فاذا سمع الاهالي صوته ارتقوا الجبال واسطح المنازل ، ينظرون يمينا وشمالا ، فاذا

كان ما ذكره صحيحا يعطى له من كل مركب دينار ملكي من الفضة ، وان كان كاذبا يجلد « عشر عصى » . وعند اقتراب المركب من الميناء يركب المبشرون السنائيق لاستقبال المركب . وعند وصولهم يصعدون ويحيون الناختوة (الريان) ، ويسألونه من اين وصل ويسألهم هو عن البلد ، ومن واليها ، وعن اسعار السلع . وكل من يكون له من ركاب المركب اهل او معارف في البلد « اما ان يهنئوه او يعزوه » . ويكتبون اسم الناختوة واسماء التجار في المركب ، ويسلمهم كاتب المركب قائمة بما في المركب من البضائع . ثم يعودون الى زوارقهم ويتوجهون رأسا الى الوالي ويسلمونه القوائم ويحدثونه بحديث المركب ، ثم يخرجون ويسيرون في شوارع المدينة « يبشرون اهل من وصل بجمع الشمل ويأخذ كل منهم بشارته » .

لكن اغرب استقبال للمراكب هو استقبال الشبان المهرين . فعندما يقترب المركب من المرسى تركب مجموعة من الشبان الزوارق وتستقبله في عرض البحر ، ثم يصعد الشبان الى المركب ويقفون صفا فيه ، واجسامهم مغطاة بقطع من الجلود والخيش (الجوت) ، وعلى رؤوسهم بعض الاعشاب الجافة ، ويسمى رئيسهم (الموافي) . وعندما يسألهم وكيل المركب (الصربخ) عن اخبار البلد يجيبه (الموافي) بما يكره ان يسمعه كأن يقول له ان زوجته سقطت وانكسر ساقها وانه سيجدها قد غارقت الحياة عند وصوله الى البلد . واذا سأل واحد من الركاب او البحارة عن اهله يجيبه « ان اخاه اصابه العمى ، او ان زوجته وضعت طفلا من غيره وما الى ذلك من الاجابات الجارحة . ويجري هذا الحوار وسط عاصفة من ضحكات من في المركب ولعناتهم وشتائمهم التي يحاولون بها اثارة سخط (الموافي) وزملائه . وبعد هذا الاستقبال العجيب يجلس الجميع لتناول الطعام والقهوة . ثم يعطى للموافي وزملائه هدية من الاطعمة الموجودة في المركب .

الفولة :

عند اقتراب المركب من مدينة سقطرى او جبل كدمل ، كان بحارته يأخذون قدرا يصنعون له ما يشبه الشراع والدفة وجميع اجزاء المركب ، ثم يضعون شيئا من كل صنف من اصناف الطعام الموجودة في المراكب ، وملح ورماد ، ثم يلقون به في البحر . ويقال لهذا العمل (الفولة) . وكانوا يعتدنون ان المركب لا يصل سالما الى لحف الجبل اذا لم يعمل اصحابه (الفولة) .

وعند رأس غرتك كانت (الفولة) تقدم للمارء الذي يعتقد البحارة انه
يسكن في رأس غرتك ولا يترك المراكب تمر بالرأس بسلام بدون الفولة .

لكن (الفولة) في عدن والمناطق الجاورة لها تختلف عن (فولة)
البحارة . فعندما يعود المرء سالما من سفر الى اهله في عدن او ينجو من
الهلاك في حادثة خطيرة ، يقوم اهله بتوزيع الحلويات على الاطفال . ويسمون
ذلك (الفولة) . وهذه تشبه تلك المنذور او القرابين التي كان اليمينيون ، في
عصور الوثنية ، يقدمونها لآلهتهم عند عودتهم سالمين من حروب في اراضي
اعدائهم .

اما (فولة) البحارة فتشبه (ضحية الجبل) لدى اهالي عدن قبل ايام
ابن المجاور ، اي قبل قيام دولة بني رسول في اليمن . فقد جرت العادة من
قديم الايام ، اذا تأخر قدوم المراكب في (موسم ثغرعدن) ، ان تساق سبع
بقرات عند الاصيل الى جبل (صيرة) ، وتبقى هناك الى منتصف الليل ، ثم
ترد ست بقرات الى المدينة ، وتبقى واحدة يضحي بها في صباح اليوم التالي ،
ويقال لهذه الضحية (ضحية الجبل) ، ويعتقدون ان المراكب ترد بعد ذلك
تباعا . وهي تشبه ايضا (ضحية النيل) لدى الفراعنة .

صدر السمر :

يقول بامطرف في « الرفيق النافع » ان العمل الليلي في المراكب العربية
يوزع على نوبتين : النوبة الاولى ، وتسمى « زام اول » ، يقوم بها فريق من
البحارة ، ويقوم الفريق الثاني بالنوبة الثانية او « زام ثاني » . ويضاف الى
كل فرقة احد طباخي السفينة لصنع القهوة وتوزيعها على افراد الفرقة ، وشخص
من البحارة لديه القدرة على رواية القصص والاحاديث الشيقة ، واخبار
الحروب الماضية واساطير الجن والعفاريت ، والسحرة ، وغيرها ، وتكون
مهمته مسامرة افراد الفرقة وطرد النعاس عن اعينهم ، « ويعطى له اجر اضافي
في مقابل قيامه بهذه المهمة » .

المراجع

١ - المسند

- (١) الدكتور جواد علي ، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٣١ .
- (٢) الدكتور جواد علي ، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .
- (٣) الدكتور جواد علي ، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .
- (٤) National Geographic Magazine, Washington, April, 1965
- (٥) جورج حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي (تعريب الدكتور يعقوب) ص ٣٣
- (٦) جورج حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي (تعريب الدكتور يعقوب) ص ٤١
- (٧) جورج حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي (تعريب الدكتور يعقوب) ص ٦١
- (٨) أدولف جرمان ، الناحية الاثرية لبلاد العرب الجنوبية (التاريخ العربي القديم)
تعريب الدكتور فؤاد حسنين علي ، ص ١٥٢ .
- (٩) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٥٠١ (نقل)
(Beitrage S. 8, 58, 70)
- (١٠) رينه ديسو ، العرب في سوريا قبل الاسلام (تعريب عبد الحميد الدواخلي) ص ٧٤

٢ - التوراة والرقم الآشورية

- (١) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
- (٢) ف . هومل ، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ، ترجمه ونقله الى (التاريخ العربي القديم) الدكتور فؤاد حسنين ، ص ٦٤ .
- (٣) احمد حسين شرف الدين ، تاريخ اليمن الثقافي ، ص ٥٨ .
- (٤) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٢٣٤ .

٣ - الكتب الكلاسيكية

- (١) Herodotus, Book Three, p. 219-222 (Translated by A. de Sélincourt)
- (٢) ج . بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب (ترجمة قدرى قلعجي) ص ٥١ .

٥ - الحضارة

(١٤)

(١٥)

٦ - القبايل

(١) برستد

(٢) جواد

(٣)

(٤)

(٥) الرافعة

(٦)

(٧)

(٨) ج . م

٧ - قوافل

(٩) الزوز

(١٠) و . ق

(١١) جواد

(١٢) سعيد

(١٣) سعيد

(١٤) الهمد

(١٥) جواد

(١٦) جواد

(١٧) جواد

(١٨) نجم

(١٩) جواد

(٢٠) جواد

(٢١) عما

(٢٢) جو

(٢٣) ج

ص

- (٣) جواد . الفصل . ج ١ . ص ٥٧ .
- (٤) بيرين . اكتشاف جزيرة العرب (ترجمة قلعي) ص ٢٩ .
- (٥) ويندل فيليس . كنوز مدينة يافس (تعريب عمر الديراوي) ص ٢٧ .
- (٦) برستد . انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) ص ٢٤ . ٢٤ (ترجمة الدكتور احمد فخري)
- (٧) Antiquities, Report for the Year 1964, No. 7 September
- (٨) حوراني . العرب والملاحة . ص ٦٢ (ترجمة الدكتور يعقوب بكر)
- (٩) بيرين . اكتشاف . ص ٣٠ .
- (١٠) بيرين . اكتشاف . ص ٣٠ .
- (١١) جواد . الفصل . ج ٧ .
- (١٢) التاريخ العربي القديم (تعريب د . فؤاد حسنين) ص ١٥٣ .
- (١٣) جواد . الفصل . ج ١ . ص ٥٧ .
- (١٤) عبدالرحمن بن علي الديبع . بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد (مخطوط)
- (١٥) بيرين . اكتشاف . ص ٣٠ .

٤ - العربية الجنوبية وشرق افريقية

- (١) جواد . الفصل . ج ١ . ص ١٤٢ .
- (٢) ابو محمد عبد الله الطيب ابو مخزومة . تاريخ ثغر عدن . ص ٨ (طبعة ليدن ١٩٣٦)
- (٣) الدكتور يسري الجوهري . شمال افريقية . ج ٢ . ص ١٦٤ .
- (٤) جواد . الفصل . ج ١ . ص ٢٢٧ - ٨ .
- (٥) محمد بن احمد العقيلي . الخلاف السليمانى . ج ١ (نقلا عن الخزرجي في حوادث عام ٧٧٢ هـ)
- (٦) R. B. Serjeant, The Portugues off South Arabia Coast, p. 19-20
- (٧) R. B. Serjeant, The Portugues off South Arabia Coast, p. 9
- (٨) Basil Davidson, The African Past, p. 35
- (٩) Basil Davidson, The African Past, p. 137 (from the book of Duarte Barbos).
- (١٠) ابو عبدالله بن محمد بن بطوطة . تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار
- ج ١ ص ١٦٢ (تلخيص ابن جزي)
- (١١) حوراني . العرب والملاحة . ص ١٢٨ .
- (١٢) B. Davidson, The African Past, p. 157 (from Alcancova letter of 1506).
- (١٣) B. Davidson, The African Past, p. 154

٥ - الحضارة السواحلية

- (١٤) B. Davidson, The African Past, p. 134-41
(١٥) B. Davidson, The African Past, p. 156

٦ - التبادل التجاري بين شعوب العالم القديم

- (١) برستد ، انتصار الحضارة (تعريب الدكتور فخري) ص ١٦٠ .
(٢) جواد ، الفصل ، ج ١ ، ص ٥٦٥ .
(٣) B. Davidson, The African Past, p. 59
(٤) B. Davidson, The African Past, p. 60
(٥) الرافعي ، تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة ، ص ٩١ .
(٦) B. Davidson, The African Past, p. 64-65
(٧) B. Davidson, The African Past, p. 56
(٨) ج ٥ ، برستد ، انتصار الحضارة (تعريب الدكتور فخري) ص ١٤٥ .

٧ - قوافل سبا

- (٩) الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص ٤٦ (طبعة ١٩٦١ م) .
(١٠) و٠ فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس ، (تعريب الديراوي) ص ١٨٧ .
(١١) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .
(١٢) سعيد الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام (حاشية) ص ١٢٩ .
(١٣) سعيد الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام
(١٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٨٦ .
(١٥) جواد ، الفصل ، ج ٧ .
(١٦) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٣١٨ .
(١٧) جواد ، الفصل ، ج ١ ، ص ٦١٥ .
(١٨) نجم الدين عمارة ، تاريخ اليمن (نشر الدكتور حسن سليمان) ص ٧٠ .
(١٩) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
(٢٠) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٤٤ .
(٢١) عمارة ، تاريخ اليمن (نشر د٠ حسن سليمان) ص ١٠٧ .
(٢٢) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .
(٢٣) ل٠ رودوكاناكيس ، الحياة العامة للدول العربية الجنوبية (التاريخ العربي القديم) ص ١٢١ .

★ هذا الخبر
B. Serjeant

من مخطوط
سيون الم

١١ - الصر

- (١) الصراع
- (٢) اكتشاف
- (٣) ملوك شبه
- (٤) ملوك العرب
- (٥)

* خبر هذه
Serjeant

من مخطوط
الجرموزي
المخطوط

١٢ - الس

- (١)
- (٢) الافغاني
- (٣) جواد ، ا
- (٤) جواد ، ا
- (٥) الافغاني
- (٦) الافغاني
- (٧) الافغاني
- (٨) الافغاني
- (٩) ابو مخرم

١٣ - (ذهب

- (١) جواد ، ا
- (٢) التاريخ ا

B. Davidson, The African Past, p. 134-41

(٢٤)

- (٢٥) د. فؤاد حسنين علي . التاريخ العربي القديم . ص ٢٠١-٢٠٢ .
- (٢٦) الحوراني . العرب والملاحة . (تعريب الدكتور يعقوب) ص ٩٤ .
- (٢٧) جواد . الفصل . ج ٢ . ص ٦٢٩ .
- (٢٨) جواد . الفصل . ج ٢ . ص ٥٧٢ .

٨ - سيطرة العرب الجنوبيين على الملاحة والتجارة البحرية في غربي المحيط الهندي

R. Tagore, Sadhana, p. 3

- (١) ابو مخرمة . تاريخ ثغر عدن . ص ٢٢ .
- (٢)
- (٣) صلاح البكري . في جنوب الجزيرة . ص ١٠٢ .
- (٤) نفس المصدر . ص ٤٤ .
- (٥) الهند (مجلة اعلامية) كانون الثاني ١٩٧٤ .
- (٦) هـ . ف . يعقوب . ملوك شبه جزيرة العرب . ص ٧١ (حاشية للمعرب احمد المضواحي)
- (٧) ٠١ فليارس . اولاد السندباد . ص ٣٧٦ .
- (٨) ج . بيرين . اكتشاف جزيرة العرب . ص ١٦٦ (تعريب قلعجي)
- (٩) برستد . انتصار الحضارة . ص ٢٧٥ .
- (١٠) Herodotus, Book one, p. 72 (The Penguin Classics)
- (١١) حوراني . العرب والملاحة في المحيط الهندي . ص ٧٠ (نقلا عن بريبلوس)

٩ - بعد ظهور الاسلام

- (١) رحلة ابن جبير (الطبعة الاولى) ص ٥٥ .
- (٢) تاريخ ثغر عدن لابي مخرمة (طبعة ليدن) ص ٧٥ .
- (٣) بهجة الزمن في تاريخ اليمن . تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ص ٨٧ .
- (٤) بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد (للديبع) . مخطوط
- (٥) بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد (للديبع) . مخطوط
- (٦) نفس المصدر

١٠ - التدخل البرتغالي ونهاية زعامة العرب الملاحية في المحيط الهندي

The African Past, Basil Davidson, p. 130.

» , p. 132.

★ هذا الخبر وغيره من الاخبار التي تحمل تاريخاً هجرياً قد نقلها الى الانجليزية R. B. Serjeant في كتابه
The Portuguese off South Arabian Coast,
 من مخطوطات حضرمية ، هي : تاريخ بافقيه الشحري ، وتاريخ شنبل ، ومخطوط
 سيون المجهول الهوية . وقد اعدناها ، مع شيء من التصرف ، الى العربية .

١١ - الصراع الغربي على تجارة المحيط الهندي

- (١) الصراع على الخليج العربي ، سليم طه التكريتي .
 - (٢) اكتشاف جزيرة العرب ، جاكولين بيرين (تعريب قلعجي) .
 - (٣) ملوك شبه جزيرة العرب ، هـ . ف . يعقوب ، ترجمة احمد المضواحي ، ج ١ .
 - (٤) ملوك العرب ، امين الريحاني .
 - (٥) *Britain and the Middle East*, by R. Bullard.
- ✱ خبر هذه الحادثة وما سبقها من اخبار حوادث القرصنة في البحر الاحمر ، قد نقلها R. B. Serjeant الى الانجليزية في كتابه
The Portuguese off the South Arabian Coast
 من مخطوط يقول عنه انه غير كامل اسمه « الصراط المتوكلية » للحسن بن الطاهر
 الجرموزي ، الذي عاش في النصف الاخير من القرن الثاني عشر الميلادي ، وصفحات
 المخطوط ٢١٦ صفحة .

١٢ - السلع المقدسة

- (١) W. Thesiger, *Arabian Sands*, p. 173, (1960)
- (٢) الافغاني ، اسواق العرب ، ص ٢٥ .
- (٣) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٢٦٥ .
- (٤) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .
- (٥) الافغاني ، اسواق العرب ، ص ٢٦٩ .
- (٦) الافغاني ، اسواق العرب ، ص ٢٦٨ .
- (٧) الافغاني ، اسواق العرب ، ص
- (٨) الافغاني ، اسواق العرب ، ص ٢٥٦ .
- (٩) ابو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ص ١٧ .

١٣ - (ذهب سبا) الى (الاصباغ)

- (١) جواد ، الفصل ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
- (٢) التاريخ العربي القديم (تعريب الدكتور فؤاد حسنين) ص ٧٧ .

- (١٩) ——— نفس
(٢٠)
(٢١) (عن مخطوط)
(٢٢) (عن مخطوط)

- (٢٣) ج. بيرين
(٢٤)

- (٢٥) جواد ، الم
(٢٦) جواد ، الم
(٢٧) الافغاني
(٢٨) بامطرف

١٥ - المراكمة

- (١) ج. بيرين
(٢)
(٣)

- (٤) حوراني
(٥)
(٦)
(٧) ٢٢ فالي
(٨) حوراني
(٩)
(١٠)

(عن)

١٦ - البحار

- (١) محمد
(٢) فاليار

- (٣) نفس المصدر ، ص ٧٧
(٤) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٥٩٨
(٥) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٦١٠
(٦) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٥٩٩
(٧) جواد ، الفصل ، ج ٦ ، ص ٨٠
(٨) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٣٠٧
(٩) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص
(١٠) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٥٩٣
(١١) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٥٩٣
(١٢) المعجم الوسيط ، ج ٢ (مجمع اللغة العربية) مطبعة مصر ١٩٦١
(١٣) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٦٠١
(١٤) جواد ، الفصل ، ج ٧ ، ص ٥٢٣

١٤ - موانئ اليمن القديمة

- (١) هـ. ف. يعقوب ، ملوك العرب ، ج ١ ، ص ٦٠ (تعريب احمد المضواحي)
(٢) ابو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ص ١٨
(٣) ويندل فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس (ترجمة عمر الديراوي) ص ١٨٦
(٤) ابو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ص ٢٦ (نقلا عن المستبصر لابن المجاور)
(٥) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٤٥٠
(٦) التاريخ العربي القديم (تعريب الدكتور فؤاد حسنين) ص ٢٩٩
(٧) حوراني ، العرب والملاحة ، ص ٦٤ (نقلا عن بريبلوس)
(٨) ج. بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٧٦ (ترجمة ق. قلعجي)
(٩) ——— نفس المصدر ——— ص ٨١
(١٠) ——— نفس المصدر ——— ص ٧٤
(١١) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٦٢
(١٢) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٦١
(١٣) الافغاني ، اسواق العرب ، ص ٢٧٠
(١٤) Serjeant, The Portuguese off the South Arabian Coast, p. 138
(١٥) تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، ص ٩٦ (تحقيق مصطفى حجازي)
(١٦) ابو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ص ٨٥
(١٧) الديبع ، بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد ، (مخطوط)
(١٨) ——— نفس المصدر ———

- (١٩) — نفس المصدر —
(٢٠) Serjeant, «The Portuguese off ...» p. 17
(٢١) (عن مخطوط الفقيه عبدالله يامخرمة) Serjeant, «The Portuguese off ...»
(٢٢) (عن مخطوطة السيد عبدالقادر الحضرمي «النور السافر»)
Serjeant, «The Portuguese off ...»
(٢٣) ج. بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٣٥١ (ترجمة قلعجي)
(٢٤) D. B. Doe, Archaeology in South Arabia (Port of Aden Anual 1963-64)
(٢٥) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ١٦١
(٢٦) جواد ، الفصل ، ج ٢ ، ص ٥٩٦
(٢٧) الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ص ٢٦٧
(٢٨) بامطرف ، الرفيق النافع على دروب منظومتي باطايح ، ص ٧٤ ، ٧٥

١٥ - المراكب العربية

- (١) ج. بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٩
(٢) R. Place, Britain Befor History, p. 184 (1951)
(٣) Davidson, The African Past, p. 139 (Benguin African Library)
(٤) حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ص ٢٦٤
(٥) H. R. P. Dickson, The Arab of the Desert, p. 480
(٦) National Geographic Magazine, April 65, (Washington)
(٧) ٠٢ فالليارس ، ابناء السندباد (ترجمة قلعجي) ص ١٥
(٨) حوراني ، العرب والملاحة ، ص ٢٥٩
(٩) Dickson, The Arab of the Desert, p. 479
(١٠) Serjeant, The Portuguese off South Arabian Coast, p. 107
(عن مخطوطة للسيد عبد القادر بافقيه ، تحت عنوان «النور السافر»)

١٦ - البحار اليمني

- (١) محمد عبد القادر بامطرف ، الرفيق النافع على دروب منظومتي باطايح
(٢) فالليارس ، ابناء السندباد ، ص ٢٣١

الاهداء
هذا الكتاب
مقدمة

دور اليمن

١
٢
٣

العربية

التبادل

سيطرة

البحرية

التدخل

الملاحية

الصراع

الشراع

الفهرس

ص - ص

٥

٨ - ٧

١٤ - ٩

الاهداء

هذا الكتاب ، بقلم رئيس لجنة الكتاب اليمني
مقدمة

(١)

دور اليمن البحري في مصادر التاريخ القديم

٧٢ - ١٥

١٧

٥٥

٦٠

١ - المسند

٢ - التوراة والرقم الاشورية

٣ - الكتب الكلاسيكية

(٢)

العربية الجنوبية وشرق افريقية

٩٨ - ٧٣

(٣)

التبادل التجاري بين شعوب العالم القديم

١١٨ - ٩٩

(٤)

سيطرة العرب الجنوبيين على الملاحة والتجارة
البحرية في غربي المحيط الهندي

١٤٠ - ١١٩

(٥)

التدخل البرتغالي ونهاية زعامة العرب
الملاحية في المحيط الهندي

١٦٤ - ١٤١

(٦)

الصراع الغربي على تجارة المحيط الهندي
الشراع اليمني في أيامه الاخيرة

١٦٥

١٨٢

٢٢٤ - ١٨٧

١٨٩

٢٠٦

٢٠٨

٢١١

٢١٣

٢١٨

٢٢٠

٢٢٢

٢٢٣

(٧)

السلع اليمنية

١ - السلع المقدسة

٢ - ذهب سبأ

٣ - الاحجار الكريمة

٤ - اللؤلؤ

٥ - برود اليمن

٦ - الادم

٧ - الاصباغ

٨ - دم الاخوين او المعندم

٩ - التمر والملح

٢٢٨ - ٢٢٥

٢٢٩

٢٣٠

(٨)

السلع الاجنبية

الاوزان

المعشور في عدن ايام بني زريع

٢٥٣ - ٢٣١

(٩)

موانئ اليمن القديمة

٢٨٢ - ٢٥٥

(١٠)

المراكب العربية

٢٨٨ - ٢٨٣

(١١)

المبحار اليمني

٢٩٤ - ٢٨٩

(١٢)

عادات وتقاليد بحرية

٣٠١ - ٢٩٥

المراجع

مطبعة ديموبرس

خندق الغميق - شارع أحمد فارس الشدياق

تلفون : ٢٩٢٨٧٢ - ٢٣٠٠٣١ - ٢٥١٢٤٠

